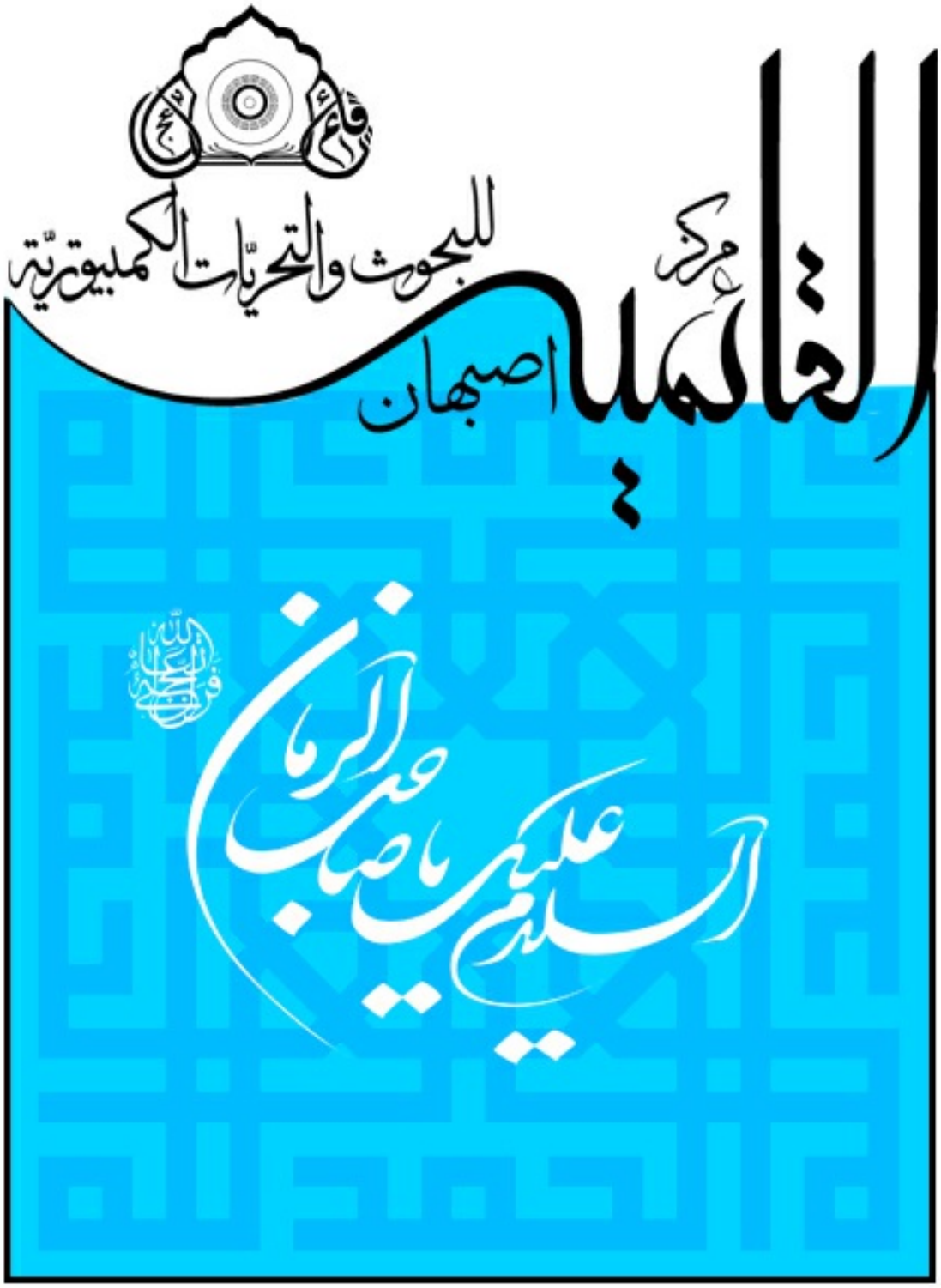

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

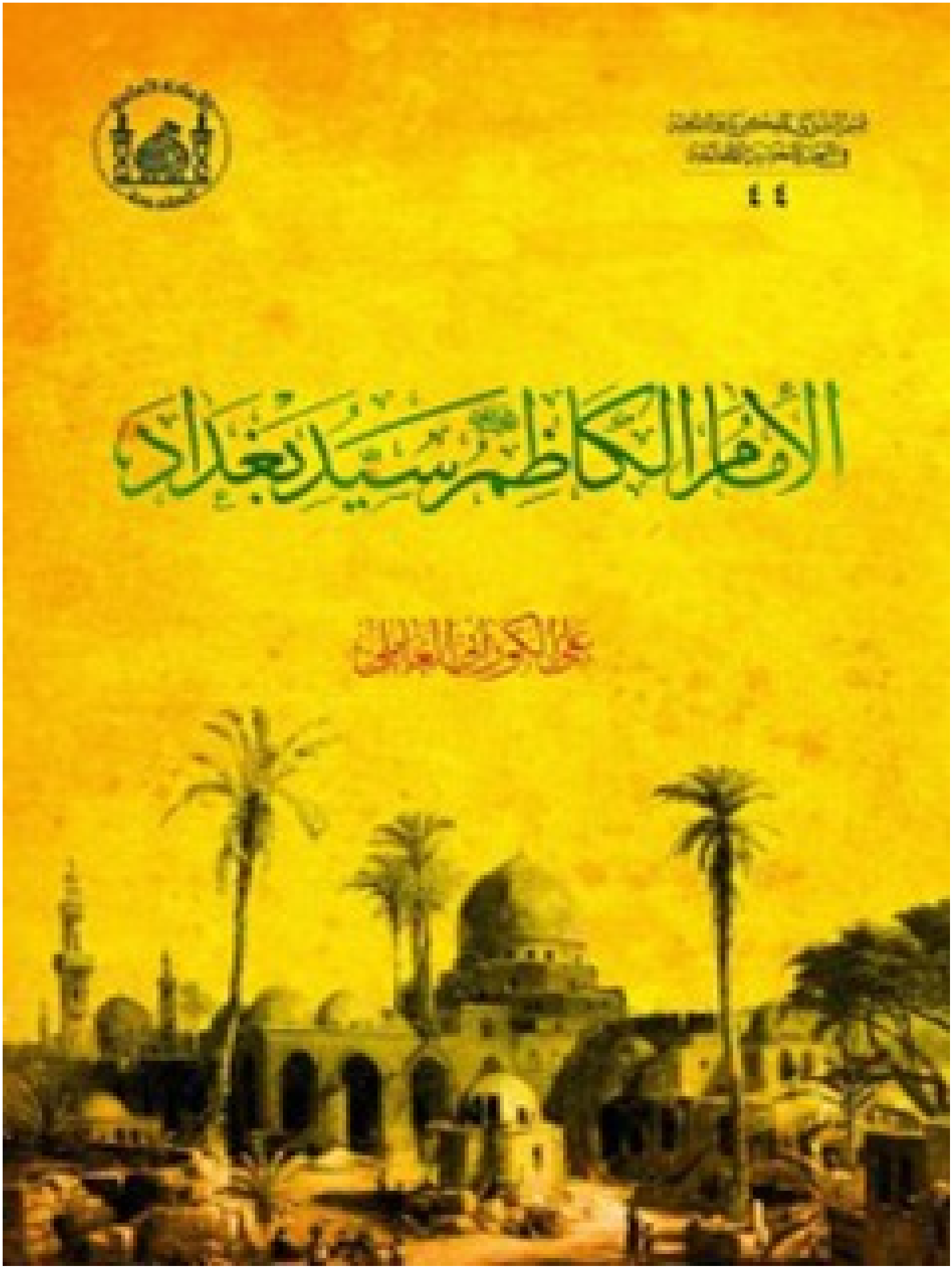
٤٤
الإمام الكاظم سيد بغداد

بسم الله الرحمن الرحیم

الامام الكاظم عليه السلام سيد بغداد و حاميها وشفيعها

كاتب:

على كورانى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

الامام الكاظم عليه السلام سيد بغداد و حاميها وشفيعها 12

اشارة 12

اشارة 12

مقدمة اللجنة العلمية 18

المقدمة 20

الفصل الأول: عراقة الشيعة فى بغداد 25

اشارة 25

1- مسجد براثا قبل بغداد بأكثر من قرن! 27

2- مقبرة براثا 29

3- كان سكان الكرخ شيعة قبل تأسيس بغداد 30

4- معروف الكرخى ليس من كرخ بغداد 31

5- من تاريخ مظالم الشيعة فى بغداد 31

6- من العوائل الشيعية فى بغداد 35

آل يقطين 35

آل نوبخت 37

آل فرات 39

7- المراسم الدينية عند الشيعة فى بغداد 39

8- منعت السلطة زيارة مشهد الكاظمين والحسين عليهم السلام 45

9- أئمة أهل البيت عليهم السلام فى بغداد 47

10- الإمام الجواد فى بغداد عليه السلام 49

11- رسالة الإمام الهادى عليه السلام إلى شيعته فى بغداد 50

12- السفراء الأربعة البغداديون 51

اشارة 51
السفیر الأول: عثمان بن سعید العَمْری قدس سره 52
السفیر الثانی: محمد بن عثمان بن سعید العَمْری قدس سره 54
السفیر الثالث: أبو القاسم الحسین بن روح النوبختی قدس سره 55
السفیر الرابع: أبو الحسن علی بن محمد السمری قدس سره 56
13- قبور السفراء الأربعة والمؤلفات فیهم 57
14- مذاهب الغلو التی کانت فی بغداد 60
الفصل الثانی: بحث الروایات التی وردت عن بغداد 65
اشارة 65
1- تسمیة بغداد بالزوراء 67
2- رد روایات خسف بغداد وخرابها 70
3- أحادیث جیش السفیانی فی بغداد 72
4- صحة الأحادیث التی تذم الجبابرة فی بغداد 74
الفصل الثالث: المنصور العباسی مؤسس بغداد 77
اشارة 77
1- شخصیة المنصور وأسرته 79
2- نَقْلَ المنصور العاصمة حتی استقر فی بغداد 81
3- ظلم بنی العباس أشهر من کفر إبلیس! 82
4- الثروة التی ورَّثها المنصور لابنه 85
5- کان المنصور شیعیاً قبل ثورة الحسنیین! 86
6- المنصور مهندس الخلافة ومهندس المذاهب! 86
اشارة 86
الأول: تأسیس مذاهب مقابل مرجعیة الإمام الصادق علیه السلام 87
الثانی: إبادة العلویین حتی أطفالهم! 91
الثالث: أحیا المنصور حملة الأمویین ضد علی علیه السلام! 95

الرابع: أمر بتعظيم أبى بكر وعمر لأنهما خصوم على عليه السلام ـ 97
الخامس: تعظيم جده العباس وحصر الخلافة بأولاده ـ 98
7- المنصور يحاول قتل الإمام الكاظم عليه السلام ـ 99
الفصل الرابع: الإمام الكاظم عليه السلام قديس بغداد ـ 105
اشارة ـ 105
1- شريط سيرة الإمام الكاظم عليه السلام ـ 107
2- اعتقاد أئمة المذاهب بالإمام الكاظم عليه السلام ـ 110
3- مقتطف من تراجم أئمة علماء السنة للإمام الكاظم عليه السلام ـ 111
4- الإمام الكاظم عليه السلام حامى بغداد ـ 119
5- زيارة قبر الإمام الكاظم عليه السلام دواء مجرب ـ 120
الفصل الخامس: الإمام الكاظم عليه السلام والمهدى العباسى ـ 122
اشارة ـ 122
1- أخبر الإمام عليه السلام عن قرب موت المنصور ـ 124
2- فروقات شخصية المهدى عن أبيه المنصور ـ 124
أولاً ـ 124
ثانياً ـ 125
ثالثاً ـ 127
رابعاً ـ 128
خامساً ـ 129
سادساً ـ 132
3- رووا هم أن المهدى العباسى ليس بمهدى! ـ 133
4- كان المهدى يخاف من زوجته الخيزران! ـ 135
5- لم تكن الخيزران ناصبية كزوجها وولديها! ـ 138
6- كتب الإمام الكاظم عليه السلام رسالة إلى الخيزان ـ 139
7- كانت علاقة الإمام الكاظم عليه السلام حسنة مع المهدى ـ 140

8- وكان المهدى يحترم مقام الإمام الكاظم عليه السلام 142
9- ومع ذلک أراد المهدى العباسى قتل الإمام عليه السلام! 145
10- وأخبر عليه السلام بأن المهدى لا يقتله ولا الذى بعده! 147
11- قال الإمام عليه السلام للخليفة: ما بال مظلمتنا لا ترد؟! 148
12- المهدى العباسى يختبر علم الإمام الكاظم عليه السلام 150
13- الإمام عليه السلام يأمر تلاميذه بإيقاف المناظرة فى زمن المهدى 151
14- قرر المهدى أن يقتل الإمام عليه السلام فرأى مناماً مرعباً! 152
الفصل السادس: الإمام الكاظم عليه السلام وموسى الهادى العباسى 155
اشارة 155
1- الخليفة موسى الهادى قصير العمر كثير الشر 157
2- كان موسى الهادى مشهوراً بالفسق! 158
3- ثورة الحسين بن على صاحب فخ على موسى الهادى 159
4- موسى الهادى يقرر قتل الإمام الكاظم عليه السلام 162
الفصل السابع: خلافة هارون قاتل الإمام الكاظم عليه السلام 168
اشارة 168
1- عزله أخوه فقتلته أمه ونصبت هاروناً خليفة 170
2- الفردية المُفْرِطة عند هارون! 172
3- خليفة يتفنن فى تقصيب المسلمين حتى آخر ساعة! 175
4- أولاده يتجسسون عليه ويستعجلون موته! 177
5- خليفة المسلمين يغنى ويرقص ويشرب ويسكر! 179
الفصل الثامن: وزراء هارون فيهم أبرار! 184
اشارة 184
1- البرامكة زنادقة ونواصب! 186
2- عداوة البرامكة للإمام الكاظم عليه السلام 187
3- نكبة البرامكة فى أوج مجدهم! 192

4- على بن يقطين رحمه الله رئيس وزراء هارون ـ 195
5- من أخبار على بن يقطين مع الإمام الكاظم عليه السلام ـ 197
6- جعفر بن محمد بن الأشعث رئيس وزراء هارون ـ 202
الفصل التاسع: هارون يعرف أن الكاظم عليه السلام إمام من الله تعالى ـ 206
اشارة ـ 206
1- يعرف أنه إمام ربانى ويعاديه! ـ 208
2- حبس هارون للإمام الكاظم عليه السلام - المرة الأولى ـ 211
3- خلط الرواة بين أخبار حبسه عليه السلام فى المرة الأولى والثانية ـ 215
4- الإمام الكاظم عليه السلام يصارح هارون! ـ 217
5- الإمام الكاظم عليه السلام ينسف أساس نظام العباسيين! ـ 222
6- حبس هارون للإمام الكاظم عليه السلام - المرة الثانية ـ 224
7- فرض عليه هارون الإقامة الجبرية فى بغداد ـ 228
8- سكن الإمام عليه السلام فى بغداد فى بيت متواضع ـ 230
9- محاولات هارون الإستخفاف بالإمام عليه السلام وإهانته ـ 232
الفصل العاشر: تصورات هارون لخطر الإمام الكاظم عليه السلام ـ 236
اشارة ـ 236
1- الخطر الأكبر برأى هارون على ملكه! ـ 238
2- هارون يعتقد أن التعايش مع الإمام عليه السلام غير ممكن! ـ 239
3- هارون يحضر مناظرات تلميذ الإمام الكاظم عليه السلام! ـ 240
4- محاولات هارون قتل الإمام الكاظم عليه السلام ـ 248
الفصل الحادى عشر: إصرار هارون على قتل الإمام الكاظم عليه السلام ـ 254
اشارة ـ 254
1- حبسه فى البصرة سنة ثم نقله إلى بغداد ـ 256
2- لماذا لم يعاقب هارون عيسى بن جعفر والفضل بن الربيع؟ ـ 257
3- لماذا غضب هارون على وزيره الفضل بن يحيى؟ ـ 260

4- العباس بن محمد الذى وكله هارون بجلد وزيره الفضل 263
5- السندى بن شاهک رئيس شرطة هارون 264
6- السندية بنت شاهک خير من أخيها! 266
7- سجن السندى أشد سجون الإمام الكاظم عليه السلام 267
الفصل الثانى عشر: شهادة الإمام الكاظم عليه السلام ومراسم تشييعه 268
اشارة 268
1- أخبر الإمام عليه السلام بشهادته وأوصى بتجهيزه 270
2- المكان الذى استشهد فيه الإمام عليه السلام 275
3- إهانة هارون لجنازة الإمام عليه السلام وتكريم عمه لها 277
4- سليمان بن أبى جعفر عم هارون 280
5- صار قبر الإمام عليه السلام مزاراً ومشهداً من أول يوم 282
الفصل الثالث عشر: هارون يقتل الإمام عليه السلام وينكر قتله! 283
اشارة 283
1- لما رأى هارون معجزات الإمام عليه السلام قرر قتله! 285
2- هارون يحاول إثبات براءته من دم الإمام عليه السلام 288
الفصل الرابع عشر: بعض أخبار الإمام الكاظم عليه السلام فى السجن 291
اشارة 291
1- كان عليه السلام يشكر الله لأنه فرغه لعبادته! 293
2- رسالة الإمام عليه السلام إلى هارون الرشيد 296
3- رسالة الإمام عليه السلام إلى يحيى بن خالد البرمكى 296
4- عاهرة الرشيد صارت عابدة! 297
5- فقهاء السلطة يزورون الإمام عليه السلام فى السجن 298
6- كان عليه السلام يجيب من السجن على بعض الرسائل 300
7- غلام السندى بن شاهک يتشيع! 303
8- كان الإمام عليه السلام يخرج من السجن بنحو الإعجاز 304

الفصل الخامس عشر: الإمام الكاظم عليه السلام وعلماء النصارى 307
اشارة 307
1- إسلام الراهب بُرَيْهَة على يده عليه السلام 309
2- إسلام راهب آخر قصد الإمام عليه السلام من الشام 314
الفصل السادس عشر: آيات الإمام الكاظم عليه السلام من طفولته 319
اشارة 319
1- كان أبوه الإمام الصادق عليه السلام يحدثه وهو فى المهد! 321
2- كان عليه السلام صبياً وأفحم أبا حنيفة! 321
3- حديث الإمام الكاظم عليه السلام فى معجزات النبى صلى الله عليه وآله وسلم 322
الفصل السابع عشر: أشعة من أحاديث الإمام الكاظم عليه السلام 333
اشارة 333
1- حديث الإمام عليه السلام فى مكانة العقل وأهمية التعقل 335
2- من أحاديثه عليه السلام فى توحيد الله تعالى ومعرفته 345
3- من أحاديثه عليه السلام فى النبوة 349
4- من أحاديثه عليه السلام فى الإمامة 352
5- من أحاديثه عليه السلام الفقهية 357
6- من أحاديثه عليه السلام فى الأدعية والأذكار 359
7- من أحاديثه عليه السلام فى الآداب والتربية 361
8- من أحاديث الإمام الكاظم عليه السلام الطبية 364
9- من أحاديثه فى البشارة بالإمام المهدى عليه السلام 366
المحتويات 367
تعريف مركز 385

الامام الكاظم عليه السلام سيد بغداد و حاميها وشفيعها

اشارة

الكورانى، على

الإمـام الكـاظم عليه السـلام سـيد بغـداد وحاميهـا وشـفيعها / تأليف على الكورانى العاملى؛ تقـديم محمـد على الحلو. – كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، 1431ق. = 2010م.

362ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ 44)

المقدمة بعنوان بين سجينين.. صديقٌ وشهيد / بقلم محمد على الحلو.

المصادر فى الحاشية.

1 . موسـى بن جعفر (ع)، الإمـام السابع، 128 ـــ 183ق. - آثار منسوبة. 2 . الشـيعة - بغداد - تاريخ . 3 . الشـيعة - تعقيب وإيذاء . 4. موسـى بن جعفر (ع)، الإمام السابع، 128 - 183ق. - روابط - العباسـيون . 5 . العباسـيون - روابط - موسـى بن جعفر (ع)، الإمام السابع، 128 - 183ق. 6 . هارون الرشيد، هارون بن محمد، –193ق. شبهات وردود. 7 . موسى بن جعفر (ع)، الإمام السابع، 128 - 183ق. تعقيب وإيذاء. 8 . النواب الأربعـة - تاريخ ونقد. ألف . الحلو، محمد على، 1957 – م.، مقدم. ب . العنوان. ج . العنوان: بين سـجينين صديق وشهيد

8 ألف 9 ک / 2 / 46 BP

تمت الفهرسة فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

ص: 1

اشارة

ص: 3

الإمام الكاظم عليه السلام سيد بغداد وحاميها وشفيعها

تأليف

على الكورانى العاملى

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1431هـ - 2010م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: 326499

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

ص: 5

قال الإمام الرضا عليه السلام:

«فإن أهل بيتک يدفع عنهم بک،

كما يدفع عن أهل بغداد بأبى الحسن الكاظم عليه السلام».

(رجال الطوسى:2/858، ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئى:8/283)

مقدمة اللجنة العلمية

بين سجينين.. صدّيق وشهيد...

كأن دواعى المعرفة تأخذك إلى أغوارها البعيدة لتستكشف فى متاهات التاريخ حقائق اغتالتها عصبيات الهوى وقطفت ثمارها تناحرات السياسة وأهوال التنافس بين فريقين.

فقبل استفتاحك بمطالعة الكتاب تأخذك إلى مدياتٍ بعيدةٍ من الحقائق؛ اذ لم تكن حكايات منسوجة على منوال الخيال.. ولا أحاديث من حيكات القصاصين.. الا انها الحقيقة تنفتح على أسارير الحوادث بتفاصيلها ودقائقها الشاهدة منها والشهيدة فى أكثرها.. لعلك تستذكر معى ما تجول به ذاكرتك من حقائق جرت أحداثها منذ زمن بعيد لصديقٍ سجين استوزر المُلك بعد أمدٍ.. صديق شهيد تحمله آلة السجانين ليُنادى على جنازته بذل الاستخفاف...

يوسف الصديق رُفع على دست الملك بعد لأى من العناء...

وموسى الوصى يرتفع على أعوادٍ تترنمُ فيها قيود السجانين...

سجينان مضيا فى صراعٍ أحدهما بين فرعون مصر والآخر بين فرعون بغداد..

فذاك خرج من السجن أميراً وهذا خرج من السجن شهيداً...

وأخالك تسأل عن سبب الترابط بين سجينين أحدهما مضى مليكاً والآخر قضى شهيداً.. وكأنك تطالبنى بالمناسبة الا أنك لا تبتعد معى عن القصد لتؤوب إلى رشد العلاقة بين الحادثتين لتذكرك بأنهما منازعتان بين صدّيق وشقى..

والأخرى بين وصـيٍ ودعيّ.. الا انک تدرک الآن معی سـر المفارقة بينهما فواحدة تجری علی أرض مصر کانت أحداثها بين دهاليز القصر الفرعونی وخفاياه الماکرة.. وأخری علی أرض بغداد فی بلاط عباسی تحت مطامير "أمير المؤمنين".. وذاک يؤوب إلی رشده ليجعل سجينه أميراً وهذا تحکم عليه فتوی قضاته ليکون شهيداً..

من هنا تبدأ حکاية الکتاب، ويسـتفتح المؤلف بعراقة بغداد الشـيعية، أو تشيع بغداد العراقية بکل دواعيها وثقافاتها وتوجهاتها، ونِعمَ ما فعل المؤلف من عراقـة بغداد الشـيعية فان البعض قد اسـتغفلتهم ألسـنةُ الإعلام الحداد وقلبوا لها الحقائق فقروا التشـيع الفارسـی کما أحبوا أن يعرّفوه، وغفلوا أن بغداد احتضـنت من الفرس کثيراً من العلماء ليؤسسوا فی حاضرتها العربية ـــ الشيعية مذاهبهم الأخری، وکان أئمة أهل البيت رُعـاة التشـيع العربی الـذی امتـدت جـذواته إلی کـل المعمورة.. ولعـل مـا ينصف المؤلف قرّاءه أن يأخـذ بهم إلی مـديات البحث المحفوف بحقائق التاريخ ليُنشط بهم ذاکرة الأحداث البغدادية منذ تأسيسها علی يد مقلاصها الدوانيقی ـــ کما تحدّث بذلک الحموی فی معجم بلدانه فراجع لبغداد تأسيسها ـــ وکأنی أجول مع المؤلف کما يجول هو بأحداثٍ طبعت بطابعها التنازعی بين فريقين هاشميين علوی أحـدهما والآخر عباسـی النزعة فضـلاً عن النسب، وقد أحسن المؤلف الاختيار فی ربط وشائج الأحداث ليؤسـس بها بحثه وأیُ بحثٍ هو وشخصـيته سـيد بغداد بل هو حاميها وسيدها لتبقی بغداد حاضرة الأحداث بکل هواجس التاريخ المعذّب وسياقات الأحداث المغيّبة فی قعر الأبحاث المتعصبة ومطامير الثقافة السلطوية ليمثّل موسی سجين بغداد «نصب الحرية» فی آفاقها الشاسعة، ومديات تاريخها المترامی دهر الدهور...

السيد محمد علی الحلوماًأمشکشنمتيب

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم السلام

على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد، فقد اشتهرت بغداد بأنها عاصمة دولة الخلافة الإسلامية فى أزهى عصورها، يوم كانت أقوى وأرقى دول العالم.

كما اشتهرت بمدنيتها وثقافتها، ومدراسها الفكرية والمذهبية، وكثرة من نبغ فيها وحل فيها، من العلماء والأدباء.

واشتهرت بمبانيها ومؤسساتها، من دور وقصور، ومكتبات ومستشفيات، وجامعات ومدارس، ومساجد وتكايا.

واشتهرت بغداد بمباهج الحياة فيها، التى جعلتها مطمح الراغبين فى حياة الرفاه والترف، واللهو والمجون.

كما اشتهرت بشخصياتها التى برزت فيها فطبعتها ببصماتها، أو طبعتها بغداد بطابعها. ولم تقتصر الشهرة على شخصيات الخلفاء والوزراء والسياسيين، فهؤلاء استولى سلطانهم على الأبدان والأبشار، ويقابلهم شخصيات الأولياء الذين استولى سلطانهم على الأرواح والقلوب، وكان فى طليعتهم الإمام موسى بن جعفر الكاظم

عليه السلام، الذى قضى فى بغداد بضع سنوات، بين الإقامة الجبرية فى أحد أحيائها، والسجن الخاص فى سجونها.

ولهذا السبب كان البغدادى يدين بالولاء الظاهر للسلطة، لكن ولاءه الواقعى للأولياء، وفى طليعتهم أهل البيت عليهم السلام.

وقد اعترف هارون الرشيد بهذه الحقيقة فقال لابنه المأمون: «أنا إمام الجماعة فى الظاهر والغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق، والله يا بنى إنه لأحق بمقام رسول الله منى ومن الخلق جميعاً! ووالله لو نازعتنى هذا الأمر لأخذت الذى فيه عيناك، فإن الملك عقيم»! (الإحتجاج:2/165).

كمااعترف بهذه الحقيقة أبو نواس، فهو رمز حياة اللهو والمجون، بأمثال قوله:

دع عنک لومى فإن اللوم إغراء

وداونى بالتى كانت هى الداء!

(شرح النهج:16/101).

ألا اسقنى خمراً وقل لى هى الخمر

ولاتسقنى سراً إذا أمكن الجهر!

(الطبرى:7/109)

وهو فى نفس الوقت الذى يقول فى أهل البيت عليهم السلام كما فى الطبرى: 7/109:

«مطهرون نقياتٌ ثيابهم

تجرى الصلاةُ أينما ذكروا

من لم يكن علوياً حين تنسبه

فما له فى قديم الدهر مفتخرُ

فالله لما برى خلقا فأتقنه

صفَّاكم واصطفاكم أيها البشرُ

فأنتم الملأ الأعلى وعندكم

علم الكتاب وما جاءت به السُّوَرُ

بل جمع أبو نواس بين لهو بغداد وولاء الأولياء فى قوله، كما فى المناقب:2/306:

«ومدامةٍ من خمر حانةِ قَرْقَفٍ

صفراء ذات تلهُّب وتشعشعِ

رقَّت كدين الناصبى، وقد صفت

كصفا الولىِّ الخاشعِ المتشيعِ

باكرتها وجعلت أنشق ريحها

وأمصُّ دَرتها كدَرة مرضعِ

فى فتية رفضوا العتيق ونعثلاً

وعنوا بأروعَ فى العلوم مُشَفَّعِ

وتيقنوا أن ليس ينفع فى غدٍ

غيرُ البطين الهاشمى الأنزعِ».

فالبغدادى الماجن كالمؤمن، يخضع للسلطة الظاهرية، لكنه لا يعطى السلطان على قلبه إلا لأولياء الله تعالى، ومن هنا كان لمشهد الإمام الكاظم عليه السلام قداسةٌ أجمع عليها البغداديون على اختلاف مذاهبهم، بل على اختلاف أديانهم!

وبذلک كان إسم سيد بغداد إسماً طبيعياً للإمام الكاظم عليه السلام تؤيده الحقائق الكبيرة والنصوص الكثيرة، التى تجدها فى هذا البحث موثقة من أصح المصادر.

أما وصفه بأنه حامى بغداد وشفيعها، فقد أخذناه من حديث لولده الإمام الرضا عليه السلام يقول فيه إن الله تعالى يدفع البلاء عن أهل بغداد ببركة قبر أبيه الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

وقد بَينا فى فصول الكتاب أن ولاء البغداديين لأهل البيت عليهم السلام لم يبدأ بالإمام الكاظم عليه السلام لكنه تَتَوَّجَ به، وأثبتنا عراقة وجود الشيعة فى الكرخ وضواحى بغداد، قبل تأسيسها كمدينة وعاصمة، بأكثر من قرن.

ثم بحثنا فى الفصل الثانى الروايات الواردة فى مصادر الطرفين عن مستقبل بغداد، التى تزعم أن جيش السفيانى السورى يدمرها، وبينا أنها موضوعة!

ثم سلطنا الضوء على تأسيس بغداد فى القرن الثانى، وشخصية مؤسسها المنصور العباسى، ثم على شخصيات أولاده الخلفاء الذين عاصروا الإمام الكاظم عليه السلام، وكل خلفاء بنى العباس من أولاد المنصور.

وطبيعى أن لا ـ يكون بحثنا لهؤلاء الخلفاء من زاوية إنجازاتهم وإيجابياتهم، بل من الوجه الآخر وهو زاوية صراع الملوك التاريخى مع الأئمة الربانيين، لأنهم يرون فيهم خطراً على ملكهم، ويحسدونهم لمودة الناس لهم وعقيدتهم فيهم.

لذلک عقدنا بضعة عشر فصلاً، تناولنا فيها شخصية المنصور العباسى، ثم ابنه المهدى، ثم ابنه موسى الهادى، من زاوية خلافهم مع أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وقد استوجب الموضوع أن نفصل البحث فى شخصية هارون الرشيد وأهم وزرائه، وأسباب عدائه للإمام الكاظم عليه السلام، إلى أن أقدم على قتله.

وفى المقابل كشفنا معالم شخصية الإمام الكاظم عليه السلام الذى أُعجب به أعداؤه قبل أحبائه، وتعلقت به قلوبهم، لأنه من منظومة الإمامة الربانية، الذين استجاب الله فيهم دعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام:

((فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ)).

رزقنا الله وجميع المسلمين شفاعة جدهم صلى الله عليه وآله وسلم وشفاعتهم عليهم السلام، ووفقنا لزيارتهم.

كتبه على الكَوْرَانى العاملى

فى الثانى عشر من محرم الحرام1431

الفصل الأول: عراقة الشيعة فی بغداد

اشارة

1- مسجد براثا قبل بغداد بأكثر من قرن!

قال الحموی فی معجم البلدان:1/362 : «براثا: بالثاء المثلثة والقصر: محلة كانت فی طرف بغداد فی قبلة الكرخ وجنوبی باب محول، وكان لها جامع مفرد تصلی فيه الشيعة».

وفی أمالی الطوسی/199، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إن أمير المؤمنين عليه السلام لما رجع من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء فقال للناس: إنها الزوراء فسيروا وجَنِّبوا عنها، فإن الخسف أسرع إليها من الوتد فی النخالة، فلما أتی موضعاً من أرضها قال: ما هذه الأرض؟ قيل أرض بحرا، فقال: أرض سباخ، جنبوا ويَمِّنوا. فلما أتی يمنة السواد فإذا هو براهب فی صومعة له فقال له: يا راهب، أنزلُ هاهنا؟فقال له الراهب: لاتنزل هذه الأرض بجيشک. قال: ولمَ؟ قال: لأنه لا ينزلها إلا نبی أو وصی نبی بجيشه يقاتل فی سبيل الله، هكذا نجد فی كتبنا. فقال له أمير المؤمنين: فأنا وصی سيد الأنبياء صلی الله عليه وآله وسلم وسيد الأوصياء. فقال له الراهب: فأنت إذن أصلع قريش ووصی محمد؟ قال له أمير المؤمنين: أنا ذلک.

فنزل الراهب إليه فقال: خذ علیَّ شرائع الإسلام، إنی وجدت فی الإنجيل نعتک، وأنک تنزل أرض براثا بيت مريم وأرض عيسی عليه السلام!

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قف ولا تخبرنا بشیء، ثم أتی موضعاً فقال: إلكزوا هذه، فلكزه برجله عليه السلام فانبجست عين خرارة، فقال: هذه عين مريم التی

انبعثت لها! ثم قال: إكشفوا هاهنا على سبعة عشر ذراعاً، فكشف فإذا بصخرة بيضاء فقال على عليه السلام: على هذه وضعت مريم عيسى من عاتقها وصلت هاهنا؟

فنصب أمير المؤمنين عليه السلام الصخرة وصلى إليها، وأقام هناک أربعة أيام يتم الصلاة، وجعل الحرم فی خيمة من الموضع على دعوة (مسافة قريبة) ثم قال:أرض براثا، هذا بيت مريم عليها السلام هذا الموضع المقدس صلى فيه الأنبياء عليهم السلام»!

وفی من لايحضره الفقيه:1/232: «وأما مسجد براثا ببغداد، فصلى فيه أمير المؤمنين عليه السلام لما رجع من قتال أهل النهروان».

وفی تهذيب الأحكام:3/264، أن الراهب قال: «إنما بنيت هذه الصومعة من أجل هذا الموضع وهو براثا، وقرأت فی الكتب المنزلة أنه لا يصلى فی هذا الموضع بذا الجمع إلا نبی أو وصی نبی، وقد جئت أن أسلم، فأسلم فخرج معنا إلى الكوفة فقال له على عليه السلام: فمن صلى هاهنا؟ قال: صلى عيسى بن مريم وأمه. فقال له على عليه السلام: أفأفيدک من صلى هاهنا؟ قال: نعم قال: الخليل عليه السلام».

وفی مناقب آل أبی طالب:2/100: «قال أمير المؤمنين: فاجلس يا حباب، قال: وهذه دلالة أخرى، ثم قال: فانزل يا حباب من هذه الصومعة وابن هذا الدير مسجداً، فبنى حباب الدير مسجداً، ولحق أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة، فلم يزل بها مقيماً حتى قتل أمير المؤمنين عليه السلام فعاد حباب إلى مسجده ببراثا.

وفی رواية أن الراهب قال: قرأت أنه يصلى فی هذا الموضع إيليا، وصی البارقليطا محمد نبی الأميين، الخاتم لمن سبقه من أنبياء الله ورسله عليهم السلام، فی كلام كثير، فمن أدركه فليتبع النور الذی جاء به».

وفی عيون المعجزات/2: «لما رجع أمير المؤمنين عليه السلام من قتال أهل النهروان أخذ على النهروانات وأعمال العراق، ولم يكن يومئذ بنيت بغداد..الخ.».

وفی الیقین لابن طاووس/421: «فقال له أمیر المؤمنین علیه السلام: وأین تأوی؟ فقال: أکون فی قلایة (صومعة) لی هاهنا. فقال له أمیر المؤمنین علیه السلام: بعد یومک هذا لا تسکن فیها، ولکن ابن هاهنا مسجداً وسمه باسم بانیه فبناه رجل اسمه براثا، فسمی المسجد ببراثا باسم البانی له. ثم قال: ومن أین تشرب یا حباب؟ فقال: یا أمیر المؤمنین، من دجلة هاهنا. قال: فلم لاتحفر هاهنا عیناً أو بئراً؟ فقال له: یا أمیر المؤمنین، کلما حفرنا بئراً وجدناها مالحة غیر عذبة! فقال له أمیر المؤمنین علیه السلام: إحفر هاهنا بئراً فحفر فخرجت علیهم صخرة لم یستطیعوا قلعها. فقلعها أمیر المؤمنین فانقلعت عن عین أحلی من الشهد وألذ من الزبد، فقال له: یا حباب، یکون شربک من هذه العین. أما إنه یا حباب ستبنی إلی جنب مسجدک هذا مدینة وتکثر الجبابرة فیها ویعظم البلاء».

أقول: دل هذا الحدیث وغیره علی أن إبراهیم علیه السلام صلی فی موضع براثا، واشتری أرض کربلاء وسماها کربلاء. وعلی أن مریم علیها السلام عاشت سنوات من تشریدها مع ابنها عیسی علیه السلام فی العراق، ویفهم من روایات سیرتها علیها السلام أن الیهود والرومان ضایقوها فاضطرت إلی الهجرة وبقیت مع ابنها فی الشام ومصر والعراق نحو ثلاثین سنة، ثم أمر الله عیسی علیه السلام فرجع إلی القدس ودعا الناس حتی حاولوا قتله فرفعه الله تعالی.

2- مقبرة براثا

فی کامل الزیارات/546، بسنده عن الإمام الصادق علیه السلام قال: «إن إلی جانبکم مقبرة یقال لها: براثا، یحشر منها عشرون ومائة ألف شهید کشهداء بدر».

وفی تاریخ بغداد:1/134: «وبنواحی الکرخ مقابر عدة، منها مقبرة باب الکناس مما یلی براثا، دفن فیها جماعة من کبراء أصحاب الحدیث».

3- كان سكان الكرخ شيعة قبل تأسيس بغداد

كـانت الكرخ قريـة عامرة قبل تأسـيس بغـداد وكان فيها شـيعة، ففى بصائر الـدرجات/355، أن الإمـام الصـادق عليه السـلام سأل إبراهيم الكرخى: «يا إبراهيم أين تنزل من الكرخ؟قلت: فى موضع يقال له شادروان، قال فقال لى: تعرف قَطَفْتَا؟ قال: إن أمير المؤمنين عليه السـلام حين أتى أهـل النهروان نزل قطفتـا، فـاجتمع إليه أهـل بادرويا، فشـكوا إليه ثقل خراجهم وكلموه بالنبطيـة، وأن لهم جيراناً أوسع أرضاً وأقل خراجاً، فأجابهم بالنبطية: (وغرزطا من عود يا) قال فمعناه: رب رجز صغير خير من رجز كبير». ومعنى الرجز هنا السهم من الأرض.

وتـدل النصوص على أن قطفتـا وبادرويا وشادروان والكرخ، كانت قرى كبيرة عامرة، وعبر عن بعضـها بمدينـة. وترجمت المصادر الرجالية لعدد من الكرخيين فى أصحاب الإمام الصادق عليه السلام غير إبراهيم المذكور، وفيهم علماء مؤلفون.

وفى الكافى:5 /141، و268، عن إبراهيم الكرخى قـال: سـألت أبا عبـد الله عليه السـلام عن الرجل تكون له الضـيعة الكبيرة فإذا كان يوم المهرجان أو النيروز أهدوا إليه الشـىء ليس هو عليهم يتقربون بذلک إليه...قلت لأبى عبد الله عليه السلام: أشارک العلج فيكون من عندى الأرض والبذر والبقر ويكون على العلج القيام والسـقى والعمل فى الزرع حتى يصـير حنطة وشـعيراً وتكون القسـمة، فيأخذ السـلطان حقه ويبقى ما بقى على أن للعلج منه الثلث ولى الباقى، قال: لا بأس بذلک».

وذكرفى الكافى:3/529، خالد بن الحجاج الكرخى، روى عن الصادق عليه السلام.

وقال الحموى فى معجم البلـدان:4/448: «والأشـعار فى الكرخ كثيرة جـداً، وكانت الكرخ أولاً فى وسط بغـداد والمحال حولها، فأما الآن فهى محلة وحدها مفردة فى وسط الخراب وحولها محال..وأهل الكرخ كلهم شيعة إمامية،لا يوجد فيهم سنى البتة».

4- معروف الكرخی لیس من کرخ بغداد

قال الحموی فی معجم البلدان:4/449: «کرخ جُدَّان: بضم الجیم، وسمعت بعضهم یفتحها والضم أشهر والدال مشددة وآخره نون. زعم بعض أهل الحدیث أن کرخ باجدا وکرخ جدان واحد، ولیس بصحیح، فأما باجدا فهو کرخ سامرا، وأما کرخ جدان فإنه بلیدة فی آخر ولایة العراق یُتَاوح خانقین عن بعد، وهو الحد بین ولایة شهرزور والعراق، وإلی هذا الکرخ ینسب الشیخ معروف الکرخی بن الفیرزان أبو محفوظ، وأخوه عیسی بن الفیرزان ».

وفی الأنساب للسمعانی:5/50: «هذه النسبة إلی عدة مواضع اسمها الکرخ... ومنها إلی کرخ باجدا، قریة بنواحی العراق منها معروف بن الفیرزان الکرخی أبو محفوظ، المشتهر. وأخوه عیسی بن الفیرزان الکرخی، حکی عن أخیه معروف... حدثنی عنه أبو العلاء الحافظ بأصبهان قال: سمعت خلفاً الکرخی المجهز یقول: نحن من کرخ باجدا، منها معروف الکرخی، وبیته معروف یزار إلی الیوم... وکان أحد المجتهدین المشهورین بالزهد والعزوف عن الدنیا، یغشاه الصالحون ویتبرک بلقائه العارفون. وکان یوصف بأنه مجاب الدعوة، ویحکی عنه کرامات.. ومات فی سنة مائتین».

5- من تاریخ مظالم الشیعة فی بغداد

تکاثر الشیعة فی بغداد ولم تمنعهم عداوة المنصور العباسی من ذلک، وعمرت بغداد بسرعة وسکنها علماء وشخصیات، وکان ثقل الشیعة فی الکرخ التی اتسعت وصارت محلة کبیرة من بغداد حتی اتصلت ببراثا، وصار مسجد براثا مرکزاً علمیاً وعبادیاً واجتماعیاً للشیعة، ومَعْلَماً من معالم بغداد.

ولم تسلم براثا من حملات المتعصبین فکان فیها وفی الکرخ أحداث، رواها المؤرخون.

قال السـيد محمد الكثيرى فى كتابه: السلفية بين أهل السنة والإمامية/619، ما خلاصته: «يقول ابن كثير فى حوادث سنة354: ثم تسلطت أهل السـنة (الحنابلة) على الروافض فكبسوا مسجدهم براثا الذى هو عش الروافض، وقتلوا بعض من كان فيه من القومة! وفيها أحرق الكرخ ببغداد فألقى فى دورهم النار فاحترقت طائفة كثيرة من الدور والأموال، من ذلک ثلاث مائة دكان وثلاثة وثلاثون مسـجداً، وسـبعة عشر ألف إنسان! وعند ابن خلدون عشرون ألف إنسان!

أنظر لهذه الهمجية اللاإنسانية واللادينية!

مثال آخر لإهدار الدم الشـيعى المسلم: فقد ذكر ابن الأثير فى حوادث سنة363: ثارت العامة من أهل السـنة ينصرون سبكتكين لأنه كان يتسنن، فخلع عليهم وجعل لهم العرفاء والقواد، فثاروا بالشيعة، وحاربوهم وسفكت بينهم الدماء وأحرقت الكرخ حريقاً ثانياً، وظهرت السنة عليهم.

ويقول ابن كثير فى حوادث سنة375: فيها فى عاشوراء عملت البدعة الشنعاء على عادة الروافض، ووقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة (الحنابلـة) والرافضـة، وكلا الفريقين قليل عقل أو عـديمه بعيـد عن السـداد. وذلک أن جماعة من أهل السـنة أركبوا امرأة وسـموها عائشة، وتسمى بعضهم بطلحة وبعضهم بالزبير وقالوا: نقاتل أصحاب على! فقتل من الفريقين خلق كثير!

وفى سنة389: أرادت الشـيعة أن يصـنعوا ما كانوا يصـنعونه من الزينـة يوم غدير خم، وهو اليوم الثامن عشـر من ذى الحجة، فقاتلهم جهلة آخرون من المنتسبين إلى السنة فادعوا أنه فى مثل هذا اليوم حصر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر فى الغار.

وفى هـذا السـياق نفسه يقول ابن كثير فى حوادث سـنة389: ولمـا كـانت الشـيعة يصـنعون فى يوم عاشوراء مأتماً يظهرون فيه الحزن على الحسين بن على، قابلتهم طائفة

أخرى من جهلة السنة فادعوا إن فى اليوم الثانى عشر من المحرم قتل مصعب بن الزبير، فعملوا له مأتماً كما تعمل الشيعة للحسين!

إن النصوص التاريخية التى وصفت الفتن لا تترک مجالاً لأى قارئ أو باحث، أن يشک فى أن الحنابلة كانوا هم السابقين دائماً لإثارة الفتن والتهجم على الشيعة يراقبونهم ويتتبعون جميع تصرفاتهم وعبادتهم! فأى فعل أو قول يخالف المذهب الحشوى يعنى الإبتداع والكفر، ومن ثَم الهجوم فالقتل»! انتهى.

ومما يؤيد كلام الكثيرى أن فتنة الحنابلة المجسمة كانت مع غير الشيعة أيضاً كالطبرى الفقيه المؤرخ، فقد هاجموا داره ورجموه، ولما مات منعوا دفنه فى مقابر المسلمين، (معجم الأدباء:9/57). كما أخرجوا ابن حبان من سجستان لأنه أنكر أن يكون الله تعالى محدوداً! قال السبكى: من أحق بالإخراج: مَن يجعل ربه محدوداً أو من ينزهه عن الجسمية؟!» (المجروحين لابن حبان، والعقائد الإسلامية:2/265).

وهاجموا أئمة المذاهب فى المدرسة النظامية، قال ابن كثير فى النهاية(12/143): «ثم دخلت سنة سبعين وأربع مائة...وفى شوال منها وقعت فتنة بين الحنابلة وبين فقهاء النظامية، وحمى لكل من الفريقين طائفة من العوام، وقتل بينهم نحو من عشرين قتيلاً، وجرح آخرون»!

وفى النجوم الزاهرة:5/59: «سنة ثمان وأربعين وأربع مائة. أقيم الأذان فى مشهد موسى بن جعفر ومساجد الكرخ، بالصلاة خير من النوم، على رغم أنف الشيعة! وأزيل ما كانوا يقولونه فى الأذان من حى على خير العمل».

وفى تاريخ الذهبى:30/9: «سنة ثلاث وأربعين وأربع مائة، فلما كان فى ربيع الآخر خطب (وزير الخليفة) بجامع براثا مأوى الشيعة، وأسقط من الأذان حى على خير العمل، ودق الخطيب المنبر بالسيف، وذكر فى خطبته العباس».

هـذا، وقد وصف ابن كثير سـيطرة السـلاجقة على بغداد، وفرضـهم مذهبهم، ومصادرتهم الحرية المذهبية التى كانت زمن الدولة البويهية الشيعية! فقال فى النهاية:12/86: «وفيها أُلْزِمَ الروافض بترك الأذان بحى على خير العمل، وأمروا أن ينادى مؤذنهم فى أذان الصبح بعد حى على الفلاح: الصـلاة خير من النوم مرتين، وأزيل ما كان على أبواب مساجـدهم من كتابـة: محمد وعلى خير البشـر، ودخل المنشدون من باب البصـرة إلى باب الكرخ ينشـدون بالقصائـد التى فيها مـدح الصـحابة! وذلک أن نَوْءَ الرافضة اضـمحل لأن بنى بُوَيْهْ كانوا حكاماً وكانوا يقوونهم وينصـرونهم، فزالوا وبـادوا وذهبت دولتهم وجـاء بعـدهم قوم آخرون من الأتراک السـلجوقية الـذين يحبون أهل السـنة ويوالونهم ويرفعون قـدرهم، والله المحمود أبـداً على طول المـدى. وأمر رئيس الرؤساء الوالى بقتل أبى عبد الله بن الجلاب شـيخ الروافض، لما كان يتظاهر به من الرفض والغلو فيه، فقتل على باب دكانه، وهرب أبو جعفر الطوسى ونهبت داره»! انتهى.

وهكذا يحمدون الله على توفيقهم لظلم الناس، وإكراهم على الأذان والعبادة على مذهبهم، ويفتخرون بقتل أحد علماء الشيعة وصلبه على باب دكانه، واضطرار مرجع الشيعة إلى الهرب من بغداد إلى النجف! وقد تأسفوا لأنهم لم يستطيعوا قتله، لكنهم نهبوا داره ومكتبته!

وفى مقابل هذا القمع الحنبلى لم يسجِّل الرواة أن الشيعة أجبروا أحداً على صلاتهم ومذهبهم، أو قتلوا علماء السنة عندما كانت لهم كلمة، كما فى دولة البويهيين، ودولة الخليفة الناصـر العباسـى الشـيعى، ودولة السـلاطين المغول الشـيعة، بل احترموا علماء المذاهب وعامتهم! وبهذا صح قول ابن الصيفى:

فحسبكمُ هذا التفاوتُ بيننا وكل إناءٍ بالذى فيه يَنْضَحُ.

6- من العوائل الشيعية فی بغداد

آل يقطين

فی رجال النجاشی/273: «علی بن يقطين بن موسی البغدادی، سكنها وهو كوفی الأصل، مولی بنی أسد، أبو الحسن، و كان أبوه يقطين بن موسی داعية (للعباسيين) طلبه مروان (الحمار) فهرب. وولد علی بالكوفة سنة أربع وعشرين ومائة، وكانت أمه هربت به وبأخيه عبيد إلی المدينة حتی ظهرت الدولة رجعت. مات سنة اثنتين وثمانين ومائة فی أيام موسی بن جعفر عليه السلام».

وفی فهرست ابن النديم/279: «وهربت أم علی به وبأخيه عبيد بن يقطين إلی المدينة فلما ظهرت الدولة الهاشمية ظهر يقطين وعادت أم علی بعلی وعبيد. فلم يزل يقطين فی خدمة أبی العباس وأبی جعفر (المنصور) ومع ذلک يری رأی آل أبی طالب ويقول بإمامتهم، وكذلک ولده. وكان يحمل الأموال إلی جعفر بن محمد بن علی والألطاف، ونمَّ خبره إلی المنصور والمهدی فصرف الله عنهم كيدهما. وتوفی علی بن يقطين بمدينة السلام سنة اثنتين وثمانين ومائة، وسِنُّهُ سبع وخمسون سنة، وصلی عليه ولی العهد محمد بن الرشيد. وتوفی أبوه بعده فی سنة خمس وثمانين ومائة. ولعلی بن يقطين، كتاب ما سئل عنه الصادق من أمور الملاحم. كتاب مناظرته للشاک بحضرة جعفر».

وفی ذيل تاريخ بغداد:4/202: «وكانت له وصلة بعيال جعفر بن محمد الصادق، فأتت منزله بابنيها، فاستدنی جعفر علياً وأقعده علی حجره ومسح علی رأسه. فلما ظهر بنو العباس ظهر يقطين وعادت أم علی بعلی وعبيد... ولما نقل المهدی إلی الرصافة صُيِّرَ فی حجر يقطين، فنشأ المهدی وعلی بن يقطين كأنهما أخوان، فلما أفضت الخلافة إلی المهدی استوزر علی بن يقطين وقدمه، وجعله علی ديوان

الزمام وديوان البسر والخاتم، فلم يزل فی یده حتی توفی المهدی وأفضی الأمر إلی الهادی، فأقره علی وزارته ولم یشرک معه أحداً من أمره، إلی أن توفی الهادی وصار الأمر إلی الرشید فأقره شهراً، ثم صرفه بیحیی بن خالد البرمکی».

وقال العلامة فی الخلاصة/174: «علی بن یقطین بن موسی البغدادی، سکن بغداد وهو کوفی الأصل، روی عن أبی عبد الله علیه السلام حدیثاً واحداً، وروی عن أبی الحسن موسی علیه السلام فأکثر، وکان ثقة جلیل القدر، له منزلة عظیمة عند أبی الحسن علیه السلام، عظیم المکان فی هذه الطائفة. قال أبو عمرو الکشی: علی بن یقطین مولی بنی أسد وکان یبیع الأبزار وهی التوابل، ومات فی زمن أبی الحسن موسی وأبو الحسن علیه السلام محبوس سنة ثمانین ومائة...عن داود الرقی قال: دخلت علی أبی الحسن علیه السلام یوم النحر فقال مبتدئاً: ما عرض فی قلبی أحد وأنا فی الموقف إلا علی بن یقطین، فإنه ما زال معی وما فارقنی حتی أفضت»!

وقال السید الخوئی فی المعجم: 13/242، ملخصاً: «علی بن یقطین رحمه الله ثقة جلیل القدر، له منزلة عظیمة عند أبی الحسن موسی علیه السلام عظیم المکانة فی الطائفة...

ولعلی بن یقطین رضی الله عنه کتب منها: کتاب ما سأل عنه الصادق علیه السلام من الملاحم، وکتاب مناظرة الشاک بحضرته علیه السلام، وله مسائل عن أبی الحسن موسی بن جعفر علیه السلام أخبرنا بکتبه ومسائله، الشیخ المفید رحمه الله والحسین بن عبید الله...

وعده ابن شهرآشوب من خواص أصحاب الکاظم علیه السلام.

سمعت مشایخ أهل بیتی یحکون أن علیاً وعبیداً ابنی یقطین، أدخلا علی أبی عبد الله علیه السلام فقال: قربوا منی صاحب الذؤابتین وکان علیاً، فقرب إلیه فضمه إلیه ودعا له بالخیر.

لما قدم أبو إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام العراق، قال له على بن يقطين: أما ترى حالى وما أنا فيه؟ فقال: يا على إن لله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه وأنت منهم يا على!

قال أبو الحسن عليه السلام لعلى بن يقطين: اضمن لى خصلة أضمن لک ثلاثاً، فقال على: جعلت فداک، وما الخصلة التى أضمنها لک وما الثلاث اللواتى تضمنهن لى؟ قال: فقال أبو الحسن عليه السلام: الثلاث اللواتى أضمنهن لک أن لا يصيبک حر الحديد أبداً بقتل، ولا فاقة، ولا سقف سجن، قال: فقال على: وما الخصلة التى أضمنها لک؟ قال: فقال: يا على، وأما الخصلة التى تضمن لى أن لا يأتيک ولى أبداً إلا أكرمته، قال: فضمن له على الخصلة وضمن له أبو الحسن الثلاث.

وقال أبو الحسن عليه السلام: إن لله مع كل طاغية وزيراً من أوليائه يدفع به عنهم».

آل نوبخت

كان المنصور عاملاً لابن المهلب على خراج بليدة فى الأهواز كما ذكر الذهبى، فكسر الخراج أى سرقه، فحبسه ابن المهلب! وتعرَّف فى السجن على نوبخت المنجم جد آل نوبخت البغداديين.(تاريخ بغداد:10/53).

وفى تاريخ بغداد:10/56، وتاريخ دمشق:32/53، وسير الذهبى:7/88، أن نوبخت أخبر المنصور بأنه سيحكم بلاد المسلمين، فاستبشر المنصور بذلک وكتب له: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا نوبخت إذا فتح الله على المسلمين وكفاهم مؤونة الظالمين ورد الحق إلى أهله، لم نغفل ما يجب من حق خدمتک إيانا. وكتب أبو جعفر. قال نوبخت: فلما ولى الخلافة صرت إليه فأخرجت الكتاب، فقال: أنا له ذاكر ولک متوقع، فالحمد لله الذى صدق وعده وحقق الظن.

وجعله المنصور منجمه الخاص بمرتبة وزرائه، وأقطعه محلة النوبختية ببغداد، وهى منطقة سوق الشورجة. وكان منهم وزراء وعلماء وأطباء ومنجمون ومترجمون إلى

العربية: «وفی القرنین الثالث والرابع کان لکثیر من النوبختیة الشیعة نفوذ کبیر فی الدولة العباسیة، منهم: الحسین بن علی بن العباس، الذی کان یتولی الکتابة للأمیر أبی بکر محمد بن رائق، وکان فی مرتبة الوزراء ببغداد، مدبر الأمور حاکماً علی الدولة. وقال الذهبی فی علی بن عباس النوبختی: رئیس ولی وکالة المقتدر توفی324. (مجلة تراثنا: 55/211).

وفی هامش الذریعة:1/69: «آل نوبخت بیت جلیل من متکلمی الإمامیة، جدهم نوبخت کان من الفرس ومن أفاضل المنجمین صاحب المنصور الدوانیقی، وقام مقامه ولده الذی غیر المنصور اسمه وسماه بأبی سهل، وکان الفضل بن أبی سهل هذا صاحب التصانیف وخازن کتب دار الحکمة للرشید، وقام مقامه ولده إسحاق بن الفضل، وله ولدان إبراهیم بن إسحاق صاحب الیاقوت وعلی بن إسحاق الذی ذکر فی رجال الشیخ أنه من أصحاب الرضاوالجواد وبقی إلی عصر الهادی علیهم السلام.

وأما إسماعیل بن علی صاحب إبطال القیاس، فقد صنف فی فنون العلوم أکثر من ثلثین کتاباً ذکرها ابن الندیم. وقال النجاشی إنه شیخ المتکلمین من أصحابنا لقی العسکری علیه السلام وروی عنه وحضر وفاته سنة260، وهو خال الحسن بن موسی النوبختی صاحب الفرق والمطبوع غیر مرة، وتخرج علیه جماعات کأبی الجیش المظفر بن محمد البلخی وأبی الحسن الناشی والحمدونی والسوسنجردی وغیرهم.وهو الذی أظهر کذب الحسین بن منصور الحلاج ومحمد بن علی الشلمغانی».

وقد نبغ من آل نوبخت علماء کبار وأولیاء، وکان منهم ولی الله أبو القاسم الحسین بن روح بن أبی بحر النوبختی قدس سره السفیر الثالث للإمام المهدی صلوات الله علیه، وستأتی ترجمته. (راجع فی بنی نوبخت: فهرست ابن الندیم/225و333، والشیعة وفنون الإسلام/68، وتهذیب المقال:2/195، وأعیان الشیعة:2/93).

آل فرات

وهم من العوائل المعروفة البارزة فى بغداد وكان منهم رئيس وزراء وكذا الباقطانيون، وكذا آل بسطام الجعفيين ويقال لهم بنو سبرة، وكذا آل حمدان التغلبيين أمراء الموصل وحلب، وكان بعضهم فى بغداد، ثم آل مقلة ، ومنهم الخطاط المشهور على بن مقلة، الذى طور الخط العربى.

وفى نشوار المحاضرة/1066، دافع الوزير ابن الفرات عن إعطائه مناصب كبيرة للشيعة بأنهم أكفأ من غيرهم، قال: «يتمعضنى الناس بتعطيلى مشايخ الكتاب وتفريقى الأعمال على آل بسطام وآل نوبخت، والله لولا أنه لا يحسن تعطيل نفر من العمال وقد قلدتهم، لما استعملت فى الدنيا إلا آل نوبخت دون غيرهم. قال أبو الحسين: وإنما كان يتعصب لآل بسطام لرياسة أبى العباس عليه وللمذهب، ويتعصب لآل نوبخت للمذهب».

7- المراسم الدينية عند الشيعة فى بغداد

تكاثر الوجود الشيعى فى بغداد مع سرعة عمرانها، فسكن فيها كثير من شيعة الكوفة والمدينة وبلاد الشام وإيران، ولم يمض قرن من الزمان حتى صاروا مع الشيعة السابقين جمهوراً واسعاً، وبرزت منهم شخصيات علمية وسياسية.

وكانت أهم مواسمهم الدينية زيارة الإمام موسى الكاظم والجواد عليها السلام فى بغداد وزيارة الإمام الحسين عليه السلام فى كربلاء. وكانوا يقيمون مراسم عاشوراء فى محلاتهم فيعطلون أسواقهم ويرفعون أعلام السواد، ويعقدون مجالس التعزية، ينشدون فيها الشعر ويقرؤون فيها سيرة الحسين عليه السلام ومقتله.

وكان ذلک يثير المتعصبين فيعملون لمنع إقامة المآتم والزيارة، ويحركون الحكومة ضدهم لتمنعهم، فكانت تمنع إقامة مراسم عاشوراء فى بعض السنوات فتحدث

مصادمات بين الشرطة والشيعة. وكانت أحياناً لا تستجيب للحنابلة فيتصدون هم لمنعها بالقوة، فتحدث مصادمات بينهم وبين الشيعة!

وكان مجسمة الحنابلة يكايدون الشيعة، فيعلنون الفرح فى محلاتهم ببغداد يوم عاشوراء! تقليداً لبنى أمية الذين جعلوه عيداً واحتفلوا فيه، وأفتوا باستحباب توزيع الحلوى والتوسعة على العيال، وأفتوا بصيامه شكراً لله على انتصار يزيد على الحسين عليه السلام ووضعوا أحاديث باستحباب الفرح يوم عاشوراء!

قال العجلونى فى كشف الخفاء:2/234: «من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم ترمد عيناه، رواه الحاكم والبيهقى فى شعبه والديلمى عن ابن عباس، رفعه. وقال الحاكم: منكر، وقال فى المقاصد: بل موضوع. وقال فى اللآلئ بعد أن رواه عن ابن عباس من طريق الحاكم: حديث منكر! والإكتحال لايصح فيه أثر فهو بدعة، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات، وقال الحاكم أيضاً: الإكتحال يوم عاشوراء لم يرو عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيه أثر، وهو بدعة ابتدعها قتلة الحسين رضى الله عنه وقبحهم. نعم رواه فى الجامع الصغير بلفظ: من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبداً..وقال ابن رجب فى لطائف المعارف: كل ما روى فى فضل الإكتحال والإختضاب والإغتسال فيه موضوع لم يصح».

ونص أحد فقهاء السنة على أن الفرح بعاشوراء بدعةٌ من يزيد وابن زياد!

قال البكرى الدمياطى فى إعانة الطالبين:2/301: «قال العلامة الأجهورى: أما حديث الكحل فقال الحاكم إنه منكر، وقال ابن حجر إنه موضوع، بل قال بعض الحنفية إن الإكتحال يوم عاشوراء لما صار علامةً لبغض آل البيت وجب تركه. قال: وقال العلامة صاحب جمع التعاليق: يكره الكحل يوم عاشوراء، لأن يزيداً وابن زياد اكتحلا بدم الحسين هذا اليوم، وقيل بالإثمد، لتقر عينهما بفعله»!

فكان حنابلة بغداد المتعصبون ومعهم بعض المسؤولين العباسيين يقلدون بنى أمية فى الفرح يوم عاشوراء!

ثم رأى أتباع بنى أمية أن عملهم شماتة مفضوحة بآل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاخترعوا صوم يوم عاشوراء شكراً لله على نجاة بنى إسرائيل ليغطوا به على عيد يزيد! ودونوه فى صحيح بخارى ومسلم: «كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيداً ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فصوموه أنتم» (مسلم:3/150، ونحوه بخارى:2/251).

والى الآن ما زلنا نرى فى السعودية صوم الشكر ومظاهر الفرح بإقامة الأعراس فى يوم عاشوراء! وكل ذلک إرثٌ من بنى أمية ومجسمة حنابلة بغداد!

وقد سجل المؤرخون حدوث اضطرابات سنوية فى بغداد بسبب اعتداء الحنابلة أو السلطة على الشيعة لمنعهم من إقامة مراسم عاشوراء، أو منعهم من زيارة الإمامين الكاظم والجواد عليها السلام فى بغداد، والحسين عليه السلام فى كربلاء.

قال الذهبى فى تاريخه:26/17: «أحداث سنة أربع وخمسين وثلاث مائة: فيها عمل يوم عاشوراء ببغداد مأتم الحسين كالعام الماضى».

وقال فى حوادث سنة355: «أقيم المأتم يوم عاشوراء ببغداد على العادة».

وقال فى حوادث 382: «فمنع أهل الكرخ وباب الطاق من النوح يوم عاشوراء ومن تعليق المسوح (شعارات السواد)، كان كذلک يعمل من نحو ثلاثين سنة».

«فى عاشوراء أغلق أهل الكرخ أسواقهم، وعلقوا عليها المسوح وناحوا، وذلک لأن السلطان انحدر عنهم فوقع القتال بينهم وبين السنة ثم أنزل المسوح وقتل جماعة». (تاريخ الذهبى:29/5).

«تقدم إلى أهل الكرخ أن لا يعملوا مأتماً يوم عاشوراء فأخلفوا، وجرى بين أهل السنة والشيعة مازاد على الحد من القتل والجراحات». (تاريخ الذهبى:30 /5).

«وفى يوم عاشوراء أغلق أهل الكرخ الدكاكين وعلقوا المسوح، وأقاموا المأتم على الحسين، وجددوا ما بطل من مدة. فقامت عليهم السنة، وخرج مرسوم الخليفة بإبطال ذلک، وحبس جماعة مدة أيام».(تاريخ الذهبى:30/291).

وقال فى الكامل فى حوادث سنة358: «وفيها عمل أهل باب البصرة يوم السادس والعشرين من ذى الحجة زينة عظيمة وفرحاً كثيراً، وكذلک عملوا ثامن عشر المحرم مثل ما يعمل الشيعة فى عاشوراء، وسبب ذلک أن الشيعة بالكرخ كانوا ينصبون القباب وتعلق الثياب للزينة اليوم الثامن عشر من ذى الحجة، وهو يوم الغدير، وكانوا يعملون يوم عاشوراء من المأتم والنوح وإظهار الحزن ما هو مشهور، فعمل أهل باب البصرة فى مقابل ذلک بعد يوم الغدير بثمانية أيام مثلهم، وقالوا هو يوم دخل النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر الغار، وعملوا بعدة عاشورا بثمانية أيام مثل ما يعملون يوم عاشوراء، وقالوا هو يوم قتل مصعب بن الزبير».

وفى تاريخ الذهبى:39/5: «ظهر فى أيام عاشوراء من الرفض ببغداد أمر عظيم حتى سبوا الصحابة، وكانوا فى الكرخ إذا رأوا مكحلاً ضربوه».

ولم يذكر الذهبى أن المكحلين والمخضبين كانوا من مجسمة الحنابلة يأتون إلى أحياء الشيعة للتحدى، فقد روى الصفدى فى الوافى (11/300) قول أبى الحسين الجزار:

«ويعود عاشوراء يذكرنى

رزء الحسين فليت لم يعدِ

فليتَ عيناً فيه قد كُحلتْ

بمسَرَّةٍ لم تَخْلُ من رمدِ

ويداً به لشماتةٍ خُضِبَتْ

مقطوعةً من زندها بيدى»

ثم أخذت السلطة تستدعى علماء سنيين معتدلين للخطابة فى بغداد، ليجمعوا الشيعة والسنة على حب أهل البيت عليهم السلام والترضى على أبى بكر وعمر، وقد سجل المؤرخون خبر مجالس ابن الجوزى الكبيرة، الذى كان يروى فيها مناقب أهل البيت عليهم السلام ويترضى عن الشيخين وعن الإمام الحسين عليه السلام ويلعن يزيد ومن شاركه فى قتل الحسين عليه السلام، وقد ألف كتاباً فى جواز لعن يزيد.

قال ابن الجوزى عن سنة568: «جلست يوم عاشوراء بجامع المنصور، فحضر من الجمع ما حزر بمائة ألف» (تاريخ الذهبى:39/43). وقال: «تقدم إلىَّ بالجلوس تحت المنظرة، فتكلمت فى ثالث المحرم والخليفة حاضر، وكان يوماً مشهوداً. ثم تقدم إلىَّ بالجلوس يوم عاشوراء فكان الزحام شديداً زائداً على الحد، وحضر أمير المؤمنين». (تاريخ الذهبى:40/5).

ولم تعجب هذه المجالس الذهبى فقال فى تاريخه (41/368) عن أحمد بن إسماعيل بن يوسف القزوينى، إمام الشافعية: «قال ابن النجار: كان رئيس أصحاب الشافعى وكان إماماً فى المذهب والخلاف والأصول والتفسير والوعظ... وكان يجلس بالنظامية وبجامع القصر ويحضر مجلسه أمم.. ولما ظهر التشيع فى زمان ابن الصاحب التمس العامة منه يوم عاشوراء على المنبر أن يلعن يزيد فامتنع، ووثبوا عليه بالقتل مرات فلم يُرَعْ ولا زلَّ له لسان ولا قدم وخلص سليماً.وفى أيام مجد الدين بن الصاحب صارت بغداد كالكرخ وجماعة من الحنابلة تشيعوا، حتى أن ابن الجوزى صار يسجع ويلغز إلا رضى الدين القزوينى فإنه تصلب فى دينه وتشدد».

يقصد الذهبى أن ابن الجوزى مال إلى الشيعة، ولا يصح قوله، بل كان ابن الجوزى يعتقد بجواز لعن يزيد، وألف كتاباً فى ذلك.

وفى النهاية لابن كثير:12/33: «وفيها (سنة420) ورد كتاب من محمود بن سبكتكين أنه أحلَّ بطائفة من أهل الرى من الباطنية والروافض قتلاً ذريعاً وصلباً شنيعاً، وأنه انتهب أموال رئيسهم رستم بن على الديلمى، فحصل منها ما يقارب ألف ألف دينار.. وفى هذا اليوم جمع القضاة والعلماء فى دار الخلافة، وقرئ عليهم كتاب جمعه القادر بالله، فيه مواعظ وتفاصيل مذاهب أهل البصرة، وفيه الرد على أهل البدع، وتفسيق من قال بخلق القرآن...

وفى يوم الإثنين غرة ذى القعدة جمعوا أيضاً كلهم، وقرئ عليهم كتاب آخر طويل يتضمن بيان السنة والرد على أهل البدع... وذكر فضائل أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب، ولم يفرغوا منه إلا بعد العتمة، وأخذت خطوطهم بموافقة ما سمعوه. وعزل خطباء الشيعة وولى خطباء السنة، ولله الحمد والمنة على ذلک وغيره. وجرت فتنة بمسجد براثا وضربوا الخطيب السنى بالآجر، حتى كسروا أنفه وخلعوا كتفه، فانتصر لهم الخليفة وأهان الشيعة وأذلهم»!

وقال ابن خلدون (4/477): «كانت مدينة بغداد قد احتفلت فى كثرة العمران بما لم تنته إليه مدينة فى العالم منذ مبدأ الخليقة فيما علمناه... وربما حدثت الفتن من أهل المذاهب ومن أهل السنة والشيعة، من الخلاف فى الإمامة ومذاهبها، وبين الحنابلة والشافعية وغيرهم، من تصريح الحنابلة بالتشبيه فى الذات والصفات ونسبتهم ذلک إلى الإمام أحمد وحاشاه منه، فيقع الجدال والنكير، ثم يفضى إلى الفتنة بين العوام، وتكرر ذلک منذ حُجِر الخلفاء.

ولم يقدر بنو بُويَهْ ولا السلجوقية على حسم ذلک منها، لسكنى أولئک (البويهيين) بفارس وهؤلاء (السلاجقة) بأصبهان، وبعدهم عن بغداد، وإنما تكون ببغداد شحنة (حامية عسكرية) تحسم ما خف من العلل، ما لم ينته إلى عموم الفتنة».

8- منعت السلطة زيارة مشهد الكاظمين والحسين عليهم السلام

شملت تعديات السلطة ومجسمة الحنابلة زوار الإمامين الكاظمين والإمام الحسين عليهما السلام، ففى الكافى (1/525): «خرج نهى عن زيارة مقابر قريش والحاير، فلما كان بعد أشهر دعا الوزير الباقطائى فقال له: إلق بنى الفرات والبرسيين وقل لهم: لا يزوروا مقابر قريش فقد أمر الخليفة أن يتفقد كل من زار فيقبض عليه».

ولم يكتف الخليفة بمنع الشيعة من زيارة قبر الحسين عليه السلام بل أراد هدمه!

ففى أمالى الشيخ الطوسى/328: «بلغ المتوكل جعفر بن المعتصم (المتوكل) أن أهل السواد يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبر الحسين عليه السلام فيصير إلى قبره منهم خلق كثير، فأنفذ قائداً من قواده وضم إليه كتفاً من الجند كثيراً ليشعب قبر الحسين ويمنع الناس من زيارته والإجتماع إلى قبره عليه السلام. فخرج القائد إلى الطف وعمل بما أمر، وذلک فى سنة سبع وثلاثين ومائتين، فثار أهل السواد به واجتمعوا عليه وقالوا: لو قتلنا عن آخرنا لما أمسک من بقى منا عن زيارته، ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا، فكتب بالأمر إلى الحضرة فورد كتاب المتوكل إلى القائد بالكف عنهم والمسير إلى الكوفة مظهراً أن مسيره إليها فى مصالح أهلها والإنكفاء إلى المصر! فمضى الأمر على ذلک حتى كانت سنة سبع وأربعين، فبلغ المتوكل أيضاً مصير الناس من أهل السواد والكوفة إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين وأنه قد كثر جمعهم كذلک وصار لهم سوق كبير، فأنفذ قائداً فى جمع كثير من الجند، وأمر منادياً ينادى ببراءة الذمة ممن زار قبر الحسين، ونبش القبر وحرث أرضه وانقطع الناس عن الزيارة، وعمل على تتبع آل أبى طالب والشيعة رضى الله عنهم، فقتل ولم يتم له ما قَدَّر».

وفى أمالى الطوسى/327: «قال: حدثنى أبو برزة الفضل بن محمد بن عبد الحميد قال: دخلت على إبراهيم الديزج وكنت جاره، أعوده فى مرضه الذى مات فيه

فوجدته بحال سوء، وإذا هو كالمدهوش وعنده الطبيب، فسألته عن حاله وكانت بينى وبينه خلطة وأنس يوجب الثقة بى والإنبساط إلىَّ، فكاتمنى حاله وأشار لى إلى الطبيب، فشعر الطبيب بإشارته ولم يعرف من حاله ما يصف له من الدواء ما يستعمله، فقام فخرج وخلا الموضع، فسألته عن حاله فقال: أخبرک والله وأستغفر الله: إن المتوكل أمرنى بالخروج إلى نينوى إلى قبر الحسين، فأمرنا أن نكربه ونطمس أثر القبر، فوافيت الناحية مساء معنا الفعلة والروزكاريون، (العمال الميامون) معهم المساحى والمرور، فتقدمت إلى غلمانى وأصحابى أن يأخذوا الفعلة بخراب القبر وحرث أرضه، فطرحت نفسى لما نالنى من تعب السفر ونمت، فذهب بى النوم فإذا ضوضاء شديدة وأصوات عالية وجعل الغلمان ينبهوننى، فقمت وأنا ذعر فقلت للغلمان: ما شأنكم؟ قالوا: أعجب شأن. قلت: وما ذاک؟ قالوا: إن بموضع القبر قوماً قد حالوا بيننا وبين القبر، وهم يرموننا مع ذلک بالنشاب، فقمت معهم لأتبين الأمر فوجدته كما وصفوا!

وكان ذلک فى أول الليل من ليالى البيض فقلت: إرموهم، فرموا فعادت سهامنا إلينا فما سقط سهمٌ منها إلا فى صاحبه الذى رمى به فقتله! فاستوحشت لذلک وجزعت وأخذتنى الحمى والقشعريرة ورحلت عن القبر لوقتى! ووطنت نفسى على أن يقتلنى المتوكل لما لم أبلغ فى القبر جميع ما تقدم إلى به!

قال أبو برزة: فقلت له: قد كفيت ما تحذر من المتوكل، قد قتل بارحة الأولى وأعان عليه فى قتله المنتصر، فقال لى: قد سمعت بذلک وقد نالنى فى جسمى ما لا أرجو معه البقاء! قال أبو برزة:كان هذا فى أول النهار فما أمسى الديزج حتى مات.

قال ابن خشيش: قال أبو الفضل: إن المنتصر سمع أباه يشتم فاطمة عليها السلام فسأل رجلاً من الناس عن ذلک فقال له: قد وجب عليه القتل إلا أنه من قتل أباه لم يطل له عمر. قال: ما أبالى إذا أطعت الله بقتله أن لا يطول لى عمر، فقتله وعاش بعده سبعة أشهر»!

9- أئمة أهل البيت عليهم السلام فى بغداد

تشـرفت بغـداد بثلاثـة من أئمـة أهل البيت عليهم السـلام هم: الإمام الصادق والكاظم والجواد، فقد أحضـر المنصور الإمام الصادق عليه السلام إلى بغداد أكثر من مرة، وأراد أن يقتله، مع أنه يعرف حق المعرفة أنه إمام ربانى، ويشهد بذلک!

قال العلامة الحلى قدس سـره فى منهاج الكرامة/56: «وكان عبـد الله بن الحسن جمع أكابر العلويين للبيعـة لولـده، فقال له الصادق عليه السـلام: إن هذا الأمر لايتم! فاغتاظ من ذلک فقال عليه السـلام:إنه لصاحب القباء الأصفر، وأشار بذلک إلى المنصور! فلما سمع المنصور بـذلک فرح لعلمه بوقوع ما يُخبر به، وعلم أن الأمر يصل إليه. ولما هرب المنصور (من جيش ابراهيم بن عبد الله بن الحسن) كان يقول: أين قول صادقهم»!

وقد أحضـر المنصور الإمام الصادق عليه السـلام فى حج سنة142 إلى مقره فى الربذة، وسـنة147 عنـدما زار المدينة، وقبلها وبعدها إلى الأنبار والحيرة وبغداد.

وفى مهج الدعوات/198: «دعاء مولانا الصادق عليه السلام... لما استدعاه المنصور مرة سادسة، وهى ثانى مرة إلى بغداد».

وكان فى كل مرة ينوى قتله فيحدث له مانع بمعجزة وكرامة للإمام عليه السلام، حتى تمكن من دس السم له بعد اثنتى عشرة سنة من حكمه!

وفى هذه السـنوات الإثنتى عشـرة مع الأربع سـنوات فى عهد السـفاح اسـتطاع الإمام عليه السلام أن يبث العلوم ويُخرِّج العلماء، ويعمق الإيمان فى الخاصة والعامة.

وقد وصفالإمام الصادق عليه السلام قرار المنصور بإبادة العلويين بعد انتصاره على الحسنيين! فقال كما فى مقاتل الطالبيين/233: «لما قُتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بباخمرى، حُسِرْنا عن المدينة ولم يُترک فيها منا محتلم، حتى قدمنا الكوفة، فمكثنا فيها شهراً نتوقع فيها القتل! ثم خرج إلينا الربيع الحاجب فقال: أين هؤلاء العلوية؟

أدخلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوى الحجى. قال: فدخلنا إليه أنا والحسن بن زيد، فلما صرت بين يديه قال لى: أنت الذى تعلم الغيب؟ قلت: لايعلم الغيب إلا الله. قال: أنت الـذى يجبى إليک هذا الخراج؟ قلت: إليک يجبى يا أمير المؤمنين الخراج. قال: أتدرون لم دعوتكم؟ قلت: لا. قال: أردت أن أهدم رباعكم وأروع قلوبكم وأعقر نخلكم، وأترككم بالسراة لا يقربكم أحد من أهل الحجاز وأهل العراق فإنهم لكم مفسدة»!

وتراجع المنصور يومها عن قتله، وقال أحد أصـحابه:«فدخلت يوماً على أبى جعفر الدوانيقى وإذا هو يفرک يديه ويتنفس تنفساً بارداً، فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذه الفكرة؟ فقال: يا محمد إنى قتلت من ذرية فاطمة بنت رسول الله ألفاً أو يزيدون، وقد تركت سـيدهم! فقلت له: ومَن ذلک يا أمير المؤمنين؟ فقال: ذلک جعفر بن محمد»! (دلائل الإمامة/ 298، ومهج الدعوات/18، وعيون المعجزات/80)

وفى إحـدى المرات أحضـر المنصور الإمام عليه السـلام إلى بغـداد فى جو إيجابى عنـدما كان يرتب الخلافة لابنه المهدى! قال محمد بن إبراهيم الإمـام العباسـى: «أرسـل المنصور بُكراً واسـتعجلنى الرسول وظننت أن ذلـک لأـمر حادث، فركبت إذ سـمعت وقع الحافر فقلت للغلام: أنظر من هذا فقال: هذا أخوک عبد الوهاب فرفقت فى السـير فلحقنى فسـلمت عليه وسـلم على فقال:أتاک رسول هذا؟ قلت: نعم، فهل أتاک؟ قال: نعم، قلت: فيمَ ذاک ترى؟ قال: تجده اشـتهى خلاً وزيتاً يريد الغداء، فأحب أن نأكل معه! قلت: ما أرى ذلک وما أظن هذا إلا لأمر! قال: فانتهينا إليه فدخلنا فإذا الربيع واقف عند الستر وإذا المهدى ولى العهد فى الدهليز جالس وإذا عبد الصمد بن على، وداود بن على، وإسـماعيل بن على، وسـليمان بن على وجعفر بن محمد بن على بن حسـين، وعبد الله بن حسن بن حسن، والعباس بن محمد. قال الربيع: إجلسوا مع بنى عمكم، قال فجلسنا فدخل الربيع وخرج فقال للمهدى: أدخل أصلحک الله، ثم دخل

فقال: أدخلوا جميعاً فـدخلنا وسـلمنا وأخذنا مجالسـنا، فقال للربيع: هات دوياً وما يكتبون فيه، فوضع بين يدى كل واحد منا دواة وورقاً، ثم التفت إلى عبـد الصـمد بن على فقال: يا عم حـدث ولـدك وإخوتک وبنى أخيک حديث البر والصـلة، فقال عبد الصـمد: حدثنى أبى عن جدى عبد الله بن العباس عن النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم أنه قال: إن البر والصلة ليطيلان الأعمار ويعمران الديار ويكثران الأموال ولو كان القوم فجاراً....ثم التفت المنصور إلى جعفر بن محمـد فقال: يا أبا عبـد الله حدث إخوتک وبنى عمک بحديث أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السـلام. قال: قال النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم: ما من ملک يصل رحمه وذوى قرابته ويعـدل على رعيته، إلا شد الله له ملكه وأجزل له ثـوابه وأكرم مـا به وخفف حسـابه» (تاريـخ دمشق:36/242، والمنتظم:9/106). فكان إحضار المنصور لشخصـيات بنى العباس وبنى على عليه السلام ليروى لهم أحاديث صلة الرحم ويجمعهم حول ولى عهده الذى سماه بالمهدى!

10- الإمام الجواد فى بغداد عليه السلام

فى مناقب آل أبى طالب:3/490: «لما بويع المعتصم(ابن هارون)جعل يتفقد أحواله فكتب إلى عبد الملک الزيات أن ينفذ إليه التقى عليه السـلام وأم الفضـل، فأنفـذ ابن الزيـات على بن يقطين إليه، فتجهز وخرج إلى بغـداد فـأكرمه وعظمه، وأنفـذ أشـناس بـالتحف إليه والى أم الفضل، ثم أنفـذ إليه شـراب حماض الأترج تحت ختمه على يـدى أشـناس وقال: إن أمير المؤمنين ذاقه قبل أحمـد بن أبى دؤاد وسـعد بن الخصيب، وجماعة من المعروفين، ويأمرک أن تشرب منها بماء الثلج...».

وفى الإرشاد:2/298: «لما أخرج أبو جعفر عليه السـلام من المدينـة إلى بغداد فى الدفعة الأولة من خرجتيه، قلت له عند خروجه: جعلت فداک، إنى أخاف عليک من هذا الوجه، فإلى من الأمر بعدک؟ قال: فكرَّ بوجهه إلى ضاحكاً وقال: ليس حيث

ظننت فی هذه السنة. فلما استدعی به إلی المعتصم صرت إلیه فقلت له: جعلت فداک أنت خارج، فإلی من هذا الأمر من بعدک؟ فبکی حتی اخضلت لحیته ثم التفت إلی فقال: عند هذه یخاف علیَّ، الأمر من بعدی إلی ابنی علی».

وفی الإرشاد:2/289: «أشخصه المعتصم فی أول سنة عشرین ومائتین إلی بغداد، فأقام بها حتی توفی فی آخر ذی القعدة من هذه السنة، فدفن فی ظهر قبر جده أبی الحسن موسی علیه السلام».

وفی المناقب:3/487: «قال ابن بابویه: سَمَّ المعتصم محمد بن علی. وأولاده: علی الإمام، وموسی وحکیمة وخدیجة وأم کلثوم.. وقد کان زوجه المأمون ابنته ولم یکن له منها ولد. وسبب وروده بغداد أشخاص المعتصم له من المدینة، فورد بغداد للیلتین من المحرم سنة عشرین ومائتین وأقام بها حتی توفی فی هذه السنة».

11- رسالة الإمام الهادی علیه السلام إلی شیعته فی بغداد

فی رجال الطوسی:2/800، عن أحمد بن محمد بن عیسی قال: «نسختُ الکتاب مع ابن راشد إلی جماعة الموالی الذین هم ببغداد المقیمین بها، والمدائن، والسواد، وما یلیها:أحمد الله إلیکم علی ما أنا علیه من عافیته وحسن عادته، وأصلی علی نبیه وآله أفضل صلواته، وأکمل رحمته ورأفته، وإنی أقمت أبا علی بن راشد مقام علی بن الحسین بن عبد ربه ومن کان قبله من وکلائی، وصار فی منزلته عندی، ووولیته ما کان یتولاه غیره من وکلائی قبلکم لیقبض حقی، وارتضیته لکم وقدمته علی غیره فی ذلک، وهو أهله وموضعه، فصیروا رحمکم الله إلی الدفع إلیه ذلک والی، وأن لا تجعلوا له علی أنفسکم علة، فعلیکم بالخروج عن ذلک والتسرع إلی طاعة الله وتحلیل أموالکم، والحقن لدمائکم، وتعاونوا علی البر والتقوی واتقوا الله لعلکم ترحمون.. نحن وأنتم فی ودیعة الله وحفظه. وکتبته بخطی والحمد لله کثیراً.

وفی کتـاب آخر: وأنـا آمرک یـا أیوب بن نوح أن تقطع الإکثـار بینک وبین أبی علی وأن یلزم کل واحـد منکما ما وُکل به وأمر بالقیام فیه بأمر ناحیته، فإنکم إذا انتهیتم إلی کل ما أمرتم به استغنیتم بذلک عن معاودتی. وآمرک یا أبا علی بمثل ما أمرتک یا أیوب، أن لا تقبل من أحد من أهل بغـداد والمـدائن شـیئاً یحملونه، ولا تلی لهم استیـذاناً علیَّ، ومُرْ من أتاک بشـیء من غیر أهل ناحیتک أن یُصَیِّره إلی الموکل بناحیته. وآمرک یا أبا علی فی ذلک بمثل ما أمرت به أیوب، ولیقبل کل واحد منکما قبل ما أمرته به».

ورواه فی غیبة الطوسـی/351، وفیه: «وروی محمـد بن یعقوب رفعه إلی محمـد بن فرج قـال:کتبت إلیه أسـأله عن أبی علی بن راشـد، وعن عیسـی بن جعفر بن عاصم، وعن ابن بند، وکتب إلی: ذکرت ابن راشد رحمه الله فإنه عاش سـعیداً ومات شهیداً، ودعا لابن بند والعاصمی، وابن بنـد ضـرب بعمود وقتل، وابن عاصم ضـرب بالسـیاط علی الجسـر ثلاث مائـة سوط ورمیَ به فی الدجلة! فهؤلاء جماعة المحمودین، وترکنا ذکر استقصائهم لأنهم معروفون مذکورون فی الکتب».

أقول: تـدل هـذه الرسالـة علی وجود الشـیعة من یومها وانتشارهم فی بغـداد وضواحیها وعلی أن نظام الوکلاء الـذی اعتمـده الأئمة علیهم السلام کان دقیقاً وفعالاً وحدیثاً. وتشیر إلی ظروف المراقبة للإمام علیه السلام ووکلائه، وبطش السلطة بخواص الشیعة والناشطین منهم.

12- السفراء الأربعة البغدادیون

اشارة

عاش السـفراء الأربعـة رضوان الله علیهم فی بغداد ودفنوا فیها، فقد انتقل عثمان بن سـعید العمری بعد وفاة الإمام العسـکری علیه السـلام الیها، وفی تلک الفترة ضعف مرکز سامراء وانتقل منها الخلفاء إلی بغداد! ولم یبق منها إلا مشهد الإمام الهادی والعسکری علیهما السلام . (معجم البلدان:3/176).

ویدل حدیث أحمد بن الدینوری (دلائل الإمامة/304) علی أن محمد بن عثمان العمری رحمه الله کان فی بغداد بعد وفاة الإمام العسکری علیه السلام سنة 260هجریة.

بل نصَّ حدیث وفد قم الذین وصلوا إلی سامراء أیام وفاة الإمام العسکری علیه السلام (کمال الدین/478): «وأمرنا القائم علیه السلام أن لا نحمل إلی سر من رأی بعدها شیئاً من المال، فإنه ینصب لنا ببغداد رجلاً یحمل إلیه الأموال، وتخرج من عنده التوقیعات.. وکنا بعد ذلک نحمل الأموال إلی بغداد إلی النواب المنصوبین بها ویخرج من عندهم التوقیعات».

وقال الصدوق فی کمال الدین/442: «ورآه من الوکلاء ببغداد:العمری، وابنه، وحاجز، والبلالی، والعطار، ومن الکوفة: العاصمی. ومن الأهواز: محمد بن إبراهیم بن مهزیار. ومن أهل قم: أحمد بن إسحاق. ومن أهل همدان: محمد بن صالح. ومن أهل الری: السامی، والأسدی یعنی نفسه. ومن آذربیجان: القاسم بن العلا. ومن نیسابور: محمد بن شاذان النعیمی. ومن غیر الوکلاء من أهل بغداد: أبو القاسم بن أبی حابس، وذکر جماعة کثیرین».

السفیر الأول: عثمان بن سعید العَمْری قدس سره

عثمان بن سعید العمری السمَّان الأسدی. کان من شبابه رحمه الله بواب الإمام الهادی علیه السلام ووکیله، ثم کان وکیل الإمام الحسن العسکری علیه السلام.

وقد وثقه کلاهما صلوات الله علیهما، ففی غیبة الطوسی/215، عن محمد بن إسماعیل وعلی بن عبد الله، الحسنیین قالا: «دخلنا علی أبی محمد الحسن علیه السلام بسر من رأی وبین یدیه جماعة من أولیائه وشیعته حتی دخل علیه بدر خادمه فقال: یا مولای بالباب قوم شعث غبر، فقال لهم: هؤلاء نفر من شیعتنا بالیمن..فی حدیث طویل یسوقانه، إلی أن قال الحسن علیه السلام لبدر: فامض فائتنا بعثمان بن سعید

العمری، فما لبثنا إلا یسیراً حتی دخل عثمان فقال له سیدنا أبو محمد علیه السلام: إمض یا عثمان، فإنک الوکیل والثقة المأمون علی مال الله، واقبض من هؤلاء النفر الیمنیین ما حملوه من المال. ثم ساق الحدیث إلی أن قالا: ثم قلنا بأجمعنا: یا سیدنا والله إن عثمان لمن خیار شیعتک، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتک، وأنه وکیلک وثقتک علی مال الله تعالی. قال: نعم، واشهدوا علیَّ أن عثمان بن سعید العمری وکیلی، وأن ابنه محمداً وکیل ابنی مهدیکم». وإثبات الهداة: 3/511.

وفی الطرائف/183: «وکان له علیه السلام وکلاء ظاهرون فی غیبته، معروفون بأسمائهم وأنسابهم وأوطانهم، یخبرون عنه بالمعجزات والکرامات، وجواب أمور المشکلات، بکثیر مما ینقله عن آبائه عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم عن الله تعالی من الغائبات منهم عثمان بن سعید العمری المدفون بقطقطان من الجانب الغربی ببغداد».

وتوفی عثمان بن سعید قدس سره فی بغداد، وقبره فیها قرب المیدان، وهو مزار للشیعة، ولذلک قام الوهابیون بالإعتداء علیه، وفجروا قربه عبوات فی هذه الأیام، أواخر شهر رمضان سنة1430:

http://www.alcauther.com/html/modules.php?name=News file=article sid=10392

«نفذ التکفیریون وأعوانهم البعثیون تفجیرین بعبوتین ناسفتین، استهدفتا المرقد الشریف لعثمان بن سعید العمری سفیر الإمام الحجة عجل الله تعالی فرجه الشریف، وأکد مصدر أمنی مطلع لشبکة نهرین نت أن الإرهابیین زرعوا عبوتین ناسفتین، واحدة فی المرقد الشریف والأخری فی مرآب قریب من المکان. وأضاف المصدر بأن حصیلة هذین التفجیرین کان استشهاد 3 مواطنین وجرح ثمانیة آخرین. والجدیر بالذکر أن المرقد الشریف للسفیر عثمان بن سعید العمری یقع بالقرب من ساحة المیدان فی العاصمة بغداد، وأن هذا التفجیر یأتی ضمن سلسلة تفجیرات تستهدف المراقد المقدسة من جدید».

السفير الثانی: محمد بن عثمان بن سعید العَمْری قدس سره

روی الطوسی فی الغیبة/368: «سمعت جعفر بن أحمد بن متیل القمی یقول: کان محمد بن عثمان أبو جعفر العمری رضی الله عنه، له من یتصرف له ببغداد نحو من عشرة أنفس، وأبو القاسم بن روح رضی الله عنه فیهم، وکلهم کانوا أخص به من أبی القاسم بن روح، حتی أنه کان إذا احتاج إلی حاجة أو إلی سبب ینجزه علی ید غیره لمَّا لم یکن له تلک الخصوصیة. فلما کان وقت مضیِّ أبی جعفر رضی الله عنه وقع الإختیار علیه، وکانت الوصیة إلیه».

وقال العلامة فی خلاصة الأقوال/250و432: «محمد بن عثمان بن سعید العمری، بفتح العین، الأسدی، یکنی أبا جعفر، وأبوه یکنی أبا عمرو، جمیعاً وکیلان فی خدمة صاحب الزمان علیه السلام، ولهما منزلة جلیلة عند هذه الطائفة، وکان محمد قد حفر لنفسه قبراً وسواه بالساج، فسئل عن ذلک فقال: للناس أسباب. ثم سئل بعد ذلک فقال: قد أمرت أن أجمع أمری، فمات بعد شهرین من ذلک، فی جمادی الأولی سنة خمس وثلاث مائة، وقیل سنة أربع وثلاث مائة، وکان یتولی هذا الأمر نحواً من خمسین سنة. فلما حضرت أبا جعفر محمد بن عثمان الوفاة واشتدت حاله، حضر عنده جماعة من وجوه الشیعة، منهم أبو علی بن همام، وأبو عبد الله محمد الکاتب، وأبو عبد الله الباقطانی، وأبو سهل إسماعیل بن علی النوبختی، وأبو عبد الله بن الوجناء، وغیرهم من الوجوه الأکابر، فقالوا له: إن حدث أمر فمن یکون مکانک؟ فقال لهم: هذا أبو القاسم الحسین بن روح بن أبی بحر النوبختی القائم مقامی، والسفیر بینکم وبین صاحب الأمر، والوکیل والثقة الأمین، فارجعوا فی أموورکم إلیه، وعولوا فی مهماتکم علیه، فبذلک أمرت وقد بلَّغت. ثم أوصی أبو القاسم بن روح إلی أبی الحسن علی بن محمد السمری، فلما حضرته الوفاة سئل أن یوصی فقال: لله أمر هو بالغه. ومات رحمه الله سنة تسع وعشرین وثلاث مائة».

وكانت وفاة محمد بن عثمان قدس سره أواخر جمادى الأولى سنة305، وقبره ببغداد فى محلتهم المعروفة باسم الخلانى، وهو مشهد كبير من معالم بغداد، يقصده الناس للزيارة والصلاة فى مسجده. (تهذيب المقال:2/401، ومقدمة علل الشرائع).

السفير الثالث: أبو القاسم الحسين بن روح النوبختى قدس سره

فى غيبة الطوسى/226، عن «محمد بن همام: إن أبا جعفر محمد بن عثمان العمرى قدس الله روحه، جمعنا قبل موته وكنا وجوه الشيعة وشيوخها، فقال لنا: إن حدث علىَّ حدث الموت فالأمر إلى أبى القاسم الحسين بن روح النوبختى، فقد أمرتُ أن أجعله فى موضعى بعدى، فارجعوا إليه وعَوِّلوا فى أموركم عليه».

وقال الشيخ الطوسى فى الغيبة/391: «قال ابن نوح: وسمعت جماعة من أصحابنا بمصر يذكرون أن أبا سهل النوبختى سئل فقيل له: كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح دونک؟ فقال: هم أعلم وما اختاروه، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم، ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتنى الحجة لعلى كنت أدل على مكانه، وأبو القاسم فلو كانت الحجة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه! أو كما قال».

وقال جعفر بن متيل رحمه الله كما فى كمال الدين/503:«لما حضرت أبا جعفر محمد بن عثمان العمرى السمان رضى الله عنه الوفاة، كنت جالساً عند رأسه أسائله وأحدثه وأبو القاسم الحسين بن روح عند رجليه، فالتفت إلىَّ ثم قال لى: قد أمرت أن أوصى إلى أبى القاسم الحسين بن روح، قال: فقمت من عند رأسه وأخذت بيد أبى القاسم وأجلسته فى مكانى، وتحولت عند رجليه».

وفى كمال الدين/519: «قال الحسين بن على بن محمد المعروف بأبى على البغدادى:ورأيت تلک السنة بمدينة السلام امرأة فسألتنى عن وكيل مولانا من هو؟

فأخبرهـا بعض القميين أنه أبو القاسم الحسـين بن روح وأشار إليها، فـدخلت عليه وأنا عنـده فقالت له: أيها الشـيخ أى شـىء معى؟ فقال ما معـک فـألقيه فى الدجلـة، ثم ائتنى حتى أخبرک! قـال فـذهبت المرأة وحملت ما كان معها فألقته فى الدجلـة، ثم رجعت ودخلت إلى أبى القـاسم الروحى قـدس الله روحه فقال أبو القاسم لمملوكـة له: أخرجى إلىَّ الحُق، فأخرجت إليه حُقَّةً فقال للمرأة: هـذه الحُقـة التى كانت معک ورميت بها فى الدجلـة، أخبرک بما فيها أو تخبرينى؟ فقالت له: بل أخبرنى أنت! فقال: فى هـذه الحقـة زوج سوار ذهب، وحلقة كبيرة فيها جوهرة، وحلقتان صـغيرتان فيهما جوهر، وخاتمان أحدهما فيروزج والآخر عقيق! فكان الأمر كما ذكر لم يغادر منه شيئاً! ثم فتح الحقة فعرض علىَّ ما فيها فنظرت المرأة إليه، فقالت: هذا الذى حملته بعينه ورميت به فى الدجلة، فغُشِىَ علىَّ وعلى المرأة، فرحاً بما شاهدناه من صدق الدلالة»!

وروى الطوسى فى الغيبة/394، عن الصـفوانى قال:«أوصـى الشيخ أبو القاسم رضى الله عنه إلى أبى الحسن على بن محمد السمرى رضى الله عنه، فقام بما كان إلى أبى القاسم، فلما حضرته الوفاة حضرت الشيعة عنده وسألته عن الموكل بعده، ولمن يقوم مقامه فلم يُظهر شيئاً من ذلک، وذكر أنه لم يؤمر بأن يوصى إلى أحد بعده فى هذا الشأن».

السفير الرابع: أبو الحسن على بن محمد السمرى قدس سره

قال العلامة الحلى فى خلاصة الأقوال/250، و432: «وأوصـى أبو القاسم ابن روح إلى أبى الحسن على بن محمد السمرى، فلما حضرت السـمرى الوفاة سـئل أن يوصـى فقال: لله أمر هو بالغه. والغيبـة الثانيـة هى التى وقعت بعد مضـى السـمرى.. ومات رحمه الله سـنة تسـع وعشرين وثلاث مائة».

وفى كمال الدين:2/516، عن الحسن بن أحمد المكتب قال: «كنت بمدينة السـلام فى السنة التى توفى فيها الشيخ على بن محمد السمرى قدس الله روحه، فحضرته

قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم. يا على بن محمد السمرى، أعظم الله أجر إخوانک فيک فإنک ميت ما بينک وبين ستة أيام، فاجمع أمرک ولا توص إلى أحد يقوم مقامک بعد وفاتک، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله عز وجل وذلک بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً.وسيأتى شيعتى من يدعى المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيانى والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه فقيل له: من وصيک من بعدک؟ فقال: لله أمر هو بالغه! ومضى رضى الله عنه، فهذا آخر كلام سمع منه» وغيبة الطوسى/242، وإعلام الورى/417، والإحتجاج:2/478، والخرائج:3/1128، وغيرها.

أقول:المنفى هو المشاهدة مع ادعاء السفارة، بقرينة قوله عليه السلام:«وسيأتى شيعتى من يدعى المشاهدة» أما المشاهدة بدون ادعاء سِمَة فهى ممكنة وقد وقعت كثيراً.

13- قبور السفراء الأربعة والمؤلفات فيهم

دوَّن علماؤنا سيرة السفراء الأربعة وأحاديثهم رضوان الله عليهم، وألفوا فيهم الكتب الخاصة، فقد ذكر فى الذريعة إلى تصانيف الشيعة (1/353) كتاين قديمين للسيرافى والجوهرى، قال: «أخبار الوكلاء الأربعة:وهم عثمان بن سعيد، ومحمد بن عثمان، والحسين بن روح، وعلى بن محمد السمرى، النواب المخصصون فى الغيبة الصغرى والسفراء والأبواب فيها الحجة المهدى عليه السلام، لأبى العباس أحمد بن على بن العباس بن نوح السيرافى، نزيل البصرة، من مشايخ النجاشى، توفى حدود النيف والعشرة بعد الأربع ماية كما يظهر من فهرس الشيخ، حيث إنه قال فيه إنه مات عن قرب وكان شروع الشيخ فى الفهرس بأمر الشيخ المفيد، لكنه فرغ منه بعد وفاته،

حيث ذكر فيه حكاية يوم وفاة المفيد فى سنة413، فيكون وفاة السيرافى أيضاً فى هذه الحدود.

أخبار الوكلاء الأربعة المذكورين، لأبى عبد الله الجوهرى، أحمد بن محمد بن عياش، صاحب مقتضب الأثر المتوفى سنة401، ذكره النجاشى».

وقبور السفراء الأربعة كلهم فى بغداد رضوان الله عليهم، فقد انتقل اليها السفير الأول عثمان بن سعيد بعد سنة أو سنتين من وفاة الإمام العسكرى عليه السلام كما دلت رواية أحمد بن محمد الدينورى. وقد وصف الشيخ الطوسى رحمه الله قبره وزيارته له فقال فى الغيبة/358: «قال أبو نصر هبة الله بن محمد: وقبر عثمان بن سعيد بالجانب الغربى من مدينة السلام فى شارع الميدان فى أول الموضع المعروف فى الدرب، المعروف بدرب جبلة فى مسجد الدرب يمنة الداخل إليه، والقبر فى نفس قبلة المسجد. قال محمد بن الحسن مصنف هذا الكتاب: رأيت قبره فى الموضع الذى ذكره، وكان بنى فى وجهه حائط وبه محراب المسجد، وإلى جنبه باب يدخل إلى موضع القبر فى بيت ضيق مظلم، فكنا ندخل إليه ونزوره مشاهرةً، وكذلک من وقت دخولى إلى بغداد وهى سنة ثمان وأربعمائة إلى سنة نيف وثلاثين وأربعمائة. ثم نقض ذلک الحائط الرئيس أبو منصور محمد بن الفرج وأبرز القبر إلى برًّا وعمل عليه صندوقاً، وهو تحت سقف يدخل إليه من أراده ويزوره، ويتبرک جيران المحلة بزيارته ويقولون هو رجل صالح، وربما قالوا هو ابن داية الحسين عليه السلام! ولا يعرفون حقيقة الحال فيه، وهو إلى يومنا هذا وذلک سنة سبع وأربعين وأربعمائة، على ما هو عليه».

أما السفير الثانى محمد بن عثمان رحمه الله فتوفى سنة305، وأن الإمام عليه السلام أخبره عن وفاته قبل شهرين، فاستعد وحفر قبراً وكان يقرأ فيه القرآن، وكتب على لوحة آيات القرآن، وأسماء الأئمة عليهم السلام ليدفنها معه.

وأما الحسين بن روح رحمه الله فتوفى سنة326 ففى غيبة الطوسى/386: «عن بنت أبى جعفر العمرى أن قبر أبى القاسم الحسين بن روح فى النوبختية فى الدرب الذى كانت فيه دار على بن أحمد النوبختى النافذ إلى التل وإلى الدرب الآخر وإلى قنطرة الشوك قال: وقال لى أبو نصر: مات أبو القاسم الحسين بن روح رضى الله عنه فى شعبان سنة ست وعشرين وثلاث مائة، وقد رويت عنه أخباراً كثيرة».

وأما وفاة على بن محمد السمرى فكانت سنة329، فى النصف من شعبان، وقد وصف الطوسى رحمه الله قبره فقال فى الغيبة/396:«عن أبى نصر هبة الله بن محمد الكاتب أن قبر أبى الحسن السمرى رضى الله عنه فى الشارع المعروف بشارع الخلنجى، من ربع باب المحول، قريب من شاطئ نهر أبى عتاب. وذكر أنه مات فى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة». راجع: أعيان الشيعة:6/21، وتهذيب المقال:2/400.

وقال السيد محمد صادق بحر العلوم فى مقدمة علل الشرائع/5، ملخصاً:

«ألف- أبو عمرو عثمان بن سعيد العمرى رحمه الله ... قبره بالجانب الغربى من بغداد مما يلى سوق الميدان، معروف يزار ويتبرک به الشيعة.

باء- أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمرى رحمه الله ،وهو المعروف بالخلانى توفى سنة305، آخر جمادى الأولى، وقبره فى الجانب الشرقى من بغداد عند والدته فى شارع باب الكوفة فى الموضع الذى كانت دوره ومنازله.

جيم- أبو القاسم الحسين بن روح بن أبى بحر النوبختى رحمه الله توفى سنة326، وقبره ببغداد فى الجانب الشرقى فى سوق العطارين يزار ويتبرک به وهو معروف باسم قبر الحسين بن روح.

دال- أبو الحسين على بن محمد السمرى رحمه الله ، توفى سنة329، وقبره فى الجانب الغربى مما يلى سوق الهرج والسراجين، وهو معروف يزار ويتبرک به».

14- مذاهب الغلو التى كانت فى بغداد

وأشهرها مذهب الحلاج، والشلمغانى، ومذهب بشار الشعيرى الذى عرف أتباعه بالكرخية المخمسة. وقد ترجم علماؤنا لعدد من المغالين وحذروا منهم.

ومذهب المخمسة مأخوذ من مذهب الحلول المجوسى، قالوا: «إن سلمان الفارسى والمقداد وعماراً وأبا ذر وعمر بن أمية الضمرى، هم الموكلون بمصالح العالم، تعالى الله عن ذلک علواً كبيراً». (خلاصة الأقوال للعلامة/364).

ولعل أول من أشاع ذلک فى بغداد أحمد بن هلال الكرخى، الملعون على لسان الإمام المهدى عليه السلام، فسُمِّىَ أتباعه الكرخية والكرخيين.

قال الطوسى فى الغيبة/414: «وكان الكرخيون مخمسة، لا يشک فى ذلک أحدٌ من الشيعة، وقد كان أبو دلف يقول ذلک ويعترف به.. وجنون أبى دلف وحكايات فساد مذهبه أكثر من أن تحصى، فلا نطول بذكرها الكتاب ها هنا».

وقال العلامة الحلى قدس سره فى خلاصة الأقوال/364، عن على بن أحمد الكوفى: «كان إمامياً مستقيم الطريقة وصنف كتباً كثيرة سديدة، ثم خلط وأظهر مذهب المخمسة وصنف كتاباً فى الغلو والتخليط. وقال ابن الغضائرى:كذاب غال صاحب بدعة ومقالة».

وترجم فى معجم البلدان:4/447، لكرخىٍّ آخر على نفس المذهب، لكنه من كرخة الأهواز، لا كرخة بغداد، قال:«أبو جعفر الكرخى المعروف بالجرو، وهذا الرجل مشهور بالجلالة فيهم قديماً وكان مقيماً بالبصرة، قال: وشاهدته أنا وهو شيخ كبير وقد اختلت حاله، فصار يلى الأعمال الصغار من قبل عمال البصرة... استفاض عنهم أنهم كانوا مخمسة يعتقدون أن علياً وفاطمة والحسن والحسين ومحمداً صلى الله عليه وآله وسلم خمسة أشباح أنوار قديمة، لم تزل ولا تزال، إلى غير ذلک من أقوال هذه

النحلة، وهى مقالة مشهورة».

وأصل مذهب المُخَمِّسة من بشار الشعيرى، ومذهبه تطوير لمذهب (العلياوية) الذى ظهر فى زمن الإمام الصادق عليه السلام!

فقد روى الطوسى رحمه الله فى رجاله: 2/701: «عن مرازم قال: قال لى أبو عبد الله عليه السلام: تعرف مبشر، بشر بتوهم الإسم قال: الشعيرى، فقلت: بشار؟ قال بشار! قلت: نعم جار لى! فقال عليه السلام: إن اليهود قالوا ووحدوا الله، وإن النصارى قالوا ووحدوا الله، وإن بشاراً قال قولاً عظيماً! إذا قدمت الكوفة فأته وقل له: يقول لک جعفر: يا كافر يا فاسق يا مشرک أنا برئ منک! قال مرازم: فلما قدمت الكوفة فوضعت متاعى وجئت إليه فدعوت الجارية، فقلت قولى لأبى إسماعيل هذا مرازم، فخرج إلىَّ فقلت له: يقول لک جعفر بن محمد: يا كافر يا فاسق يا مشرک أنا برئ منک! فقال لى: وقد ذكرنى سيدى! قال قلت: نعم ذكرک بهذا الذى قلت لک! فقال: جزاک الله خيراً وفعل بک، وأقبل يدعو لى!

ومقالة بشار هى مقالة العلياوية يقولون إن علياً عليه السلام هرب وظهر بالعلوية الهاشمية، وأظهر أنه عبده ورسوله بالمحمدية، فوافق أصحاب أبى الخطاب فى أربعة أشخاص على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأن معنى الأشخاص الثلاثة فاطمة والحسن والحسين تلبيس، والحقيقة شخص على لأنه أول هذه الأشخاص فى الأمة، وأنكروا شخص محمد صلى الله عليه وآله وسلم وزعموا أن محمداً عبد على!

وأقاموا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم مقام ما أقامت المخمسة سلمان! وجعلوه رسولاً لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فوافقوهم فى الإباحات والتعطيل والتناسخ»!

وفی رجال الطوسی:2/775: «لما مات أوصی إلی ابنه سمیع بن محمد فهو الإمام! ومن أوصی إلیه سمیع فهو إمام مفترض الطاعة علی الأمة، إلی وقت خروج موسی بن جعفر علیه السلام! وزعموا أن الفرض علیهم من الله تعالی إقامة الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان، وأنکروا الزکاة والحج وسائر الفرائض، وقالوا بإباحة المحارم والفروج والغلمان، واعتلوا فی ذلک بقول الله تعالی:

((أَوْ یُزَوِّجُهُمْ ذُکْرَانًا وَإِنَاثًا وَیَجْعَلُ مَن یَشَاء عَقِیمًا إِنَّهُ عَلِیمٌ قَدِیرٌ))!

وقالوا بالتناسخ.... وزعمت هذه الفرقة والمخمسة والعلیاویة وأصحاب أبی الخطاب أن کل من انتسب إلی أنه من آل محمد فهو مبطل فی نسبه مفتر علی الله کاذب، وأنهم الذی قال الله تعالی فیهم إنهم یهود ونصاری فی قوله:

((وَقَالَتِ الْیَهُودُ وَالنَّصَارَی نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ یُعَذِّبُکُم بِذُنُوبِکُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ))...

إذ کان محمد عندهم وعلی هو رب لا یلد ولا یولد ولا یستولد! تعالی الله عما یقولون علوا کبیراً.

وکان سبب قتل محمد بن بشیر لعنه الله، لأنه کان معه شعبذة ومخاریق... وکان عنده صورة قد عملها وأقامها شخصاً کأنه صورة أبی الحسن (الإمام الکاظم علیه السلام) فی ثیاب حریر، وقد طلاها بالأدویة وعالجها بحیل عملها فیها، حتی صارت شبیهاً بصورة إنسان وکان یطویها فإذا أراد الشعبذة نفخ فیها فأقامها! وکان یقول لأصحابه ان أبا الحسن علیه السلام عندی فإن أحببتم أن تروه وتعلموا أنی نبی فهلموا أعرضه علیکم، فکان یدخلهم البیت والصورة مطویة معه فیقول لهم: هل ترون فی البیت مقیماً أو ترون فیه غیری وغیرکم؟ فیقولون: لا، لیس فی البیت أحد، فیقول:

أخرجوا فيخرجون من البيت فيصير هو وراء الستر ويسبل الستر بينه وبينهم ثم يقدم تلك الصورة، ثم يرفع الستر بينه وبينهم، فينظرون إلى صورة قائمة وشخص كأنه شخص أبى الحسن لا ينكرون منه شيئاً ويقف هو منه بالقرب فيريهم من طريق الشعبذة أنه يكلمه ويناجيه ويدنو منه كأنه يسارُّه، ثم يغمزهم أن يتنحوا فيتنحون، ويسبل الستر بينه وبينهم فلا يرون شيئاً!

وكانت معه أشياء عجيبة من صنوف الشعبذة ما لم يروا مثلها، فهلكوا بها فكانت هذه حاله مدة، حتى رفع خبره إلى بعض الخلفاء أحسبه هارون أو غيره ممن كان بعده من الخلفاء وأنه زنديق، فأخذه وأراد ضرب عنقه فقال: يا أمير المؤمنين استبقنى فإنى أتخذ لک أشياء يرغب الملوک فيها فأطلقه! فكان أول ما اتخذ له الدوالى، فإنه عمد إلى الدوالى فسواها وعلقها وجعل الزيبق بين تلک الألواح، فكانت الدوالى تمتلئ من الماء وتميل الألواح وينقلب الزيبق من تلک الألواح فيتبع الدوالى لهذا، فكانت تعمل من غير مستعمل لها وتصب الماء فى البستان فأعجبه ذلک، مع أشياء عملها يضاهى الله بها فى خلقه الجنة. فقوده (جعله قائداً) وجعل له مرتبة.

ثم إنه يوماً من الأيام انكسر بعض تلک الألواح فخرج منها الزيبق، فتعطلت فاستراب أمره وظهر عليه التعطيل والإباحات! وقد كان أبو عبد الله وأبو الحسن عليهما السلام يدعوان الله عليه ويسألانه أن يذيقه حر الحديد فأذاقه الله حر الحديد».

وقد انخدع بهذه المذاهب والبدع بعض العوام. لكنها انتهت والحمد لله.

الفصل الثانی: بحث الروایات التی وردت عن بغداد

اشارة

1- تسمية بغداد بالزوراء

قال البكرى فى معجمه (2/705): «الزوراء بفتح أوله، ممدود. وهو إسم يقع على عدة مواضع، فمنها الزوراء بالمدينة، التى زاد عليها عثمان النـداء الثـالث يوم الجمعـة لمـا كثر الناس.. والزوراء: موضع آخر فى ديار بنى أسـد..والزوراء أيضاً رصافـة هشام بالشام وكانت للنعمان بن جبلـة..والزوراء: دار بالحيرة..هـدمها أبو جعفر المنصور..وروى أبو عمر الزاهـد عن العطافى عن رجاله قال: تـذاكروا عنـد الصادق الزوراء، فقالوا: الزوراء: بغداد. فقال الصادق: ليس الزوراء بغداد، ولكن الزوراء الرى». والرى الآن حى من طهران.

أقول: الزوراء التى بالمدينة بيت لعثمان عند السوق منحرف البناء أمرهم أن يصعدوا على سطحه ويؤذنوا قبل الأذان ليتهيأ الناس(1).

وفى معجم البلدان:3/155: «زوراء: تأنيث الأزور وهو المائل..ومنه سـميت القوس الزوراء لميلها، وبه سـميت دجلـة بغداد الزوراء.. قال الأزهرى: سميت الزوراء لازورار فى قبلتها.. وقال غيره: الزوراء مدينة أبى جعفر المنصور وهى فى الجانب الغربى، وهو أصح مما ذهب إليه الأزهرى بإجماع أهل السـير، قالوا: إنما سـميت الزوراء لأنه لما عمرها جعل الأبواب الداخلـة مزورة عن الأبواب الخارجة، أى ليست على سمتها».

1- صحيح بخارى:1/219، ومسلم:7/59، وابن ماجة: 1/359، وعمدة القارى:6/161، وابن أبى شيبة:6/54

وفی مجموع النووی:1/122: «وفی بغـداد أربع لغات: إحداها بدالین مهملتین. والثانیة بإهمال الأولی وإعجام الثانیة. والثالثة بغدان بالنون. والرابعـة مغدان. ومعناها بالعربیة عطیة الصـنم وقیل بسـتان الضم. وسـماها أبو جعفر المنصور مدینة السـلام لأن دجلة کان یقال لها وادی السلام: ویقال لها الزوراء أیضاً».

وقال المجلسی فی بحار الأنوار:5/279: «والزوراء: بغداد».

وتقدم فی روایة أمالی الطوسی/199،عن الإمام الباقر علیه السلام: «إن أمیر المؤمنین علیه السلام لما رجع من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء فقال للناس: إنها الزوراء فسـیروا وجنبوا عنها فإن الخسف أسرع إلیها من الوتد فی النخالة، فلما أتی موضعاً من أرضها قال: ما هذه الأرض؟ قیل أرض بحرا. فقال:أرض سباخ جنبوا».

وهذا یدل علی أن الزوراء إسم لمحلة قرب بغداد وبراثا، وأن أرض بحرا قسم من أرض الزوراء، وأن براثا تقع إلی یمینها، للآتی من النهروان.

وما ذکره البکری عن الإمام الصادق علیه السـلام رواه فی الکافی (8/177): «عن معاویة بن وهب قال تمثل أبو عبد الله علیه السـلام ببیت شعر لابن أبی عقب:

وینحر فی الزوراء منهم لدی الضحی

ثمانون ألفاً مثلما تنحر البدن

ثم قال لی: تعرف الزوراء؟ قال قلت: جعلت فداک یقولون إنها بغداد قال: لا، ثم قال علیه السـلام: دخلت الری؟ قلت نعم، قال: أتیت سوق الـدواب؟ قلت نعم، قال: رأیت الجبل الأسود عن یمین الطریق؟ تلک الزوراء یقتل فیها ثمانون ألفاً منهم ثمانون رجلاً من ولـد فلان کلهم یصلح للخلافة! قلت: ومن یقتلهم جعلت فداک؟ قال: یقتلهم أولاد العجم».

فهذا الحدیث عن زوراء أخری قرب الری، تقع فیها معرکة یقتل فیها ثمانون ألفاً، منهم ثمانون شـخصاً من ولد العباس، أو ولد أبی سـفیان أو غیرهما.وقد وقعت

معارک عدیدة فی الری وقتل فیها ألوف فی ثورة أبی مسلم الخراسانی، ثم فی معارک المأمون والأمین، ثم فی الأحداث الکثیرة بعدها.

فهو إخبار عن حدث یقع بعد عصر الإمام الصادق علیه السلام ولیس فیه أی إشارة إلی اتصاله بعصر ظهور المهدی عجل الله تعالی فرجه الشریف أو کونه علامة له.

وفی غیبة النعمانی/148، بسنده عن عبد الله بن ضمرة، عن کعب الأحبار أنه قال: «ومن نسل علی القائم المهدی الذی یبدل الأرض غیر الأرض، وبه یحتج عیسی بن مریم علیه السلام علی نصاری الروم والصین.إن القائم المهدی من نسل علی، أشبه الناس بعیسی بن مریم خلقاً وخلقاً وسمتاً وهیبة، یعطیه الله عز وجل ما أعطی الأنبیاء علیهم السلام ویزیده ویفضله. إن القائم من ولد علی له غیبة کغیبة یوسف ورجعة کرجعة عیسی بن مریم، ثم یظهر بعد غیبته مع طلوع النجم الأحمر، وخراب الزوراء وهی الری، وخسف المزورة وهی بغداد، وخروج السفیانی، وحرب ولد العباس مع فتیان أرمینیة وأذربیجان، تلک حرب یقتل فیها ألوف وألوف کل یقبض علی سیف محلی تخفق علیه رایات سود. تلک حرب یشوبها الموت الأحمر والطاعون الأغبر...

ثم ذکر حدیثاً عن علی علیه السلام جاء فیه: «إن لبنی العباس یوماً کیوم الطموح، ولهم فیه صرخة کصرخة الحبلی، الویل لشیعة ولد العباس من الحرب التی سنح بین نهاوند والدینور، تلک حرب صعالیک شیعة علی، یقدمهم رجل من همدان اسمه علی اسم النبی، منعوت موصوف باعتدال الخلق وحسن الخلق ونضارة اللون، له فی صوته ضجاج، وفی أشفاره وطف، وفی عنقه سطع، أفرق الشعر، مفلج الثنایا، علی فرسه کبدر تمام إذا تجلی عنه الظلام، یسیر بعصابة خیر عصابة آوت وتقربت ودانت لله بدین. تلک الأبطال من العرب الذین یلقحون حرب الکریهة، والدبرة یومئذ علی

الأعداء. إن للعدو يومذاک الصيلم والإستئصال».

أقول: يبدو أن النعمانی رحمه الله قبل حديث عبد الله بن ضمرة عن كعب، وحديث عمرو بن سعد عن أمير المؤمنين عليه السلام ولكنهما لا يصحان. فمضافاً إلى الإشكالات على متنه، فإن راويه عبد الله بن ضمرة السلولی لم يوثق عندنا، وحديثه مقطوع، وكعب الأحبار لم يدرک النبی صلى الله عليه وآله وسلم ولم يسند حديثه إليه. كما أن كعباً ليس ثقة عندنا، وقد كان مع معاوية ضد علی عليه السلام فلا ينسجم الحديث مع مذهبه!

نعم يحتمل أن يكون الحديث عن أبی بن كعب رحمه الله ونسب إلى كعب لأن عبد الله بن ضمرة يروی عنهما، لكن الاحتمال لا يكفی(1).

وأما حديث عمرو بن سعد فلم يوثقه أحد، وفی بقية رجاله وفی متنه إشكال، ثم هو يتحدث عن خراب بغداد فی أحداث ستقع «سنة إظهار غيبة المتغيب من ولدی» ولا بد أن يكون المقصود به معركة الإمام المهدی عليه السلام مع الظالمين.

2- رد روايات خسف بغداد وخرابها

شاع بين الناس إلى عصرنا أن بغداد سوف يخسف بها وتُزول، حتى يمرَّ المارُّ فيقول هنا كانت بغداد! وبعد تتبعی لروايات خراب بغداد اطمأنيت بأنها من وضع رواة بنی أمية، لأن العباسيين أنهوا الأمويين وحلت بغداد محل الشام، فزعم أتباع الأمويين أن السفيانی سينتقم لبنی أمية ويدمر بغداد.

فقد رووا عن جرير بن عبد الله البجلی قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: تبنی مدينة بين دجلة ودجيل والصراة وقطربل، تجبی إليها كنوز الأرض

1- راجع: معجم السيد الخوئی:11/240، وعلل الدارقطنی:11/44 وثقات العجلی:1/129، وتاريخ بخاری:5/122

يخسف بها، فلهى أسرع ذهاباً فى الأرض من الحديدة المحماة فى الأرض الخوارة»(1).

ورووا عن أبى الأسود الدؤلى عن على عليه السلام أنه قال: «سمعت حبيبى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يقول: سيكون لبنى عمى مدينة من قبل المشرق بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة، يشيد فيها بالخشب والآجر والجص والذهب، يسكنها شرار خلق الله وجبابرة أمتى، أما إن هلاكها على يد السفيانى، كأنى بها والله قد صارت خاوية على عروشها» (تاريخ بغداد:1/38).

و«قُطْرَبَّل..كلمة أعجمية إسم قرية بين بغداد وعكبرا، ينسب إليها الخمر، وما زالت متنزهاً للبطالين وحانة للخمارين». (معجم البلدان:4/371).

وقد عقد الخطيب البغدادى فى تاريخه(1/54) «باب ذكر أحاديث رويت فى الثلب لبغداد والطعن على أهليها، وبيان فسادها وعللها وشرح أحوال رواتها وناقليها».

وضعَّفَ هذه الأحاديث لوجود مجاهيل ووضاعين فى أسانيدها. وكذلک فعل ابن الجوزى فى كتابه: الموضوعات(2/60) بتفصيل، وأورد ستة عشر طريقاً لحديث جرير بن عبد الله البجلى، وضعفها.

ونلاحظ أن فى روايات خسف بغداد رواة يهوداً التقوا مع حلفائهم الأمويين فى التبشير بزوال بغداد، فقد روى الخطيب(1/67) «عن أبى يعقوب الإسرائيلى وكان قد قرأ الكتب أنه قيل له: ما بال بغداد لا تكاد تُرى فيها إلا مستعجلاً؟ فقال: لأنها قطعة من بابل فهى تبلبل بأهلها...قال أبو الحسين بن المنادى: فنظرنا ما فى كلام هذا الإسرائيلى فإذا هو كلام لا يصح فى المعتبر».

ومثل هذا الحديث يضع يدنا على العقدة اليهودية من بابل، التى ما زالت تعيش فى نفوسهم من يوم غزاهم نبوخذ نصر البابلى، فهم يحلمون بتدمير بابل وبغداد!

1- ملاحم ابن المنادى/43،وتذكرة القرطبى:2/681 و697،وجامع السيوطى:4/772، وموضوعات ابن الجوزى:2/61

3- أحاديث جيش السفيانى فى بغداد

أصل دخول جيش السفيانى إلى العراق قطعى، فهو من علامات ظهور الإمام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف ، وقد رواه السنة والشيعة، كالبخارى:2/159، وفى:3/19، وقد جزأ حديثه وعنونه بعناوين بعيدة! وفضح عمله الحاكم (4/520) ومسلم(8/166)(1).

وقال السيوطى فى الدر المنثور:5/240: «وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، عن ابن عباس فى قوله:

((وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ)).

قال: هو جيش السفيانى، قال: من أين أخذ؟ قال: من تحت أرجلهم».

وفى تفسير الطبرى:22/72، عن حذيفة برواية طويلة جاء فيها: «قال رسول الله وذكر فتنة بين أهل المشرق والمغرب: فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفيانى من الوادى اليابس فى فوره ذلك حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل فى المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاث مائة كبش من بنى العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها ثم يخرجون متوجهين إلى الشام..الخ.»(2).

1- راجع: الجمع بين الصحيحين:4/238و245/، وابن شيبة:15/43 وأحمد:6/316، وأبا داود:4/107، وتهذيب ابن عساكر:3/450، وجامع الأصول:10/179، وجمع الفوائد:1/55، والمسند الجامع:20/795، وابن ماجة:2/1350، والنسائى:5/207، والطبرانى الكبير:23/202، و:24/75، والحاكم:4/429، وصححه على شرط الشيخين، وعبد الرزاق:11/371.

2- والكشاف:3/467، وتذكرة القرطبى:2/693، وتفسيره:14/314، والبحر المحيط:7/293، ونوادر الأخبار/257، والإستيعاب:3/928.

وفی الفتن لابن حماد:1/329، «عن علی رضـی الله عنه قال: إذا نزل جیش فی طلب الذین خرجوا إلی مکة، فنزلوا البیداء خسف بهم ویباد بهم، وهو قوله عز وجل:

((وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ)).

من تحت أقدامهم».

والـذی اعتقده أن حدیث دخول جیش السـفیانی إلی الحجاز والعراق صـحیح فی أصـله بل متواتر بالمعنی، لکن الرواة الأمویین زادوا علیه سیطرة السفیانی علی العراق وتدمیره بغداد! لکن لا تجد ذلک فی روایات أهل البیت علیهم السلام.

بل تجـد فیها أن جیش السـفیانی یکون منتدباً لمهمة حفظ الأمن فی المدینة وفی العراق وتکون مدته قصـیرة لأنه قبل ظهور الإمام المهدی عجل الله تعالی فرجه الشریف ببضعة شهور.

وذکرت أحادیث أهل البیت علیهم السـلام أن جیشه فی العراق یصـیب أناساً من شـیعة آل محمد صـلی الله علیه وآله وسـلم، کما ذکرت سیطرته علی المدینة المنورة وقتله أفراداً وحبسه بنی هاشم، ثم یتجه إلی مکة فیخسف به. ولم تذکر أنه یدمر بغداد ولا یحتل العراق!

ففی تفسیر العیاشی:1/65، عن الإمـام البـاقر علیه السـلام قال: «ویظهر السـفیانی ومن معه حتی لا یکون له همـة إلا آل محمـد علیهما السـلام وشـیعتهم فیبعث بعثاً إلی الکوفة فیصـیب أناساً من شـیعة آل محمد علیهما السلام قتلاً وصلباً، ویبعث بعثاً إلی المدینة فیقتل بها رجلاً ویهرب المهدی والمنصور منها، ویؤخذ آل محمد صـغیرهم وکبیرهم، لا یترک منهم أحد إلا أخذ وحبس، ویخرج الجیش فی طلب الرجلین، ویخرج المهدی منها علی سنة موسی خائفاً یترقب، حتی یقدم مکة».

وفی الاختصاص/255، عن الإمـام البـاقر علیه السـلام أیضاً: «ثم لا یکون همه إلا الإقبال نحو العراق ویمر جیشه بقرقیسا فیقتلون بها مائة ألف رجل من الجبارین.

ویبعث السفیانی جیشاً إلی الکوفة وعدتهم سبعون ألف رجل، فیصیبون من أهل الکوفة قتلاً وصلباً وسبیاً، فبیناهم کذلک إذ أقبلت رایات من ناحیة خراسان تطوی المنازل طیاً حثیثاً ومعهم نفر من أصحاب القائم، وخرج رجل من موالی أهل الکوفة، فیقتله أمیر جیش السفیانی بین الحیرة والکوفة».

وبهذا یتضح أن ما ورد فی تدمیر بغداد وزوالها علی ید السفیانی، وأفاعیله الواسعة فی العراق، من إضافات الرواة الأمویین.

ومما یؤید ذلک أن أمیر المؤمنین علیه السلام أخبر بأن المهدی علیه السلام سیدمر الشام فی معرکته مع السفیانی والیهود، ففی معانی الأخبار/406، عن عبایة الأسدی، قال: «سمعت أمیر المؤمنین علیه السلام وهو مسجی وأنا قائم علیه یقول:لآبنینَّ بمصر منبراً، ولأنقضن دمشق حجراً حجراً، ولأخرجن الیهود والنصاری من کور العرب، ولأسوقن العرب بعصای هذه! قال قلت له: یا أمیر المؤمنین کأنک تخبرنا أنک تحیا بعد ما تموت؟! فقال: هیهات یا عبایة، ذهبت فی غیر مذهب. یفعله رجل منی».

فیبدو أن هذا الحدیث أثار الأمویین، فأضافوا إلی حدیث السفیانی الصحیح، أنه سیدمر بغداد ویقتل أهل العراق!

4- صحة الأحادیث التی تذم الجبابرة فی بغداد

قال العلامة الحلی فی کشف الیقین/80، فی فصل إخبار أمیر المؤمنین علیه السلام بالمغیبات: «ومن ذلک إخباره بعمارة بغداد، وملک بنی العباس، وذکر أحوالهم، وأخذ المغول الملک منهم. رواه والدی رحمه الله وکان ذلک سبب سلامة أهل الحلة والکوفة والمشهدین الشریفین من القتل، لأنه لما وصل السلطان هولاکو إلی بغداد، وقبل أن یفتحها هرب أکثر أهل الحلة إلی البطائح إلا القلیل، فکان من جملة القلیل والدی رحمه الله، والسید مجد الدین بن طاووس والفقیه ابن أبی العز، فأجمع رأیهم علی مکاتبة

السلطان بأنهم مطيعون داخلون تحت الإيلية، وأنفذوا به شخصاً أعجمياً فأنفذ السلطان إليهم فرماناً مع شخصين: أحدهما يقال له فلكة والآخر يقال له علاء الدين، وقال لهما إن كانت قلوبهم كما وردت به كتبهم فيحضرون إلينا، فجاء الأميران فخافوا لعدم معرفتهم بما ينتهى الحال إليه، فقال والدى رحمه الله : إن جئت وحدى كفى؟ فقالا: نعم، فأصعد معهما، فلما حضر بين يديه، وكان ذلک قبل فتح بغداد وقبل قتل الخليفة، قال له: كيف أقدمتم على مكاتبتى والحضور عندى قبل أن تعلموا ما ينتهى إليه أمرى وأمر صاحبكم! وكيف تأمنون إن صالحنى ورحلت عنه؟! فقال له والدى: إنما أقدمنا على ذلک لأنا روينا عن إمامنا على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال فى بعض خطبه: الزوراء وما أدراک ما الزوراء أرض ذات أثل، يشتد فيها البنيان ويكثر فيها السكان، ويكون فيها قهارم وخزان، يتخذها ولد العباس موطناً، ولزخرفهم مسكناً، تكون لهم دار لهو ولعب، ويكون بها الجور الجائر والخوف المخيف، والأئمة الفجرة والقراء الفسقة والوزراء الخونة، يخدمهم أبناء فارس والروم، لا يأتمرون بمعروف إذا عرفوه، ولا يتناهون عن منكر إذا أنكروه، يكتفى الرجال منهم بالرجال والنساء بالنساء! فعند ذلک الغم الغميم والبكاء الطويل، والويل والعويل لأهل الزوراء، من سطوات الترک وما هم الترک، قوم صغار الحدق، وجوههم كالمجان المطرقة، لباسهم الحديد، جرد مرد، يقدمهم ملک يأتى من حيث بدا ملكهم، جهورى الصوت قوى الصولة عالى الهمة، لا يمر بمدينة إلا فتحها ولا ترفع له راية إلا نكسها، الويل الويل لمن ناوأه، فلا يزال كذلک حتى يظفر.

فلما وصف لنا ذلک ووجدنا الصفات فيكم، رجوناک فقصدناک! فطيب قلوبهم وكتب لهم فرماناً باسم والدى رحمه الله يطيب فيه قلوب أهل الحلة وأعمالها»

ولم أجد مصدر هذا الحديث وسنده، ووجدت قريباً منه فى كفاية الأثر/213، عن علقمة بن قيس قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة خطبة اللؤلؤة فقال فيما قال فى آخرها: «ألا وإنى ظاعن عن قريب ومنطلق إلى المغيب،

فـارتقبوا الفتنـة الأمويـة والمملكـة الكسـروية وإماتـة ما أحياه الله وإحياء ما أماته الله، واتخـذوا صوامعكم بيوتكم، وعضوا على مثل جمر الغضا، فاذكروا الله ذكراً كثيراً، فـذكره أكبر لو كنتم تعلمون. ثم قال: وتبنى مدينـة يقال لها الزوراء بين دجلـة ودجيلـة والفرات، فلو رأيتموها مشـيدة بـالجص والآـجر، مزخرفـة بالـذهب والفضـة واللاـزورد المستسـقى، والمرمر والرخـام وأبواب العـاج والأبنوس، والخيم والقباب والشارات، وقد عُليت بالساج والعرعر والصـنوبر والخشب، وشيدت بالقصور، وتوالت عليها ملوك بنى الشيصبان أربعة وعشرون ملكاً على عـدد سـنى الملك الكديـد، فيهم السـفاح والمقلاص والجموع والخدوع والمظفر والمؤنث والنظار والكبش والمهتور والعشار والمصـطلم والمستصعب والعلام والرهبانى والخليع والسيار والمسرف والكديد والأكتب والمترف والأكلب والوشيم والظلام والعيوق.

وتعمل القبـة الغبراء ذات القلادة الحمراء! فى عقبها قائم الحق يسـفر عن وجهه بين الأقاليم كالقمر المضـئ بين الكواكب الدريـة. ألا وإن لخروجه علامات عشراً: أولها طلوع الكوكب ذى الذنب ويقارب من الحاوى، ويقع فيه هرج ومرج وشغب، وتلك علامات الخصب، ومن العلامة إلى العلامة عجب، فإذا انقضت العلامات العشر، إذ ذاك يظهر القمر الأزهر، وتمت كلمة الإخلاص لله على التوحيد»(1).

لكن اعتماد علماء الحلة على الحديث المتقدم يدل على أنه ثبت عندهم بسـند صـحيح، وإن لم يصـلنا مصدره، فى كثير من مصادرنا التى فقدناها.

ويظهر أن الأـمويين رووا أجزاء من أحـاديث أمير المؤمنين عليه السـلام وحـذفوا منهـا ذم بنى العباس وذكر المغول، وأضافوا لها أن بغـداد يخسف بها، أوأنها تُدَمَّر على يد السفيانى!

1- وملاـحم ابن طاووس/136،ومناقب ابن شهرآشوب:2/273، ومشارق البرسى/164، قـال: ومن ذلک ما ورد عنه فى خطبـة الإفتخار، وعنه إثبات الهداة:1/598 و:2/442، والبحار:36/354، و:41/318 و329، و:52/267.

الفصل الثالث: المنصور العباسی مؤسس بغداد

اشارة

1- شخصية المنصور وأسرته

أبو جعفر المنصور العباسى، أو المنصور الدوانيقى، هو ثانى الخلفاء العباسيين وهو مؤسس الدولة العباسية، ومؤسس المذاهب الأربعة، ومؤسس بغداد.

اسمه عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. وكان جده عبد الله بن عباس من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان معه فى حروبه مع عائشة وطلحة والزبير ومعاوية والخوارج، ثم كان ضد يزيد بن معاوية، وضد ابن الزبير، وقد نفاه الأخير من مكة، فسكن الطائف وتوفى فيها.

وكان ابنه الصغير على بن عبد الله أحب أبنائه إليه، فأوصاه أن يذهب بعد وفاته إلى الشام، لأن بنى أمية خير له من آل الزبير، فهم وبنو هاشم أولاد عبد مناف.

وسكن ابنه على فى الشام وأكرمه الأمويون، وبعده ابنه محمد، حتى غضب عليه الخليفة الأموى فأبعده إلى الأردن، وكان يعطيه نفقته.

وبرز ابنه إبراهيم بن محمد الذى تبناه قائد الثورة الخراسانية أبو سلمة الخلال، فسجنه الخليفة الأموى مروان بن محمد المعروف بمروان الحمار، ومات فى السجن. وهرب إخوته السفاح والمنصور وغيرهم من بنى العباس، وكانوا يتابعون أخبار ثورة الخراسانيين على الأمويين، لأنها كانت تحت شعار إعادة الحق إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولما انتصرت الثورة ووصلت قوات أبى مسلم الخراسانى إلى الكوفة، جاء العباسيون إليها، لكن قائد الثورة أبا سلمة الخلال حبسهم فى بيت، وأرسل مبعوثاً إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام يعرض عليه البيعة بالخلافة، فلم يقبل، فعرضها على عبد الله بن الحسن فلم يقبلها له وأرادها لابنه محمد، فقام أبو سلمة ببيعة السفاح واسمه أيضاً عبد الله.

كان السفاح أصغر من المنصور بعشر سنين، فقد ولد المنصور سنة 95 هجرية وولد السفاح سنة104، وزعموا أن أباهما أوصى للسفاح بعد إبراهيم، لأنه أصغر إخوته، وأمه حارثية من آل عبد المدان، وأم المنصور أمَةٌ فارسية.

وحكم السفاح أربع سنوات وكانت عاصمته الأنبار، وتوفى سنة 136 فجأة وهو شاب وعمره 35 سنة، وقالوا إنه أوصى للمنصور الذى كان عمره يومها41 سنة، فحكم نحو23، وجعل الخلافة فى أولاده، ولم تخرج منهم.

«وكان (المنصور) أسمر طويلاً، نحيف الجسم، خفيف العارضين، يخضب بالسواد». (تاريخ دمشق:32/346).

وأمه سلامة، وهى أمة (التنبيه للمسعودى/295) من بلدة إيذة الفارسية فى الأهواز، وقد ولدت بالبصرة، وأخذت ابنها المنصور إلى بلدها إيذة، فقد عمل فيها جابياً، وتزوج وولد ابنه المهدى فيها!

ولم تكن سلامة محترمة، فقد وصفها عبد الله عم المنصور بالزانية قال:«أفَعَلَها ابن سلامة الفاعلة، لا يكنى»! (أنساب الأشراف/1007).

وقد كتبنا فى جواهر التاريخ ترجمة وافية للمنصور، وأبرز صفاته، وخططه لإبادة أبناء على وفاطمة عليهما السلام ، وقتله الإمام الصادق عليه السلام.

2- نقّلَ المنصور العاصمة حتى استقر فى بغداد

نقل المنصور عاصـمته من الأنبار إلى الحيرة، ثم إلى الهاشـميات قرب الكوفـة، ثم بنى بغداد وسـكن فيها. قال فى معجم البلدان:1/459: «فـأنفق المنصور على عمـارة بغـداد ثمانيـة عشـر ألف ألف دينار.. وذاك أن الأسـتاذ من الصـناع كان يعمل فى كل يوم بقيراط إلى خمس حبات، والروزجارى (العامل) بحبتين إلى ثلاث حبات، وكان الكبش بـدرهم، والحمل بأربعـة دوانيق، والتمر سـتون رطلاً بدرهم... وكان بين كـل بـاب من أبواب المدينـة والبـاب الآـخر ميـل، وفى كـل سـاف من أسواف البناء مائـة ألف لبنـة واثنان وسـتون ألف لبنـة من اللبن الجعفرى...

وكان المنصور كما ذكرنا بنى مدينته مدورة وجعل داره وجامعها فى وسطها، وبنى القبة الخضراء فوق إيوان، وكان علوها ثمانين ذراعاً، وعلى رأس القبة صـنم على صورة فارس فى يده رمح... وسقط رأس هذه القبة سنة329، وكان يوم مطر عظيم ورعـد هائل، وكانت هذه القبة تاج البلد وعلم بغداد، ومأثرة من مآثر بنى العباس، وكان بين بنائها وسقوطها مائة ونيف وثمانون سنة... وكان لا يدخل أحد من عمومة المنصور ولا غيرهم من شـىء من الأبواب إلا راجلاً.. فقال له عمه عبـد الصـمد: يا أمير المؤمنين أنا شـيخ كبير، فلو أذنت لى أن أنزل داخل الأبواب فلم يأذن له..ثم أقطع المنصور أصحابه القطائع فعمروها».

وفى الطبرى:6/237، و297: «وبعث إلى راهب فى الصومعـة فقال: هل عندك علم أن يبنى هاهنا مدينة؟ فقال له: بلغنى أن رجلاً يقال له مقلاص يبنيهـا! قال أنا والله مقلاص»! «فرآه راهب كان هناك وهو يقـدِّر بناءها فقال: لا تتم! فبلغه فأتاه فقال: نعم، نجـد فى كتبنا أن الـذى يبنيها ملك يقال له مقلاص! قال أبو جعفر: كانت والله أمى تلقبنى فى صغرى مقلاصاً»! (تاريخ بغداد:1/87).

وأصل المقلاص: الناقة السمينة (الصحاح:3/1053) وسمى به سارق مشهور كان يسرق النوق السِّمان! ففى هامش النهاية لابن كثير:10/108: «مقلاص: اسم لص كانت تضرب به الأمثال، وكان أبو جعفر المنصور صبياً سرق غزلاً لعجوز كانت تخدمه وباعه لينفق على أتراب له، فلما علمت بفعلته سمته مقلاصاً، وغلب عليه هذا اللقب». وتاريخ الذهبى:9/33، والنهاية:10/108.

وسماه أمير المؤمنين عليه السلام بذلك فى خطبته عن بنى عباس! قال عليه السلام:«وتبنى مدينة يقال لها الزوراء بين دجلة ودجيل والفرات، فلو رأيتموها مشيدة بالجص والآجر مزخرفة بالذهب والفضة واللازورد المستسقى والمرموم والرخام وأبواب العاج والأبنوس.. وتوالت ملوك بنى الشيبصان (أى الشيطان) أربعة وعشرون ملكاً على عدد سنى الملك، فيهم السفاح والمقلاص والجموح والخدوع والمظفر والمؤنث والنطار والكبش والكيسر والمهتور والعيار الخ..».(كفاية الأثر/213، والمناقب:2/108).

3- ظلم بنى العباس أشهر من كفر إبليس!

كان السفاح أول خلفاء بنى العباس ليناً أكثر من بقيتهم! وكان شيعياً كبقية إخوته، فقد خطب عمه داود بن على فى مراسم بيعته فقال: «أيها الناس! الآن تقشعت حنادس الفتنة..وأخذ القوس باريها، ورجع الحق إلى نصابه فى أهل بيت نبيكم، أهل الرأفة بكم والرحمة لكم والتعطف عليكم.. وإنه والله أيها الناس ما وقف هذا الموقف بعد رسول الله أحد أولى به من على بن أبى طالب، وهذا القائم خلفى، فاقبلوا عباد الله ما آتاكم بشكر».(اليعقوبى:2/350).

وحكم السفاح أربع سنوات ومات دفعة، وتولى بعده أخوه المنصور وكان أكبر منه بعشر سنوات، ولا يبعد أنه سمه!. وحكم المنصور نحو23 سنة، وأباد أعمامه وإخوته أو أخضعهم، وحصر الخلافة فى أولاده، فلم يحكم بعده أحدٌ إلا من أولاده!

وظلم بنى العباس أشهر من كفر إبليس! فقد شكى أحد من ظلمهم فحكم عليه المنصور أن يدفن حياً! قال سديف الشاعر:

«إنا لنأمل أن ترتد ألفتنا

بعد التباعد والشحناء والإحن

وتنقضى دولة أحكام قادتها

فينا كأحكام قوم عابدى وثن

فطالما قد بروا فى الجور أعظمنا

برى الصناع قداح النبع بالسفن

فكتب المنصور إلى (عمه حاكم المدينة) عبد الصمد بن على بأن يدفنه حياً، ففعل»!

وقال أبو عطاء: يا ليت جور بنى مروان دام لناوليت عدل بنى العباس فى النار!

(حياة الإمام الرضا عليه السلام للسيد جعفر مرتضى/107، وشرح إحقاق الحق:3/421، عن العمدة لابن رشيق:1/58، طبع مصر).

وقال المنصور لأعرابى فى الشام: «أحمد الله يا أعرابى الذى رفع عنكم الطاعون بولايتنا أهل البيت! قال: إن الله تعالى لا يجمع علينا ولايتكم والطاعون! فسكت ولم يزل يطلب له العلل حتى قتله! (تاريخ دمشق:32/319، والنهاية:10/131).

وفى الإمامة والسياسة لابن قتيبة:2/144، أن المنصور سأل ابن أبى ذؤيب، ومالک بن أنس، وابن سمعان، وهم أئمة عند السنة: «أى الرجال أنا عندكم، أمن أئمة العدل، أم من أئمة الجور؟ فقال مالک: فقلت يا أمير المؤمنين، أنا متوسل إليک بالله تعالى وأتشفع إليک بمحمد وبقرابتک منه، إلا ما أعفيتنى من الكلام فى هذا! قال: قد أعفاک أمير المؤمنين، ثم التفت إلى ابن سمعان فقال له: أيها القاضى ناشدتک الله تعالى أى الرجال أنا عندک؟فقال ابن سمعان: أنت والله خير الرجال يا أمير المؤمنين، تحج بيت الله الحرام، وتجاهد العدو، وتؤمن السبل ويأمن الضعيف بک أن يأكله القوى، وبک قوام الدين، فأنت خير الرجال وأعدل الأئمة!

ثم التفت إلى ابن أبى ذؤيب فقال له: ناشدتک الله أى الرجال أنا عندک؟ قال: أنت والله عندى شر الرجال، استأثرت بمال الله ورسوله، وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين، وأهلكت الضعيف وأتعبت القوى وأمسكت أموالهم، فما حجتک غداً بين يدى الله؟

فقال له أبو جعفر: ويحک: ما تقول، أتعقل؟ أنظر ما أمامک! قال: نعم، قد رأيت أسيافاً، وإنما هو الموت ولا بد منه، عاجله خير من آجله!

ثم خرجا وجلست، قال: إنى لأجد رائحة الحنوط عليک! قلت: أجل: لما نمى إليک عنى ما نمى وجاءنى رسولک فى الليل ظننته القتل، فاغتسلت وتطيبت ولبست ثياب كفنىّ! فقال أبو جعفر:سبحان الله ما كنت لأثلم الإسلام وأسعى فى نقضه، أوَما ترانى أسعى فى أود الإسلام وإعزاز الدين عائذاً بالله مما قلت يا أبا عبد الله، انصرف إلى مصرک راشداً مهدياً، وإن أحببت ما عندنا فنحن ممن لا يؤثر عليک أحداً، ولا يعدل بک مخلوقاً!

فقلت: إن يجبرنى أمير المؤمنين على ذلک فسمعاً وطاعة، وإن يخيرنى أمير المؤمنين اخترت العافية. فقال: ما كنت لأجبرک ولا أكرهک، انقلب معافى مكلوءً.قال: فبت ليلتى، فلما أصبحنا أمر أبو جعفر بصرر دنانير، فى كل صرة خمسة آلاف دينار، ثم دعا برجل من شرطته فقال له: تقبض هذا المال وتدفع لكل رجل منهم صرة، أما مالک بن أنس إن أخذها فبسبيله وإن ردها لا جناح عليه فيما فعل، وإن أخذها ابن أبى ذؤيب فأتنى برأسه! وإن ردها عليک فبسبيله لا جناح عليه. وإن يكن ابن سمعان ردها فأتنى برأسه وإن أخذها فهى عافيته! فنهض بها إلى القوم، فأما ابن سمعان فأخذها فسلم، وأما ابن أبى ذؤيب فردها فسلم، وأما أنا فكنت والله محتاجاً إليها فأخذتها»!

أقول: وهذا من دهاء المنصور، ولا بد أنه قتله سراً بالسم ونحوه!

4- الثروة التى ورَّثها المنصور لابنه

قال الربيع الحاجب: «مات المنصور وفى بيت المال شـىء لم يجمعه خليفـة قط قبله مائـة ألف ألف درهم وسـتون ألف ألف درهم، فلما صارت الخلافة إلى المهدى قسم ذلک وأنفقه.

وقال الربيع: نظرنا فى نفقة المنصور فإذا هو ينفق فى كل سنة ألفى درهم، مما يجئ من مال الشراة». (تاريخ بغداد:3/11).

وقال الذهبى فى تاريخ الإسلام:10/438: «جمع من الأموال ما لا يعبر عنه، وكان مسيكاً (بخيلاً)، فذكر عن الربيع الحاجب أنه قال: مات المنصور وفى بيت المال مائـة ألف ألف درهم وسـتون ألف ألف درهم..وَزن ذلک المال بالقنطار الدمشـقى ألف قنطار وست مائـة قنطار وسبعون، وإذا صرف بها ذهب مصرى جاء أزيد من مائة قنطار وسبعين قنطاراً».

«فتح المنصور يوماً خزانة مما قبض من خزائن مروان بن محمد فأحصـى فيها اثنى عشـر ألف عدل خز، فأخرج منها ثوباً وقال: يا ربيع اقطع من هذا الثوب جبتين لى واحدة ولمحمد واحدة، فقلت: لا يجئ منه هذا.

قال: فاقطع لى منه جبـة وقلنسوة، وبخل بثوب آخر يخرجه للمهـدى! فلما أفضت الخلافـة إلى المهدى أمر بتلک الخزانة بعينها ففرقت على الموالى والغلمان». (تاريخ بغداد:3/11).

«قال لى المهدى: يا ربيع قم بنا حتى ندور فى خزائن أمير المؤمنين، قال فدرنا فوقفنا على بيت فيه أربع مائة حِبّ مطينة الرؤوس.

قال فقلنا: ما هذه؟ قيل: هذه فيها أكباد مُملحة، أعدها المنصور للحصار». (تاريخ دمشق:32/332).

5- كان المنصور شيعياً قبل ثورة الحسنيين!

كان المنصور شـيعياً وبايع مهدى الحسـنيين الذين ثاروا على الأمويين لإعادة الخلافة لآل النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وكان شعارهم البراءة من بنى تيم وعدى، وبنى أمية!

وكان المنصور يخـدم محمداً «قال عمير بن الفضل الخثعمى: رأيت أبا جعفر المنصور يوماً وقد خرج محمد بن عبد الله بن الحسن من دار ابنه، وله فرس واقف على البـاب مع عبـد له أسود، وأبو جعفر ينتظره، فلمـا خرج وثب أبو جعفر فأخـذ بردائه حتى ركب، ثم سوى ثيابه على السـرج ومضـى محمـد ! فقلت وكنت حينئذ أعرفه ولا أعرف محمدا: من هذا الذى أعظمته هذا الإعظام حتى أخذت بركابه، وسويت عليه ثيابه؟ قال: أوَما تعرفه؟ قلت: لا. قال: هذا محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، مهدينا أهل البيت». (مقاتل الطالبيين/161).

كما خطب عمه داود بن على فى مراسم بيعة السفاح، فقال: «وإنه والله أيها الناس ما وقف هذا الموقف بعد رسول الله أحد أولى به من على بن أبى طالب، وهذا القائم خلفى، فاقبلوا عباد الله ما آتاكم بشكر». (تاريخ (اليعقوبى:2/350).

كما كان العديد من وزراء المنصور وأنصاره شيعة، وقد أقطعهم إقطاعات فى بغداد، كآل يقطين وآل نوبخت.

6- المنصور مهندس الخلافة ومهندس المذاهب!

اشارة

بعـد عشـر سـنوات من خلافته، كان المنصور مشـغولاً ببناء بغـداد، فواجه ثورة الحسـنيين الخطيرة، فانشـغل بها عن كل شـىء، حيث أيد الحسـنيين كبار فقهاء الحجاز والعراق مثل مالك بن أنس وأبى حنيفة وسـفيان الثورى، وأفتوا بوجوب الثورة معهم على المنصور! وسـماه أبو حنيفة: «لص الخلافة»!

وسيطر الحسنيون على الحجاز والبصرة والأهواز وواسط، وهزم جيشهم الكثيف جيش المنصور ووصل إلى مشارف الكوفة، وتهيأ المنصور للهرب لولا أن قائد الحسنيين إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى، أصابه سهم طائش فقتله، فاستعاد المنصور النصر عليهم!

وبعد انتصاره رابط فى الكوفة، واشتغل بترتيب أوضاع الحجاز والعراق، بل بترتيب مستقبل الدولة العباسية، واتخذ فى ذلك قرارات تاريخية هامة، سياسية وعقائدية وفقهية، كانت وما زالت هى الحاكمة على حياة المسلمين وثقافتهم!

وبذلك صار المنصور عمر بن الخطاب الثانى، لأن الأول كان مهندس الخلافة الإسلامة وخطوط ثقافتهم العامة، وكان المنصور المهندس الثانى للخلافة ومذاهبها الفقهية وعقائدها وتفاصيل ثقافتها!

وأبرز مراسيمه وقراراته ستة:

الأول: تأسيس مذاهب مقابل مرجعية الإمام الصادق عليه السلام

يعترف أئمة المذاهب بأن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أبُ المذاهب الفقهية، وأستاذ أئمتها، ويروون تعظيمهم له عليه السلام علمياً وفقهياً وتقوى!

لذلك قرر المنصور أن يؤسس مذاهب فقهية بإمامة تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام ليصرف مرجعية المسلمين منه اليهم!

قال الذهبى فى سيره (8/111) وابن خلدون فى مقدمته/18، إن المنصور أحضر مالك بن أنس وقال له بدهائه: «لم يبق على وجه الأرض أعلم منى ومنك! وإنى قد شغلتنى الخلافة، فضع أنت للناس كتاباً ينتفعون به، تجنب فيه رخص ابن عباس وشدائد ابن عمر ووطئه للناس توطئة. قال مالك: فوالله لقد علمنى التصنيف يومئذ»!

وقال القاضى عياض فى ترتيب المدارك/124: «قال مالك: فقلت له: إن أهل العراق لا يرضون علمنا (لأنهم شيعة أو متأثرون بهم)!

قال: يُضربُ عليه عامَّتُهم بالسيف وتقطع عليه ظهورهم بالسياط»!

وشـرط عليـه المنصـور أن لاـ يروى عـن على عليـه السـلام! ولـذلک لاتجـد فى الموطـأ أى روايـة عـن على عليـه السـلام! (مسـتدرک الوسائل:1/20).

وقـد أسـس مالک المذهب المالکى، مع أنه يقول: «ما رأت عينى أفضل من جعفر بن محمد، فضـلاً وعلماً وورعاً، وكان لايخلو من إحدى ثلاـث خصـال: إمـا صائمـاً وإمـا قائمـاً وإمـا ذاكراً. وكان من عظماء البلاد، وأكابر الزهاد الـذين يخشون ربهم، وكان كثير الحـديث طيب المجالسة كثير الفوائد، فإذا قال: قال رسول الله اخْضَرَّ مرةً واصْفَرَّ أخرى حتى لينكره من لا يعرفه». (مناقب آل أبى طالب:3/396).

وقـال مالـک أيضاً: «اختلفتُ إلى جعفر بن محمـد زماناً، وما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصل، وإما صائم، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحـدِّث عن رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم إلاـ على طهارة. وكان لا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء العباد الزهاد الـذين يخشون الله.

ولقد حججت معه سنة، فلما أتى الشجرة أحرم، فكلما أراد أن يُهِلَّ كاد يغشى عليه فقلت له: لابد لک من ذلک، وكان يكرمنى وينبسط إلى، فقال: يا أبن أبى عامر إنى أخشى أن أقول لبيک اللهم لبيک، فيقول: لا لبيک ولا سعديک!

ولقد أحرم جده على بن حسـين، فلما أراد أن يقول اللهم لبيک أو قالها، غُشِيَ عليه وسقط عن ناقته» (التمهيد لابن عبد البر:2/67، وبعضه تهذيب التهذيب:2/88).

ولو سألت مالكاً:ما دامت هذه عقيدتک فى أستاذک، فلماذا أسست مذهباً ضده ولماذا لم ترو عنه فى كتابک الموطأ إلا خمسة أحاديث؟!

فجوابه: إن المنصور العباسى أمره بذلک، والمأمور معذور!

وكـذلک حال أبی حنيفة، فقد سـئل: «من أفقه من رأيت؟ قال: جعفر بن محمد، لمَّا أَقْدَمَهُ المنصور بعث إلیَّ فقال: يا أبا حنيفة إن الناس قد فُتنوا بجعفر بن محمـد، فهيِّ له مسائلـک الشـداد، فهيـأت له أربعين مسألـة، ثم بعث إلیَّ أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته فـدخلت عليه وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصـرت به دخلنی من الهيبة لجعفر ما لم يدخلنی لأبی جعفر، فسـلمت عليه فأومأ إلیَّ فجلست، ثم التفت إليه فقال: يا أبا عبـد الله هـذا أبو حنيفـة. فقال: نعم أعرفه. ثم التفت إلیَّ فقال: ألق علی أبی عبد الله من مسائلک، فجعلت ألقی عليه ويجيبنی، فيقول: أنتم تقولون وكـذا، وأهل المدينـة يقولون كـذا، ونحن نقول كـذا، فربما تابعنا، وربما تابعهم، وربما خالفنا جميعاً، حتی أتيت علی الأربعين مسألـة فمـا أخـل منهـا بشـیء! ثم قـال أبو حنيفـة: أليس قـد روينـا: أعلم النـاس أعلمهم باختلاـف الناس»! (المناقب:3/378، وتهذيب الكمال:5/79، وسير الذهبی:6/258.. وغيره).

ولو سـألت أبا حنيفـة: ما دامت هـذه عقيـدتک فی أسـتاذک، فلماذا أسـست مـذهباً ضـده، وخالفت فقهه؟ فجوابه: هكـذا أمرنی أبو جعفر المنصور، والمأمور معذور!

وقال الذهبی فی سيره:6/257: «عن عمرو بن أبی المقـدام قال: كنت إذا نظرت إلی جعفر بن محمـد علمت أنه من سـلالة النبيين! قد رأيته واقفاً عند الجمرة يقول: سـلونی، سـلونی! وعن صالح بن أبی الأسود:سمعت جعفر بن محمد يقول سلونی قبل أن تفقدونی، فإنه لا يحدثكم أحد بعدی بمثل حديثی»!

وقال ابن حجر فی الصواعق/201: «ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشـر صيته فی جميع البلدان. روی عنه الأئمة الأكابر كيحيی بن سعيد وابن جريح، ومالک، والسفيانين، وأبی حنيفة، وشعبة، وأيوب السجستانی».

وقال الشيخ محمد أبو زهرة: «لا نستطيع فی هذه العجالة أن نخوض فی فقه

الإمام جعفر، فإنّ أُستاذ مالک وأبی حنیفة وسفیان بن عیینة، لا یمکن أن یدرس فقهه فی مثل هذه الإلمامة».

وقال ابن أبی الحدید: «أما أصحاب أبی حنیفة فأخذوا عن أبی حنیفة، وأما الشافعی فهو تلمیذ تلمیذ أبی حنیفة، وأما ابن حنبل فهو تلمیذ الشافعی. وأبو حنیفة قرأ علی جعفر الصادق، وعلمه ینتهی إلی علم جده علی علیه السلام».

وقال الإیجی فی المواقف:3/638: «کان أبو یزید (البسطامی) مع علو طبقته سَقَّاءً فی دار جعفر الصادق رضی الله عنه، وکان معروف الکرخی بواب دار علی بن موسی الرضا، هذا مما لا شبهة فی صحته، فإن معروفاً کان صبیاً نصرانیاً فأسلم علی ید علی بن موسی وکان یخدمه. وأما أبو یزید فلم یدرک جعفراً بل هو متأخر عن معروف، ولکنه کان یستفیض من روحانیة جعفر». والطرائف /520.

وترجم الحافظ أبو نعیم فی حلیة الأولیاء:3/192، للإمام الصادق علیه السلام بتفصیل، ومما قاله: «الإمام الناطق ذو الزمام السابق، أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق، أقبل علی العبادة والخضوع، وآثر العزلة والخشوع، ونهی عن الرئاسة والجموع..

أحمد بن عمرو بن المقدام الرازی قال: وقع الذباب علی المنصور فذبه عنه، فعاد فذبه حتی أضجره، فدخل جعفر بن محمد علیه فقال له المنصور: یا أبا عبدالله لم خلق الله الذباب؟ قال: لیُذَلَّ به الجبابرة!

وأقبل علی أبی حنیفة فقال: یا نعمان حدثنی أبی عن جدی أن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قال: أول من قاس أمر الدین برأیه إبلیس قال الله تعالی له: أسجد لآدم، فقال:

((أَنَاْ خَیْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِی مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِینٍ)).

فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس، لأنه اتبعه بالقياس!

ثم قال جعفر: أيهما أعظم قتل النفس أو الزنا؟ قال قتل النفس. قال: فإن الله عز وجل قبل فى قتل النفس شاهدين ولم يقبل فى الزنا إلا أربعة! ثم قال: أيهما أعظم الصلاة أم الصوم؟ قال: الصلاة، قال: فما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة فكيف ويحک يقوم لک قياسک! إتق الله ولا تقس الدين برأيک».

الثانى: إبادة العلويين حتى أطفالهم!

اتخذ المنصور قراراً بإبادة العلويين جميعاً حتى لو لم يقوموا بعمل ضد حكمه!

قال المفيد رحمه الله فى الإرشاد:1/311: «ومن آيات الله تعالى فيه (أمير المؤمنين عليه السلام) أنه لم يُمْنَ أحد فى ولده وذريته بما منى عليه السلام فى ذريته، وذلک أنه لم يعرف خوف شمل جماعة من ولد نبى ولا إمام ولا ملک زمان ولا بر ولا فاجر، كالخوف الذى شمل ذرية أمير المؤمنين عليه السلام، ولا لحق أحداً من القتل والطرد عن الديار والأوطان والإخافة والإرهاب ما لحق ذرية أمير المؤمنين عليه السلام وولده!

ولم يجر على طائفة من الناس من ضروب النكال ما جرى عليهم من ذلک، فقتلوا بالفتک والغيلة والإحتيال، وبنى على كثير منهم وهم أحياء البنيان، وعذبوا بالجوع والعطش حتى ذهبت أنفسهم على الهلاک، وأحوجهم ذلک إلى التمزق فى البلاد ومفارقة الديار والأهل والأوطان، وكتمان نسبهم عن أكثر الناس!وبلغ بهم الخوف إلى الإستخفاء من أحبائهم فضلاً عن الأعداء، وبلغ هربهم من أوطانهم إلى أقصى الشرق والغرب والمواضع النائية فى العمران، وزهد فى معرفتهم أكثر الناس، ورغبوا عن تقريبهم والإختلاط بهم، مخافة على أنفسهم وذراريهم من جبابرة الزمان»!!

وقال الحاكم الأنماطى النيسابورى كما فى عيون أخبار الرضا عليه السلام:2/102: «لما بنى المنصور الأبنية ببغداد، جعل يطلب العلوية طلباً شديداً،

ويجعل من ظفر منهم فى الأسطوانات المجوفة المبنية من الجص والآجر! فظفر ذات يوم بغلام منهم حسن الوجه، عليه شعر أسود من ولد الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام، فسلمه إلى البناء الذى كان يبنى له وأمره أن يجعله فى جوف أسطوانة ويبنى عليه ووكل عليه من ثقاته من يراعى ذلک حتى يجعله فى جوف أسطوانة بمشهده! فجعله البناء فى جوف أسطوانة فدخلته رقه عليه ورحمه له، فترک الأسطوانة فرجه يدخل منها الروْح، فقال للغلام: لا باس عليک فاصبر فإنى سأخرجک من جوف هذه الأسطوانة إذا جن الليل، فلما جن الليل جاء البناء فى ظلمه فأخرج ذلک العلوى من جوف تلک الأسطوانة وقال له: إتق الله فى دمى ودم الفعلة الذين معى وغيب شخصک فإنى إنما أخرجتک ظلمة هذه الليلة من جوف هذه الأسطوانة لأنى خفت إن تركتک فى جوفها أن يكون جدک رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة خصمى بين يدى الله عز وجل، ثم أخذ شعره بآلات الجصاصين كما أمكن وقال: غيب شخصک وانج بنفسک، ولا ترجع إلى أمک. فقال الغلام: فإن كان هذا هكذا فعرِّف أمى أنى قد نجوت وهربت، لتطيب نفسها ويقل جزعها وبكاؤها وإن لم يكن لعودى إليها وجه! فهرب الغلام ولا يدرى أين قصد من وجه أرض الله تعالى ولا إلى أى بلد وقع؟! قال ذلک البنَّاء: وقد كان الغلام عرفنى مكان أمه وأعطانى العلامة، فأنهيت إليها فى الموضع الذى دلنى عليه فسمعت دوياً كدوى النحل من البكاء، فعلمت أنها أمه فدنوت منها وعرفتها خبر ابنها وأعطيتها شعره وانصرفت».

وقد تقدم قول الإمام الصادق عليه السلام كما فى مقاتل الطالبيين/233: «لما قتل إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بباخمرى، حُسرنا عن المدينة ولم يُترک فيها منا محتلم، حتى قدمنا الكوفة، فمكثنا فيها شهراً، نتوقع فيها القتل.. الخ.»!

وقال الصدوق رحمه الله فى عيون أخبار الرضا عليه السلام:1/100: «باب ذكر من قتله الرشيد من أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد قتله لموسى

بن جعفر علیهما السلام بالسم فی لیله واحدة، سوی قتل منهم فی سائر الأیام واللیالی!

حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن الحسن البزاز...حدثنی عبید الله البزاز النیسابوری وکان مسناً قال: کان بینی وبین حمید بن قحطبة الطائی الطوسی معاملة فرحلت إلیه فی بعض الأیام فبلغه خبر قدومی فاستحضرنی للوقت وعلیَّ ثیاب السفر لم أغیرها، وذلک فی شهر رمضان وقت صلاة الظهر، فلما دخلت علیه رأیته فی بیت یجری فیه الماء فسلمت علیه وجلست، فأتیَ بطشت وإبریق فغسل یدیه، ثم أمرنی فغسلت یدی وأحضرت المائدة، وذهب عنی أنی صائم وأنی فی شهر رمضان، ثم ذکرت فأمسکت یدی، فقال لی حمید: ما لک لا تأکل؟ فقلت: أیها الأمیر هذا شهر رمضان ولست بمریض ولا بی علةٌ توجب الإفطار، ولعل الأمیر له عذر فی ذلک أو علة توجب الإفطار! فقال: ما بی علةٌ توجب الإفطار وإنی لصحیح البدن، ثم دمعت عیناه وبکی! فقلت له بعد ما فرغ من طعامه: ما یبکیک أیها الأمیر؟ فقال: أنفذ هارون الرشید وقت کونه بطوس فی بعض اللیل أن أجب، فلما دخلت علیه رأیته بین یدیه شمعة تتقد وسیفاً أخضر مسلولاً، وبین یدیه خادم واقف. فلما قمت یدیه رفع رأسه إلیَّ فقال: کیف طاعتک لأمیر المؤمنین؟ فقلت: بالنفس والمال! فأطرق ثم أذن لی فی الإنصراف، فلم ألبث فی منزلی حتی عاد الرسول إلیَّ وقال: أجب أمیر المؤمنین، فقلت فی نفسی: إنا لله، أخاف یکون قد عزم علی قتلی وإنه لما رآنی استحیا منی! وقعدت إلی بین یدیه فرفع رأسه إلیَّ فقال: کیف طاعتک لأمیر المؤمنین؟ فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد! فتبسم ضاحکاً، ثم أذن لی فی الإنصراف، فلما دخلت منزلی لم ألبث أن عاد إلیَّ الرسول فقال: أجب أمیر المؤمنین، فحضرت بین یدیه وهو علی حاله، فرفع رأسه إلیَّ وقال لی: کیف طاعتک لأمیر المؤمنین؟ فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد والدین! فضحک ثم قال لی: خذ هذا السیف وامتثل ما یأمرک به الخادم!

قال: فتناول الخادم السیف وناولنیه وجاء بی إلی بیت بابه مغلق ففتحه، فإذا فیه بئر فی وسطه وثلاثة بیوت أبوابها مغلقة، ففتح باب بیت منها فإذا فیه عشرون نفساً علیهم الشعور والذوائب، شیوخ وکهول وشبان، مقیدون.

فقال لی: إن أمیر المؤمنین یأمرک بقتل هؤلاء وکانوا کلهم علویة من ولد علی وفاطمة، فجعل یُخرج إلیَّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه، حتی أتیت علی آخرهم! ثم رمی بأجسادهم ورؤوسهم فی تلک البئر.

ثم فتح باب بیت آخر فإذا فیه أیضاً عشرون نفساً من العلویة من ولد علی وفاطمة، مقیدون فقال لی: إن أمیر المؤمنین یأمرک بقتل هؤلاء، فجعل یُخرج إلیَّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه ویرمی به فی تلک البئر، حتی أتیت علی آخرهم!

ثم فتح باب البیت الثالث فإذا فیه مثلهم عشرون نفساً من ولد علی وفاطمة مقیدون علیهم الشعور والذوائب، فقال لی: إن أمیر المؤمنین یأمرک بقتل هؤلاء أیضاً، فجعل یُخرج إلیَّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه ویرمی به فی تلک البئر حتی أتیت علی تسعه عشر نفساً منهم، وبقی شیخٌ منهم علیه شعر فقال لی: تباً لک یا میشوم! أی عذر لک یوم القیامة إذا قدمت علیه جدنا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وقد قتلت من أولاده ستین نفساً قد ولدهم علیٌّ وفاطمة؟! فارتعشت یدی وارتعدت فرایصی فنظر إلیَّ الخادم مغضباً وزبرنی! فأتیت علی ذلک الشیخ أیضاً فقتلته ورمی به فی تلک البئر!

فإذا کان فعلی هذا وقد قتلت ستین نفساً من ولد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فما ینفعنی صومی وصلاتی! وانا لا أشک أنی مخلد فی النار!

قال مصنف هذا الکتاب: للمنصور مثل هذه الفعلة فی ذریه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم»!

أقول: ولم يكتف المنصور بذلک حتى أوصى ابنه بمواصلة سياسته فى إبادة أبناء على وفاطمة عليهما السلام ، وابتكر لوصيته أسلوباً خاصاً لتكون مؤثرة فى ابنه!

قال الطبرى فى تاريخه:6/343: «لما عزم المنصور على الحج دعا ريطة بنت أبى العباس امرأة المهدى، وكان المهدى بالرى قبل شخوص أبى جعفر، فأوصاها بما أراد وعهد إليها ودفع إليها مفاتيح الخزائن، وتقدم إليها وأحلفها ووكد الأَيمان أن لا تفتح بعض تلک الخزائن، ولا تطلع عليها أحداً الا المهدى ولا هى إلا أن يصح عندها موته فإذا صح ذلک اجتمعت هى والمهدى وليس معهما ثالث حتى يفتحا الخزانة! فلما قدم المهدى من الرى إلى مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح وأخبرته عن المنصور أنه تقدم إليها فيه ألا يفتحه ولا يطلع عليه أحداً حتى يصح عندها موته، فلما انتهى إلى المهدى موت المنصور وولى الخلافة، فتح الباب ومعه ريطة فإذا أزج كبير فيه جماعة من قتلاء الطالبيين وفى آذانهم رقاع فيها أنسابهم! وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ، عدة كثيرة! فلما رأى ذلک ارتاع لما رأى، وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها، وعمل عليهم دكاناً». أى بنى عليهم بناء، والأزج غرفة مخروطية داخل تلک الغرفة فيها جماجم القتلى العلويين رحمهم الله. (لسان العرب:2/208، والصحاح:1/298).

ويقصد المنصور من كتابة نسب كل واحد منهم فى رقعة أن يقول لابنه لاتخف من النسب وكونهم أبناء النبى صلى الله عليه وآله وسلم وذريته من فاطمة وعلى عليهما السلام !

الثالث: أحيا المنصور حملة الأمويين ضد على عليه السلام!

فقد شدد فى النهى عن رواية فضائل على عليه السلام وعاقب من يرويها، كما أصدر مرسوماً أمر فيه بتعظيم أبى بكر وعمر على المنابر، لأنهم خصوم على عليه السلام.

روى الحافظ ابن المغازلى فى فضائل على عليه السلام /226، والحافظ ابن حسنويه الحنفى، بسنده عن سلمان بن الأعمش عن أبيه قال: «وجّه إلىَّ المنصورُ فقلت للرسول: لما يريدنى أمير المؤمنين؟ قال: لا أعلم، فقلت: أبلغه أنى آتيه، ثمّ تفكرتُ فى نفسى فقلت: ما دعانى فى هذا الوقت لخير، ولكن عسى أن يسألنى عن فضائل أمير المؤمنين على بن أبى طالب فإن أخبرته قتلنى!

قال:فتطهرتُ ولَبستُ أكفانى وتحنّطتُ ثم كتبت وصيتى، ثمّ صرت إليه فوجدت عنده عمرو بن عُبيد، فحمدت الله تعالى على ذلک وقلت: وجدت عنده عون صدق من أهل النصرة. فقال لى: أدن يا سليمان فدنوت، فلمّا قرُبتُ منه أقبلتُ على عمرو بن عُبيد أُسائله وفاح مِنّى ريح الحُنوط. فقال: يا سليمان ما هذه الرائحة؟ والله لتصدُقنى وإلاّ قتلتُک. فقلت: يا أمير المؤمنين أتانى رسولک فى جَوف الليل فقلت فى نفسى: ما بعث إلىّ أمير المؤمنين فى هذه السّاعة إلاّ ليسألنى عن فضائل علىّ فان أخبرته قتلنى، فكتبتُ وصيّتى ولبستُ كفَنى وتحنَّطتُ. فاستوى جالساً وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلىِّ العظيم. ثم قال: أتدرى يا سلمان ما اسمى؟ فقلت: يا أمير المؤمنين دعنا الساعة من هذا. فقال: ما إسمى؟ فقلت: عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. قال: صدقت فأخبرنى بالله وقرابتى من رسول الله كم رويت من حديث على بن أبى طالب وكم من فضيلة من جميع الفقهاء؟ قلت: شىء يسير يا أمير المؤمنين. قال: كم؟ قلت: مقدار عشرة آلاف حديث وما يزداد. قال: يا سلمان ألا أحدثک بحديث فى فضائل على يأكل كل حديث رويته عن جميع الفقهاء، فإن حلفت لاترويها لأحد من الشيعة حدثتک بها! قال: لا أحلف ولا أحدث بها. قال: إسمع. كنت هارباً من بنى مروان وكنت أدور البلدان أتقرب إلى الناس بحب على وفضائله..الخ.».

ولم يقتل المنصور الأعمش يومها، لكن من الطبيعى أن يكون قتله بعدها بالسم!

الرابع: أمر بتعظيم أبى بكر وعمر لأنهما خصوم على عليه السلام

قال البياضى فى الصراط المستقيم:3/204: «لمَّا وقع بينه وبين العلوية خلاف قال: والله لأرغمن أنفى وأنوفهم، ولأرفعن عليهم بنى تيم وعدى، وذكر الصحابة فى خطبته، واستمرت البدعة إلى الآن»!

وقال العلامة الحلى رحمه الله فى منهاج الكرامة/69: «ابتدعوا أشياء اعترفوا بأنها بدعة، وأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فإن مصيرها إلى النار. وقال: من أدخل فى ديننا ما ليس منه فهو ردٌّ عليه! ولو رُدُّوا عنها كرهته نفوسهم ونفرت قلوبهم، كذكر الخلفاء فى خطبتهم، مع أنه بالإجماع لم يكن فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولا فى زمن أحد من الصحابة والتابعين، ولا فى زمن بنى أمية ولا فى صدر ولاية العباسيين، بل هو شىء أحدثه المنصور لما وقع بينه وبين العلوية فقال: والله لأرغمن أنفى وأنوفهم، وأرفعن عليهم بنى تيم وعدى، وذكر الصحابة فى خطبته، واستمرت هذه البدعة إلى هذا الزمان»! انتهى.

فالهدف الأهم عنده أن يواجه ثورات العلويين، لذلك رأى أن يعيد الإعتبار لأبى بكر وعمر، حتى لو ناقض بذلك نفسه ونقض مذهب بنى العباس! فقوله:لأرغمن أنفى وأنوف بنى على.

معناه: علىَّ وعلى أعدائى يارب! فأصدر أمرةً إلى خطباء الجمعة فى أنحاء الدولة بأن يترضوا على أبى بكر وعمر، وأمر الفقهاء أن يفتوا به: «قال مالک: قال لى المنصور: من أفضل الناس بعد رسول الله؟ فقلت: أبو بكر وعمر. فقال: أصبت! وذلک رأى أمير المؤمنين». (النهاية لابن كثير:10/130).

وقد بحثنا مرسومه فى الترضى عن الشيخين فى كتاب: كيف رد الشيعة غزو المغول.

الخامس: تعظيم جده العباس وحصر الخلافة بأولاده

فقـد وضع المنصور وأولاده أحاديث فى مناقب العباس وأنه الوارث الوحيد للنبى صـلى الله عليه وآله وسـلم لأنه عمه، وأنه أولى به من ابن عمه على عليه السـلام وولديه الحسن والحسـين عليهما السلام ، وبعد العباس يأتى مقام أبى بكر وعمر، رغم أنهم أخذا الخلافة وهى حقٌّ للعباس وأولاده! لكن رضى الله عنهما، فهما خير من على وأبناء على!

ثم زعم المنصور أنه رأى النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم فى منامه فعقـد له لواءً وأوصاه بأمته «وعممه بعمامة من23 دوراً، وقال له: خذها إليک أبا الخلفاء إلى يوم القيامة»!

قـال «ينبغى لكـم أن تثبتوهـا فى ألـواح الــذهب وتعلقوهـا فى أعنـاق الصبيـان»! (تاريـخ بغـداد:1/85، وتاريـخ دمشق:32/301، وابن كثير:10/129، وحكم بصحة المنام)!

وكان المنصور وأولاده لا يقبلون أن يقال إن جدهم العباس قال لعلى عند وفاة النبى صـلى الله عليه وآله وسلم: «أبسط يدک أبايعک فيقال: عم رسول الله بـايع ابن عم رسول الله، فلاـ يختلف عليـک اثنان.فقـال له على:ومن يطلب هـذا الأـمر غيرنا»! (الإمامـة والسـياسة:1/12، والإقتصاد/214، والنزاع والتخاصم/78).

أو يقال إن الحسنين أبناء النبى صلى الله عليه وآله وسلم لقوله تعالى:

((فَمَنْ حَآجَّکَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءکَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءکُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءکُمْ))..

ولا أن يذكر مذهب جدهم عبد الله بن عباس وأحاديثه، لأنه كان تلميذاً مطيعاً لعلى عليه السلام ناطقاً بفضائله ووصية النبى صلى الله عليه وآله وسلم له بالخلافة!

وكلها تنقض ما يريده المنصور من تمجيد جده العباس وحصر الخلافة به هو!

قال أحمد بن حنبل فی العلل:2/312: «قدم بن جریج علی أبی جعفر(المنصور) فقال له: إنی قد جمعت حدیث جدک عبد الله بن عباس، وما جمعه أحد جمعی أو نحو ذا، قال: فلم یعطه شیئاً! فضمه إلی سلیمان بن مجالد... فأحسن إلی ابن جریج یعنی أعطاه وأکرمه، فقال له بن جریج: ما أدری ما أجزیک به، ولکن خذ کتبی هذه فانسخوها، فبعضها سماع وبعضها عرض».

واسمع ما یقوله ابن جریح وهو ربیعة الرأی وأستاذ مالک بن أنس!

«أتینا مالک بن أنس فجعل یحدثنا عن ربیعة الرأی بن أبی عبد الرحمن، فکنا نستزیده حدیث ربیعة، فقال لنا ذات یوم: ما تصنعون بربیعة هو نائم فی ذاک الطاق! فأتینا ربیعة فأنبهناه، فقلنا له: أنت ربیعة بن أبی عبد الرحمن؟ قال: بلی، قلنا: ربیعة بن فروخ؟ قال بلی، قلنا ربیعة الرأی؟ قال بلی. قلنا هذا الذی یحدث عنک مالک بن أنس؟ قال بلی، قلنا له: کیف حظی بک مالک ولم تحظ أنت بنفسک؟ قال: أما علمتم أن مثقالاً من دولة خیر من حِمْل علم»! (تاریخ بغداد:8/423).

7- المنصور یحاول قتل الإمام الکاظم علیه السلام

عندما ارتکب المنصور قتل الإمام الصادق علیه السلام بالسم فی سنة148، کان عمر الإمام الکاظم علیه السلام نحو عشرین سنة، وعاش المنصور بعدها عشر سنوات، وقد ذکرت نصوص سیاسة المنصور مع الإمام الکاظم علیه السلام ومحاولته قتله!

أولها: فی إحدی المرات التی أمر بقتل الإمام الصادق علیه السلام ولم یوفق!

فقد روی فی الدر النظیم/622، لابن حاتم العاملی عن: «قیس بن الربیع قال: حدثنا أبی الربیع قال: دعانی المنصور یوماً وقال: أما تری ما هو ذا یبلغنی عن هذا الحبشی؟قلت: ومن هو یا سیدی؟ قال: جعفر بن محمد، والله لأستأصلن شأفته. ثم دعا بقائد من قواده فقال له: إنطلق إلی المدینة فی ألف رجل فاهجم علی جعفر بن محمد وخذ

رأسه ورأس ابنه موسى بن جعفر! فخرج القائد من ساعته حتى قدم المدينة وأخبر جعفر بن محمد، فأمر فأتىَ بناقتين فأوثقهما على باب البيت، ودعا بأولاده موسى وإسماعيل ومحمد وعبيد الله، فجمعهم وقعد فى المحراب وجعل يهمهم. قال أبو نصر: فحدثنى سيدى موسى بن جعفر أن القائد هجم عليه فرأيت أبى وقد همهم بالدعاء، فأقبل القائد وكل من كان معه وقال: خذوا رأس هذين القائمين، ففعلوا وانطلقوا إلى المنصور، فلما دخلوا عليه أطلع المنصور فى المخلاة التى كان فيها الرأسان، فإذا هما رأسا ناقتين!

فقال المنصور: وأى شىء هذا؟! قال: يا سيدى ما كان أسرع من أن دخلت البيت الذى فيه جعفر بن محمد فدار رأسى ولم أنظر ما بين يدىَّ فرأيت شخصين قائمين خُيِّل إلىَّ أنهما جعفر بن محمد وموسى ابنه، فأخذت رأسيهما!

فقال المنصور: أكتم علىَّ! فقال: ما حدثت به أحداً حتى مات!

قال الربيع: فسألت موسى بن جعفر عليه السلام عن الدعاء فقال: سألت أبى عن الدعاء فقال: هو دعاء الحجاب وهو: بسم الله الرحمن الرحيم:

((وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَکَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (45) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِى آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّکَ فِى الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا)).

اللهم إنى أسألک بالإسم الذى به تحيى وتميت وترزق وتعطى وتمنع، يا ذا الجلال والإكرام، اللهم من أرادنا بسوء من جميع خلقک فأعم عنا عينه، واصمم عنا سمعه واشغل عنا قلبه، واغلل عنا يده، واصرف عنا كيده. وخذه من بين يديه وعن يمينه وعن شماله ومن تحته ومن فوقه، يا ذا الجلال والإكرام».

وثانيها: عندما قتل الإمام الصادق عليه السلام بالسم أرسل إلى واليه على

المدينة: أنظر إن كان أوصى إلى شخص فاقتله وابعث الىَّ برأسه! وهذا ينسجم مع قرار المنصور بإبادة ذرية على وفاطمة عليهما السلام!

قال كاتبه أبو أيوب الخوزى كما فى الكافى:1/311، وغيبة الطوسى/198، واللفظ له: «بعث إلى أبو جعفر المنصور فى جوف الليل فدخلت عليه وهو جالس على كرسى، وبين يديه شمعة وفى يده كتاب، فلما سلمت عليه رمى الكتاب إلى وهو يبكى وقال: هذا كتاب محمد بن سليمان يخبرنا أن جعفر بن محمد قد مات، فإنا لله وإنا إليه راجعون (ثلاثاً) وأين مثل جعفر؟! ثم قال لى: أكتب فكتبت صدر الكتاب، ثم قال: أكتب إن كان أوصى إلى رجل بعينه فقدمه واضرب عنقه! قال: فرجع الجواب إليه: إنه قد أوصى إلى خمسة: أحدهم أبو جعفر المنصور، ومحمد بن سليمان (واليه على المدينة) وعبد الله وموسى ابنى جعفر، وحميدة!فقال المنصور ليس إلى قتل هؤلاء سبيل».

وهذا يدل على أن المنصور كان يريد مبرراً لقتل الإمام موسى الكاظم عليه السلام، لأن أباه كان ينص عليه من صغره بأنه الإمام بعده، وقد امتحنه أبو حنيفة وهو صبى وأجابه وأفحمه، وظهرت منه معجزات. لذا وسع الإمام الصادق عليه السلام وصيته وجعل أوصياءه خمسة أولهم المنصور نفسه، ثم واليه على المدينة، ليحفظ حياة الإمام الكاظم عليه السلام ويحبط تعطش المنصور لدماء أبناء على عليه السلام!

وفى مناقب آل أبى طالب:3/434، أن أبا حمزة الثمالى رحمه الله لما بلغته وصية الإمام الصادق عليه السلام قال: «الحمد لله الذى هدانا إلى المهدى. بين لنا عن الكبير، ودلنا على الصغير، وأخفى عن أمر عظيم. فسئل عن قوله فقال: بين عيوب الكبير ودل على الصغير لإضافته إياه، وكتم الوصية للمنصور، لأنه لو سأل المنصور عن الوصى لقيل أنت».

وثالثها: ورد أن الإمام الكاظم عليه السلام غادر المدينة، وتخفَّى عن السلطة فى قرى الشام، لفترة لم يحددها الراوى. ففى مناقب آل أبى طالب:3/427: «دخل موسى

بن جعفر عليه السلام بعض قرى الشام متنكراً هارباً، فوقع فى غار وفيه راهب يعظ فى كل سنة يوماً، فلما رآه الراهب دخله منه هيبة فقال: يا هذا أنت غريب؟ قال عليه السلام: نعم. قال: منا أو علينا؟ قال عليه السلام: لست منكم. قال: أنت من الأمة المرحومة؟ قال عليه السلام: نعم. قال: أفمن علمائهم أنت أم من جهالهم؟ قال عليه السلام: لست من جهالهم. فقال: كيف طوبى أصلها فى دار عيسى، وعندكم فى دار محمد وأغصانها فى كل دار؟ فقال عليه السلام: الشمس قد وصل ضوؤها إلى كل مكان وكل موضع وهى فى السماء. قال: وفى الجنة لا ينفد طعامها و إن أكلوا منه ولا ينقص منه شىء؟ قال عليه السلام: السراج فى الدنيا يقتبس منه ولا ينقص منه شىء.

قال: وفى الجنة ظل ممدود؟ فقال عليه السلام: الوقت الذى قبل طلوع الشمس كلها ظل ممدود، قاله تعالى:

((أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّکَ کَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاکِنًا)).

قال: ما يؤكل ويشرب فى الجنة، لا يكون بولاً ولا غائطاً؟ قال عليه السلام: الجنين فى بطن أمه! قال: أهل الجنة لهم خدم يأتونهم بما أرادوا بلا أمر؟ فقال عليه السلام إذا احتاج الإنسان إلى شىء عرفت أعضاؤه ذلک، ويفعلون بمراده من غير أمر.

قال: مفاتيح الجنة من ذهب أو فضة؟ قال عليه السلام: مفتاح الجنة لسان العبد لا إله إلا الله. قال: صدقت، وأسلم والجماعة معه».

ورابعها:يدل على أن المنصور استعمل الليونة والإحترام مع الإمام الكاظم عليه السلام وأراد أن يظهر للفرس أن علاقته به جيدة، أو يعرف تعاطف الفرس معه عليه السلام!

ففى مناقب آل أبى طالب:3/433: «وحكى أن المنصور تقدم إلى موسى بن جعفر بالجلوس للتهنئة فى يوم النيروز وقبض ما يحمل إليه فقال عليه السلام: إنى قد

فتشت الأخبار عن جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم أجد لهذا العيد خبراً، وإنه سنة للفرس ومحاها الإسلام، ومعاذ الله أن نحيى ما محاه الإسلام!

فقال المنصور: إنما نفعل هذا سياسة للجند، فسألتک بالله العظيم إلا جلست، فجلس ودخلت عليه الملوک والأمراء والأجناد يهنونه ويحملون إليه الهدايا والتحف، وعلى رأسه خادم المنصور يحصى ما يحمل، فدخل فى آخر الناس رجل شيخ كبير السن فقال له: يا ابن بنت رسول الله إننى رجل صعلوک لا مال لى، أتحفک بثلاث أبيات قالها جدى فى جدک الحسين بن على:

عجبت لمصقول علاک فرنده

يوم الهياج وقد علاک غبار

ولا سهم نفذتک دون حرائر

يدعون جدک والدموع غزار

ألا تقضقضت السهام وعاقها

عن جسمک الإجلال والإكبار

قال:قبلت هديتک، أجلس بارک الله فيک، ورفع رأسه إلى الخادم وقال:إمض إلى أمير المؤمنين وعرفه بهذا المال وما يصنع به؟فمضى الخادم وعاد وهو يقول: كلها هبة منى له يفعل به ما أراد، فقال موسى عليه السلام للشيخ: إقبض جميع هذا المال فهو هبة منى لک»!

أقول: قام الفرس بالثورة على بنى أمية وسلموا قيادتها إلى بنى العباس، وكانت سلامة أم المنصور فارسية من بلدة إيذه أو إيذج قرب الأهواز، فكان المنصور يتكلم الفارسية ويألفها، وسكن فى إيذة وتزوج وولد فيها ابنه محمد الذى سماه المهدى. وكان يحتفل مع الفرس بعيد النوروز، ويستقبل قادة الدولة ويقدمون له الهدايا الثمينة على رسومهم، ولابد أنه خطط لجلوس الإمام عليه السلام مكانه وتحجج بالمرض، ليقول للناس إن موسى بن جعفر عليه السلام مؤيد له يُقر بشرعيته، وأن المنصور يحترمه ويستنيبه فى بعض المراسم التشريفية، ويظهر أن ذلک كان بعد ليونة الإمام عليه السلام معه وتطمينه بأنه ليس فى صدد الثورة عليه.

الفصل الرابع: الإمام الكاظم عليه السلام قديس بغداد

اشارة

1- شريط سيرة الإمام الكاظم عليه السلام

1. أبوه الإمام جعفر الصادق عليه السلام سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأستاذ أئمة المذاهب الإسلامية. وأمه حميدة المُصَفَّاة البربرية، ويبدو أنها كانت سمراء فانتقلت منها السمرة إلى الإمام عليه السلام.

2. فى الخامسة من عمره الشريف أجلسه والده الإمام الصادق عليه السلام، فتحدث لأحبار اليهود عن معجزات النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وسيأتى ذلک فى أواخر الكتاب.

3. كان صبياً فسأله أبو حنيفة عن الجبر والاختيار، فأجابه جواباً علمياً مقنعاً.

4. عرَّفه الإمام الصادق عليه السلام إلى أصحابه فى حياته، وأنه الإمام بعده.

5. فى العشرين من عمره استشهد أبوه الإمام الصادق عليه السلام واستقل بالإمامة وعاش بعد أبيه خمساً وثلاثين سنة، إلى أن استشهد سنة 183 فى سجن هارون.

6. فى الحادية وعشرين من عمره كان فى العراق وجاء إلى الحج، فرآه شقيق البلخى سنة149، وربما كان المنصور أحضره إلى العراق، أو كان فى زيارة إلى المؤمنين بالكوفة، أو فى زيارة قبر جده أمير المؤمنين وجده الحسين عليهم السلام.

7. عاصر المنصور العباسى وجلس مكانه مرة لاستقبال المهنئين بعيد النوروز.

8. عاصـر حكم المهدى بن المنصور عشـر سنوات، وأحضره مرة إلى بغداد ليسأله عن قوم ثمود ومدائن صالح، ثم حبسه، فرأى مناماً مرعباً فأطلقه.

9. عاصـر موسـى الهادى، وفى عهـده كانت ثورة صاحب فـخ واتهم الخليفـة الإمام عليه السـلام بأنه هو الآمر بالثورة، وقرر قتله، لكنه أمه الخيزران قتلته قبل ذلک.

10. عاصر هارون المسمى بالرشيد ثلاث عشرة سنة، وكتب إلى الخيزران يعزيها بموت ولدها المهدى، ويهنيها بحكم ولدها هارون!

11. أحضـره هارون إلى بغـداد فى سـنة توليه الخلافـة، وقد يكون فرض عليه الإقامة الجبرية فيها، ثم حبسه فرأى آياته وأطلقه وأعطاه ثلاثين ألف درهم.

12. حبسه هارون فى سنة179فى سـجن البصـرة لمدة سنة، ثم نقله إلى بغداد وأبقاه أربع سنوات فى الإقامة الجبرية والسجون، إلى أن قتله بالسم سنة 183.

13. وردت الروايـة بأنه كان فى الشام فترة، والتقى ببعض علماء النصارى، ولعله كان غيَّب نفسه فى زمن المنصور أو المهدى العباسـى قبل أن يحبسه.

14. عاش فى بغـداد فترات فى وضع الإقامـة الجبريـة، وكان له مجالس مع هارون ووزرائه وغيرهم، وفى هذه المدة رأى بشـراً الحافى، وقد وصفت الرواية بيته المتواضع الذى كان يعيش فيه فى بغداد، وهو يختلف عن بيته فى المدينة.

15. روت المصادر له عليه السلام عدة أحاديث ومناظرات مع هارون الرشيد، كانت فى فترات إحضاره وحبسه وإقامته الجبرية.

16. قيل إنه عليه السلام حبس فى واسط سنة، ولم نجد ذلک فى المصادر التى بأيدينا.

17. أبرز برنامج فى حياة الإمام عليه السلام العبادة وسجوداته الطويلة، وكان يشكر ربه فى السجن على أنه فرغه لعبادته.

18. روى عنه الكثير من العلم، من ذلک مسائل على بن جعفر، وكتاب الحلال والحرام، ورسالة فى العقل لهشام بن الحكم. ومئات الروايات فى مسائل من عقائد الإسلام وأحكامه. وكل أحاديث متميزة كأحاديث آبائه الأئمة عليهم السلام.

19. كان يدير شيعته فى العالم، وفيهم شخصيات كبيرة كعلى بن يقطين وزير المهدى وهارون، والحسن بن راشد، وجعفر بن محمد بن الأشعث من وزراء هارون أيضاً، وهشام بن الحكم، ومحمد بن أبى عمير، من كبار الشخصيات.

وكان يحترمه كبار علماء عصره من السنة ويرجعون اليه أحياناً. وكان الطالبيون يحترمونه ويقدسونه، حتى أن الخليفة المهدى كان يعتقد أنه كان وراء ثورة فخ.

20. تميزت حياته بكثرة المعجزات من صغره عليه السلام، وأكثرها إخبار بمغيبات عن أشخاص وأحداث، فكانت تقع كما أخبر عليه السلام، وكان يجاهر بذلک ويخبر هارون ووزيره يحيى بن خالد وغيرهم، وفى آخر سجن له زاره يحيى البرمكى فقال له: «أبلغه عنى يقول لک موسى بن جعفر: رسولى يأتيک يوم الجمعة فيخبرک بما ترى، وستعلم غداً إذا جاثيتک بين يدى الله من الظالم والمعتدى على صاحبه والسلام! فخرج يحيى من عنده واحمرت عيناه من البكاء حتى دخل على هارون فأخبره بقصته ومارد عليه، فقال هارون: إن لم يدع النبوة بعد أيام فما أحسن حالنا! فلما كان يوم الجمعة توفى عليه السلام».(الغيبة للطوسى/24).

21. ما أن دفن الإمام عليه السلام حتى صار قبره الشريف مزاراً ومشهداً، وتوافد أولياؤه من الشيعة وكذلک كبار علماء السنة وأئمة المذاهب، لزيارته والصلاة عنده والتوسل به إلى الله تعالى، وعرف عليه السلام بعد وفاته باسم: باب الحوائج.

2- اعتقاد أئمة المذاهب بالإمام الكاظم عليه السلام

أجمع كبار أئمة السنة وعلمائهم على تعظيم الإمام الكاظم عليه السلام وتقديسه، وترجموا له فى كتبهم، وزاروا قبره للتبرك والتوسل به إلى الله تعالى.

وقد اشتهر عن الإمام الشافعى أنه كان يزور قبر الإمام الكاظم عليه السلام ويقول: «قبر موسى الكاظم ترياقٌ مجرب لإجابة الدعاء» (كرامات الأولياء للسجاعى/6، والرسالة القشيرية لابن هوازن/10، والفجر الصادق للزهاوى/89، وسيوف الله للقادرى الحبيبى/83، والبصائر/42 لحمد الله الداجوى الحنفى).

وروى الخطيب البغدادى فى تاريخه:1/133، عن إمام الحنابلة فى عصره الحسن بن إبراهيم أبا على الخلال يقول: «ما همنى أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به، إلا سهل الله تعالى لى ما أحب»!

وقال ابن الصباغ المالكى فى الفصول المهمة:2/932: «وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج إلى الله، وذلك لنجح قضاء حوائج المسلمين، ونيل مطالبهم وبلوغ مآربهم وحصول مقاصدهم».

وقال السيد الميلانى فى شرح منهاج الكرامة:1/170: «وقال القرمانى: هو الإمام الكبير الأوحد الحجة، الساهر ليله قائماً القاطع نهاره صائماً، المسمى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظماً، وهو المعروف بباب الحوائج، لأنه ما خاب المتوسل به فى قضاء حاجته قط.

وقال ابن حجر المكى: هو وارث أبيه علماً ومعرفةً وكمالاً وفضلاً، سمى الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه، وأعلمهم وأسخاهم.

وقال ابن الجوزى: موسى بن جعفر، كان يدعى العبد الصالح، وكان حليماً كريماً، إذا بلغه عن رجل ما يؤذيه بعث إليه بمال».

وفی مناقب آل أبی طالب:3/422: «وحکی أنه مُغص بعض الخلفاء فعجز بختیشوع النصرانی عن دوائه، وأخذ جلیداً فأذابه بدواء، ثم أخذ ماء وعقده بدواء، وقال:هذا الطب، إلا أن یکون مستجاب دعاء ذا منزلة عند الله یدعو لک!

فقال الخلیفة: علیَّ بموسی بن جعفر، فأتیَ به فسمع فی الطریق أنینه فدعا الله سبحانه وزال مغص الخلیفة، فقال له: بحق جدک المصطفی أن تقول بمَ دعوت لی؟ فقال علیه السلام: قلتُ: اللهم کما أریته ذل معصیته، فأره عز طاعتی»!

3- مقتطف من تراجم أئمة علماء السنة للإمام الکاظم علیه السلام

1- قال الذهبی فی سیر أعلام النبلاء:6/268: «موسی الکاظم، الإمام، القدوة، السید أبو الحسن العلوی، والد الإمام علی بن موسی الرضی مدنی نزل بغداد.

ذکره أبو حاتم فقال: ثقة صدوق، إمام من أئمة المسلمین.قلت له عند الترمذی وابن ماجة حدیثان. قیل: إنه ولد سنة ثمان وعشرین ومئة بالمدینة. قال الخطیب: أقدمه المهدی بغداد ورده، ثم قدمها وأقام ببغداد فی أیام الرشید، قدم فی صحبة الرشید سنة تسع وسبعین ومئة، وحبسه بها إلی أن توفی فی محبسه.

ثم قال الخطیب: کان موسی بن جعفر یدعی العبد الصالح من عبادته واجتهاده. روی أصحابنا أنه دخل مسجد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فسجد سجدة فی أول اللیل، فسمع وهو یقول فی سجوده: عظم الذنب عندی فلیحسن العفو من عندک، یا أهل التقوی، ویا أهل المغفرة. فجعل یرددها حتی أصبح.

وکان سخیاً کریماً، یبلغه عن الرجل أنه یؤذیه فیبعث إلیه بصرة فیها ألف دینار. وکان یصر الصرر بثلاث مئة دینار وأربع مئة ومئتین ثم یقسمها بالمدینة، فمن جاءته صرة استغنی.

ثم قال یحیی: وذکر لی غیر واحد أن رجلاً من آل عمر کان بالمدینة یؤذیه ویشتم علیاً، وکان قد قال له بعض حاشیته: دعنا نقتله فنهاهم وزجرهم.

وذكر له أن العمرى يزدرع بأرض، فركب إليه فى مزرعته فوجده، فدخل بحماره فصاح العمرى لا توطئ زرعنا، فوطئ بالحمار حتى وصل إليه فنزل عنده وضاحكه. وقال: كم غرمت فى زرعک هذا؟ قال: مئة دينار، قال: فكم ترجو؟ قال: لا أعلم الغيب وأرجو أن يجبيئنى مئتا دينار، فأعطاه ثلاث مئة دينار وقال: هذا زرعک على حاله. فقام العمرى فقبل رأسه وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته! وجعل يدعو له كل وقت.

فقال أبو الحسن لخاصته الذين أرادوا قتل العمرى: أيما هو خير ما أردتم أو ما أردت أن أصلح أمره بهذا المقدار؟ قلت: إن صحت فهذا غاية الحلم والسماحة!

قال أبو عبد الله المحاملى... عيسى بن محمد بن مغيث القرشى، وبلغ تسعين سنة، قال: زرعت بطيخاً وقثاء وقرعا بالجوانية، فلما قرب الخير، بيتنى الجراد، فأتى على الزرع كله. وكنت غرمت عليه وفى ثمن جملين مئة وعشرين ديناراً. فبينما أنا جالس طلع موسى بن جعفر فسلم ثم قال: أيش حالک؟ فقلت: أصبحت كالصريم. قال: وكم غرمت فيه؟ قلت: مئة وعشرين ديناراً مع ثمن الجملين. وقلت: يا مبارک، ادخل وادع لى فيها، فدخل ودعا، وحدثنى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: تمسكوا ببقايا المصائب، ثم علقت عليه الجملين وسقيته فجعل الله فيها البركة وزكت فبعت منها بعشرة آلاف!

الصولى: حدثنا عون بن محمد، سمعت إسحاق الموصلى غير مرة يقول:حدثنى الفضل بن الربيع، عن أبيه قال: لما حبس المهدى موسى بن جعفر رأى فى النوم علياً يقول: يا محمد:

((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ))؟

قال الربيع: فأرسل إلى ليلاً فراعنى، فجئته فإذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتاً، وقال: علىَّ بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جنبه وقال: يا

أبا الحسن: إنى رأيت أمير المؤمنين يقرأ على كـذا، فتؤمنى أن تخرج على أو على أحـد من ولـدى؟ فقال: لا والله لافعلت ذلک، ولا هو من شأنى. قال: صـدقت. يا ربيع أعطه ثلاثـة آلاف دينار، ورده إلى أهله إلى المدينـة. فأحكمت أمره ليلاً، فما أصـبح إلا وهو فى الطريق خوف العوائق!

وقال الخطيب: حج الرشـيد فأتى قبر النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم ومعه موسـى بن جعفر فقال: السـلام عليک يا رسول الله يا ابن عم، افتخاراً على من حوله فـدنا موسـى وقال: السـلام عليک يا أبهْ، فتغير وجه هارون، وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً! قال يحيى بن الحسـن العلوى حـدثنى عمار بن أبان قال: حبس موسـى بن جعفر عنـد السـندى بن شاهک فسألته أخته أن تولى حبسه وكانت تَدَيَّن، ففعل، فكانت على خدمته، فحكى لنا أنها قالت: كان إذا صـلى العتمة حمد الله ومجده ودعاه، فلم يزل كذلک حتى يزول الليل، فإذا زال الليل قام يصلى حتى يصلى الصبح، ثم يذكر حتى تطلع الشمس، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى، ثم يتهيأ ويستاک ويأكل، ثم يرقد إلى قبل الزوال، ثم يتوضأ ويصلى العصر، ثم يذكر فى القبلة حتى يصلى المغرب، ثم يصلى ما بين المغرب إلى العتمة! فكانت تقول: خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل! وكان عبداً صالحاً.

وقيل: بعث موسـى الكاظم إلى الرشيد برسالة من الحبس يقول: إنه لن ينقضى عنى يوم من البلاء إلا انقضى عنک معه يوم من الرخاء، حتى نفضـى جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء يخسـر فيه المبطلون! وعن عبد السلام بن السندى قال: كان موسى عندنا محبوساً، فلما مات بعثنا إلى جماعة من العدول من الكرخ فأدخلنا هم عليه فأشهدنا هم على موته، ودفن فى مقابر الشونيزية.

قلت: له مشـهد عظيم مشهور ببغداد، دفن معه فيه حفيده الجواد. ولولده على بن موسى مشهد عظيم بطوس. وكانت وفاة موسى الكاظم فى رجب سنة ثلاث وثمانين ومئة. عاش خمساً وخمسين سنة وخلف عدة أولاد، الجميع من إماء: على

والعباس، وإسماعيل، وجعفر، وهارون، وحسن، وأحمد، ومحمد، وعبيد الله وحمزة، وزيد، وإسحاق، وعبد الله، والحسين، وفضل، وسليمان. سوى البنات، سمى الجميع الزبير فى: النسب».

وقال الذهبى فى تاريخ الإسلام:12/417:«موسى الكاظم: هو الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر بن محمد بن على.. قال أبو حاتم: ثقة إمام. وكان صالحاً عالماً عابداً متألهاً..ولعل الرشيد ما حبسه إلا لقولته تلك: السلام عليک يا أبه! فإن الخلفاء لا يحتملون مثل هذا»!

2- وقال ابن حجر فى تهذيب التهذيب:10/302: «قال يحيى بن الحسن بن جعفر النسابة: كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده.

وقال الخطيب..وأقدمه المهدى إلى بغداد ثم رده إلى المدينة، وأقام بها إلى أيام الرشيد، فقدم هارون منصرفاً من عمرة رمضان سنة تسع وسبعين، فحمله معه إلى بغداد وحبسه بها إلى أن توفى فى محبسه.. ومناقبه كثيرة».

وقال فى تقريب التهذيب(2/221): «الهاشمى المعروف بالكاظم، صدوق عابد، من السابعة، مات سنة ثلاث وثمانين».

3- وقال الخطيب فى تاريخ بغداد:13/29: «كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده.

روى أصحابنا أنه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسجد سجدة فى أول الليل، وسُمع وهو يقول فى سجوده: عظيم الذنب عندى فليحسن العفو عندک. يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة! فجعل يرددها حتى أصبح.

وروى له عليه السلام عدة قصص فى كرمه وعبادته وتقدم بعضها، ثم ذكر كرامته فى المنام الذى رآه الخليفة المهدى عندما حبسه.

4- وقال محمد بن طلحة الشافعی فی مطالب السؤول فی فضل آل الرسول صلی الله علیه وآله وسلم /446:

«هو الإمـام الکبیر القـدر، العظیم الشـأن، الکبیر المجتهـد، الجاد فی الإجتهاد، المشـهور بالعبادة، المواظب علی الطاعات، المشـهود له بالکرامـات، یبیت اللیل ساجـداً وقائماً، ویقطع النهار متصـدقاً وصائماً، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتـدین علیه دعی کاظماً، کان یجازی المسئ بإحسانه إلیه، ویقابل الجانی بعفوه عنه، ولکثرة عبادته کان یسمی بالعبد الصالح، ویعرف بالعراق باب الحوائج إلی الله لنجح مطالب المتوسلین إلی الله تعالی به، کرامته تحار منها العقول، وتقضی بأن له عند الله تعالی قدم صدق لا تزل ولا تزول.

وأما ولادته فبالأبواء سـنة ثمان وعشـرین ومائة للهجرة، وقیل تسع وعشرین ومائة وأما نسبه أباً وأماً: فأبوه جعفر الصادق بن محمد الباقر، وقد تقدم القول فیه. وأما أمه فأم ولد تسمی حمیدة البربریة، وقیل غیر ذلک.

وأما إسمه فموسی وکنیته أبو الحسن، وقیل أبو إسماعیل، وکان له ألقاب کثیرة: الکاظم وهو أشهرها، والصابر، والصالح، والأمین.

وأما مناقبه فکثیرة، ولو لم یکن منها إلا العنایة الربانیة لکفاه ذلک منقبة. وقد نقل عن الفضل بن الربیع أنه أخبر عن أبیه أن المهدی لما حبس موسی بن جعفر، ففی بعض اللیالی رأی المهدی فی منامه علی بن أبی طالب وهو یقول له: یا محمد:

((فَهَلْ عَسَیْتُمْ إِن تَوَلَّیْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَکُمْ))؟

قال الربیع: فأرسل إلی لیلاً فراعنی..الی آخر ما تقدم.

وقال هشام بن حاتم الأصم، قال لی أبو حاتم، قال لی شـقیق البلخی: خرجت حاجاً فی سـنة تسع وأربعین ومائة، فنزلت القادسـیة، فبینا أنا أنظر إلی الناس فی زینتهم وکثرتهم، فنظرت إلی فتی حسن الوجه شدید السمرة ضعیف، فوق ثیابه ثوب من

صوف، مشتمل بشملة، فی رجلیه نعلان، وقد جلس منفرداً فقلت فی نفسی: هذا الفتی من الصوفیة یرید أن یکون کلاً علی الناس فی طریقهم، والله لأمضین إلیه ولأوبخنه! فدنوت منه فلما رآنی مقبلاً قال:

((اجْتَنِبُوا کَثِیرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)).

ثم ترکنی ومضی! فقلت فی نفسی: إن هذا لأمرٌ عظیم قد تکلم بما فی نفسی ونطق باسمی، وما هذا إلا عبدٌ صالح لألحقنه ولأسألنه أن یحالَّنی، فأسرعت فی أثره فلم ألحقه وغاب عن عینی!

فلما نزلنا واقصة إذْ به یصلی وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجری فقلت: هذا صاحبی أمضی إلیه واستحله، فصبرت حتی جلس وأقبلت نحوه، فلما رآنی مقبلاً قال لی: یا شقیق أتل:

((وَإِنِّی لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَی)).

ثم ترکنی ومضی!فقلت:إن هذا الفتی لمن الأبدال! لقد تکلم علی سری مرتین. فلما نزلنا زُبَالة إذا بالفتی قائمٌ علی البئر وبیده رَکْوَةٌ یرید أن یستقی ماء، فسقطت الرکوة من یده فی البئر، وأنا أنظر إلیه فرأیته قد رمق السماء وسمعته یقول:

أنت ربی إذا ظمئتُ إلی الماء

وقُوتی إذا أردتُ الطعاما

اللهم سیدی مالی سواها فلا تحرمنیها، قال شقیق: فوالله لقد رأیت البئر وقد ارتفع ماؤها، فمد یده فأخذ الرکوة وملأها ماء، فتوضأ وصلی أربع رکعات، ثم مال إلی کثیب رمل فجعل یقبض بیده ویطرحه فی الرکوة ویحرکه ویشرب. فأقبلت إلیه وسلمت علیه فرد علیَّ السلام فقلت: أطعمنی من فضل ما أنعم الله به علیک. فقال: یا شقیق لم تزل نعمه علینا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنک بربک. ثم ناولنی الرکوة فشربت

منها فإذا هو سويق وسكر! فوالله ما شربت قط ألذَّ منه ولا أطيب ريحاً، فشبعت ورويت وأقمت أياماً لا أشتهى طعاماً ولا شراباً!

ثم لم أره حتى دخلنا مكة فرأيته ليلة إلى جنب قُبَّة الشراب فى نصف الليل قائماً يصلى بخضوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل، فلما رأى الفجر جلس فى مصلاه يسبح، ثم قام فصلى الغداة، وطاف بالبيت أسبوعاً وخرج، فتبعته وإذا له غاشية وموالٍ، وهو على خلاف ما رأيته فى الطريق، ودارٌ به الناس من حوله يسلمون عليه! فقلت لبعض من يقرب منه: من هذا الفتى؟ فقال: هذا موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب. فقلت: قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد! ولقد نظم بعض المتقدمين واقعة شقيق معه فى أبيات طويلة، اقتصرت على ذكر بعضها، فقال:

سلْ شقيقَ البلخىّ عنه وما شا

هد منه وما الذى كان أبصرْ

قال لما حججت عاينتُ شخصاً

شاحب اللون ناحلَ الجسم أسمرْ

سائراً وحده وليس له زادٌ

فما زلت دائماً أتفكر

وتوهمتُ أنه يسأل الناس

ولم أدر أنه الحجُّ الاكبر

ثم عاينتهُ ونحنُ نزولٌ

دون فيدٍ على الكثيب الاحمر

يضع الرمل فى الإناء ويشربْهُ

فناديته وعقلى محير

إسقنى شربةً فناولنى منه

فعاينته سَويقاً وسُكر

فسألت الحجيج من يكُ هذا

قيلَ هذا الإمام موسى بن جعفر

فهـذه الكرامات العاليـة الأقـدار الخارقة العوائد هى على التحقق جلية المناقب وزينة المزايا وغرر الصـفات، ولا يؤتاها إلا من فاضت عليه العنايـة الربانيـة أنوار التأييـد، ومرت له أخلاف التوفيق، وأزلفته من مقام التقديس والتطهير وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ».

4- الإمام الكاظم عليه السلام حامی بغداد

فقـد قال زكريا بن آدم بن عبد الله بن سـعد الأشـعرى للإمام الرضا عليه السـلام: «إنى أريد الخروج عن أهل بيتى (يقصد أهل قم) فقد كثر السـفهاء فيهم! فقال له الإمام الرضا عليه السلام:لا تفعل فإن الله يدفع البلاء بک عن أهل قم، كما يدفع البلاء عن أهل بغداد بقبر موسى بن جعفر عليـه السـلام » (رواه المفيـد رحمه الله فى الإختصـاص/87، بسـند موثق، واختيار معرفـة الرجال:2/857، ورجال الكشـى /496، وتاريخ الكوفة/228، ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئى:8/283، ورجال الطوسى:2/858).

وفى كامل الزيارات/500: «عن على بن الحكم، عن رحيم قال قلت للرضا عليه السـلام: إن زيارة قبر أبى الحسن عليه السـلام ببغداد علينا فيها مشـقة، فما لمن زاره؟ فقال له: مثل ما لمن أتى قبر الحسـين عليه السـلام من الثواب. قال: دخل رجل فسـلم عليه وجلس وذكر بغـداد ورداءة أهلهـا، ومايتوقع أن ينزل بهم من الخسف والصـيحة والصواعق، وعـدَّد من ذلک أشـياء قال:فقمت لأخرج فسـمعت أبا الحسن عليه السلام وهو يقول:أما أبو الحسن فلا».

أقول: الظـاهر سـقوط الواو من الروايـة، وأن الأصـل: أما وأبو الحسن، فلا. أى أما وقبر أبى الحسن عليه السـلام موجود، فلا يصـيب بغـداد خسف أو صواعق!

وقـد أخذ بعضـهم ذلک ووضـعه للمحاملى: «قال محمد بن الإسـكاف: رأيت فى النوم كأن قائلاً يقول: إن الله ليدفع عن أهل بغداد البلاء بالمحاملى»! (سير الذهبى:15/260) وسبب قولنا إنهم أخذوه ونسبوه إلى المحاملى لأنه توفى سنة330 (سير الذهبى:15/284)، أى بعد قرن ونصف من وفاة الإمام الكاظم عليه السلام.

5- زيارة قبر الإمام الكاظم عليه السلام دواء مجرب

قال الإمام الشافعی کلمته المشهورة فی زیارة قبر الإمام الکاظم علیه السلام: إنه الترياق المجرب (کرامات الأولیاء للسجاعی/6) لکن بعضهم أخذ ذلک ووصف به قبر معروف الکرخی! قال الخطیب فی تاریخ بغداد:1/134: «سمعت أبا علی الصفار یقول: سمعت إبراهیم الحربی یقول: قبر معروف الترياق المجرب».

والحربی هذا کابلی نسب إلی محلة الحربیة ببغداد (تاریخ بغداد:6/28)، وقد توفی سنة 285، أی بعد أکثر من قرن من وفاة الإمام الکاظم علیه السلام(تاریخ بغداد:6/38).

کما روی فی تاریخ بغداد:1/134، عن: «عبید الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهری قال سمعت أبی یقول: قبر معروف الکرخی مجرب لقضاء الحوائج»

والزهری هذا محمد بن غلام الزهری المتوفی سنة 380، أی بعد قرنین من شهادة الإمام الکاظم علیه السلام! (سیرالذهبی:16/437).

الفصل الخامس: الإمام الكاظم عليه السلام والمهدى العباسى

اشارة

1- أخبر الإمام عليه السلام عن قرب موت المنصور

كان موكب الخليفة المنصور فى طريقه إلى الحج سنة158، فأخبر الإمام الكاظم عليه السلام بأنه سيموت قبل أن يصل إلى مكة، وقال:لا والله لا يرى بيت الله أبداً!

قال أبو حمزة الثمالى: «فلما نزل بئر ميمون أتيت أبا الحسن عليه السلام فوجدته فى المحراب، قد سجد فأطال السجود ثم رفع رأسه إلىَّ فقال: أخرج فانظر ما يقول الناس! فخرجت فسمعت الواعية على أبى جعفر، فرجعت فأخبرته فقال: الله أكبر ما كان ليرى بيت الله أبداً»! (قرب الإسناد/337).

وبايعوا ابنه المهدى بعده: «والمهدى إذ ذاك ببغداد، فأقام بعد قدوم منارة (غلامه) يومين لم يظهر الخبر، ثم خطب الناس يوم الخميس ونعى لهم المنصور وبويع بيعة العامة، وذلک فى سنة ثمان وخمسين ومائة». (تاريخ بغداد:3/9).

2- فروقات شخصية المهدى عن أبيه المنصور

أولاً

كان المنصور مخضرماً بين الفقر والغنى، فقد عاش فى بادية الأردن حيث يسكن أبوه مبعداً عن دمشق من الخليفة الأموى، وكان يأتى إلى المدينة فيخدم الحسنيين، ويأخذ بركاب محمد بن عبد الله بن الحسن الذى ادعوا له المهدية!

وتوسط الحسنيون له عند عامل الأهواز فوظفه عاملاً على خراج قرية أمه

(إيذه)، فسكن المنصور فيها، ثم كسر الخراج كما تقدم فسجنوه، وهرب من السجن، واشتغل فترة فى طلب العلم والفقه..الخ.

أما ابنه المهـدى فكان مترفاً، فقد ولد فى إيذه أو إيذج، ونشأ عند أخواله فى جو فارسـى، وكان يتجاهر بشـرب الخمر ومجالس الغناء بعكس أبيه!

وقد اعترف الذهبى وهو المتعصب لبنى أمية والعباس بأن المهدى العباسى كغيره من خلفائهم منهمكٌ فى شهواته!

قـال فى تاريخه (10/444): «والمهـدى كغيره من عموم الخلائـف والملوك، له مـا لهم وعليه مـا عليهم، كان منهمكاً فى اللـذات واللهو والعبيد».

وتدل وفاته على ترفه، فقد ذهب للصيد إلى منطقة ماسبذان الجبلية فى إيران، ومعه موكبه من الصيادين والندماء والمغنين والجوارى، فطارد غزالاً فـدخل فى خربة والكلاب وراءه، ودخل فرسه وراء الغزال فضـرب رأسه بعتبة باب الخربة فمات على الفور! (تاريخ اليعقوبى:2/400، والطبرى:6/392).

وتقع ماسبذان وقرية الرذ قرب إيلام بين بغداد وهمدان: «ومات المهدى بالرذ من ماسبذان لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة... وكان عمره ثلاثاً وأربعين سنة، وخلافته عشر سنين وشهر وخمسة أيام». (تاريخ بغداد:3/18).

ثانياً

لم يكن المهدى مقتنعاً بسـياسة أبيه المنصور فى تعظيم أبى بكر وعمر والترضى عنهما فى صلاة الجمعة، ففى أخبار السيد الحميرى/176، والأغانى:7/263، (وطبعة:2/290): «جلس المهـدى يوماً يعطى قريشاً صـلاتٍ لهم وهو ولى عهد، فبدأ ببنى هاشم ثم بسائر قريش، فجاء السيد (الحميرى) فرفع إلى الربيع رقعة مختومة، وقال إن فيها نصيحة للأمير فأوصلها إليه، فأوصلها فإذا فيها:

قُل لابن عَبّاسٍ سَمِيِّ محمدٍ

لا تُعْطِينّ بنى عَدِيّ درهَما

إِحْرِمْ بنى تَيْم بن مُرّةَ إنهم

شرُّ البريّة آخراً ومُقَدَّما

إن تُعْطِهِمْ لا يشكروا لک نعمةً

ويكافئوک بأن تُذَمّ وتُشْتما

وإنِ ائتمنتهمُ أو استعملتَهم

خانوک واتّخذوا خَراجک مَغْنما

ولئن منعتَهمُ لقد بدأوكمُ

بالمَنْع إذ ملكوا وكانوا أظلما

منعوا تُراثَ محمدٍ أعمامَه

وابنَيْهِ وابنتَه عَدِيلةَ مَرْيما

وتأمّروا من غير أن يُسْتَخْلَفوا

وكفى بما فعلوا هنالک مَأْثَما

لم يشكروا لمحمد إنعامَه

أفيشكرون لغيره إن أنْعما

واللهُ منّ عليهمُ بمحمد

وهداهمُ وَكَسا الجُنوبَ وأطْعما

ثم انبَرَوْا لوصيِّه ووليّه

بالمُنْكَرات فجرَّعوه العَلْقَما

وهی قصـیدة طویلة، حذف باقیها لقبح ما فیه. قال: فرمی بها إلی أبی عبید الله ثم قال اقطع العطاء فقطعه! وانصـرف الناس ودخل السید إلیه فلما رآه ضحک وقال: قد قبلنا نصیحتک یا إسماعیل! ولم یعطهم شیئاً»!

وکان یخالف أتباع أبی بکر وعمر ویوافق أهل البت علیهم السلام فیجهر بالبسملة!

«صـلی بنا المهدی صـلاة المغرب فجهر ببسم الله الرحمن الرحیم، قال فقلت: یا أمیر المؤمنین ما هذا؟فقال: حدثنی أبی عن أبیه عن جده عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم جهر ببسم الله الرحمن الرحیم»! (تاریخ دمشق:53/412).

ثالثاً

کان لعلی بن یقطین رحمه الله تأثیر کبیر علی المهـدی العباسـی، فقـد وضـعه المنصور فی حجر یقطین: «فنشأ المهـدی وعلی بن یقطین کأنهما أخوان، فلما أفضت

الخلافة إلى المهدی استوزر علی بن یقطین وقدمه وجعله علی دیوان الزمام ودیوان البسر والخاتم، فلم یزل فی یده حتی توفی المهدی وأفضی الأمر إلی الهادی فأقره علی وزارته ولم یشرک معه أحداً من أمره، إلی أن توفی الهادی» (ذیل تاریخ بغداد:4/202).

«وکان علی بن یقطین والحسن بن راشد یغلبان علی أموره» (تاریخ الیعقوبی:2/400).

وکان علی بن یقطین شخصیة کفوءة، وشیعیاً جلداً، أما الحسن بن راشد فیظهر أنه معاونه، وأنه أکبر منه سناً لأنه یروی عن الإمام الصادق علیه السلام کثیراً، ویروی عنه حفیده یحیی بن القاسم. ویأتی ذکره فی ترتیب الخیزران خدماً لقبر الحسین علیه السلام(1).

رابعاً

خالف المهدی أباه فی سیاسته المالیة، فقد کان المنصور بخیلاً طماعاً جمَّاعاً للمال حتی سموه أبا الدوانق! فلما تولی المهدی أخرج خزائن أبیه وقناطیر ذهبه وأنفقها!«لما حصلت فی ید المهدی الخزائن والأموال وذخائر المنصور، أخذ فی رد المظالم، وأخرج ما فی الخزائن ففرقه حتی أکثر من ذلک، وبر أهله وأقرباءه ومواله وذوی الحرمة به، وأخرج لأهل بیته أرزاقاً لکل واحد منهم فی کل شهر خمس مائة درهم، لکل رجل ستة آلاف درهم فی السنة، وأخرج لهم فی الأقسام لکل رجل عشرة ألف درهم، وزاد بعضهم».

«جمع من الأموال ما لا یعبر عنه، وکان مسیکاً (بخیلاً)» (الذهبی فی تاریخه:10/438).

1- راجع:فهرست الشیخ الطوسی/106، ورجال ابن الغضائری/49، ومعجم السید الخوئی:5/312، وأعیان الشیعة:5/71.

خامساً

خفض المهـدى قليلاً ـ قرار أبيه بإبادة العلويين، وتقـدم أنه تقزز من وصـية أبيه له بالغرفـة المخروطيـة التى جمع فيها رؤوس العلويين، وأمر بدفنها. ولكنه ظل يبغضهم ويعتبرهم أخطر أعداء العباسيين!

ويدل على ذلك تعامله مع الإمام الكاظم عليه السلام، كما سترى.

ويـدل عليه موقفه من وصـية القـاسم بن مجاشع التميمى وكان من نقباء بنى العباس وكبار ولاتهم (الطبرى:6/35) فلما توفى: «أوصى إلى المهـدى فكتب: شـهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الإسـلام إلى آخر الآيـة.. ثم كتب: والقاسم بن مجاشع يشـهد بذلك ويشـهد أن محمداً عبده ورسوله، وأن على بن أبى طالب وصـى رسول الله ووارث الإمامة بعده. قال: فعرضت الوصية على المهدى فلما بلغ هذا الموضع رمى بها ولم ينظر فيها»! (تاريخ الطبرى:6/397).

ويدل عليه:تعامله مع شـريك النخعى، وكان من كبار الفقهاء، فقد دعاه المهدى ليكون قاضـى قضاة الخلافة فقال: «لا أصـلُحُ لذلك. قال: ولَم ذلـك؟ قـال: لأنى نسَّاءٌ. قال: عليك بمضغِ اللُّبان. قال: إنى حَدِيـدٌ (عصبى) قال: قـد فرض لك أمير المؤمنين فالُوذَجـةَ توقرك(تهـدئ أعصابك). قال: إنى امرُؤ أقضى على الوارد والصادرِ (بدون تمييز)! قال: إقضِ علىَّ وعلى والدى! قال: فاكفِنى حاشِيتَك. قال: قد فعلتُ.

فكانت أول رُقْعـة وردت عليه من خالصـة جاريـةُ المهـدى، فجاءت لتتقـدَّم الخصْم فقال: وراءَك مع خصْـمِك، مِراراً فأبَتْ. فقال: وراءكِ يالخَنْاءُ!

قالت: يا شيخُ أنت أحمقُ! قال: قد أخْبرتُ مولاك فأبى عَلى! فجاءت إلى المهدى تشكو إليه، فقال لها: إلْزمِي بيتَكِ ولاتعْرضى له»!

وفی العقد الفرید:1/147: «کان بین شـریک القاضی والربیع حاجب المهدی معارضة، فکان الربیع یحمل علیه المهدی (یحرکه علیه) فلا یلتفت إلیه، حتی رأی المهدی فی منامه شـریکاً القاضی مصروفاً وجهه عنه، فلما استیقظ من نومه دعا الربیع وقص علیه رؤیاه، فقال: یا أمیر المؤمنین إن شـریکاً مخـالف لـک وإنه فـاطمی محض! قـال المهـدی: علیَّ به فلما دخل علیه قال له: یا شـریک بلغنی أنک فاطمی! قال له شریک: أعیذک بالله یا أمیر المؤمنین أن تکون غیر فاطمی إلا أن تعنی فاطمة بنت کسری!

قال: ولکنی أعنی فاطمة بنت محمد صـلی الله علیه وآله وسلم. قال: أفتلعنها یا أمیر المؤمنین؟ قال: معاذ الله. قال: فماذا تقول فیما یلعنها؟ قال: علیه لعنـة الله، قال: فالعن هذا یعنی الربیع، فإنه یلعنها فعلیه لعنة الله! قال الربیع: لا والله یا أمیر المؤمنین ما ألعنها! قال له شـریک: یا ماجن فما ذکرک لسـیدة نساء العالمین وابنة سـید المرسـلین، فی مجالس الرجال؟! قال المهدی: دعنی من هذا، فإنی رأیتک فی منامی کأن وجهک مصـروف عنی وقفاک إلیَّ، وما ذلک إلا بخلافک علی! ورأیت فی منامی کأنی أقتل زندیقاً! قال شـریک: إن رؤیاک یا أمیر المؤمنین لیست برؤیا یوسف الصـدیق صـلوات الله علی محمـد وعلیه، وإن الـدماء لا تسـتحل بالأحلام، وإن علامة الزندقة بینة! قال: وما هی قال: شرب الخمر والرشا فی الحکم ومهر البغی. قال: صدقت والله أبا عبد الله. أنت والله خیر من الذی حملنی علیک»!

«ودخل علی المهـدی فقال له: یا شـریکُ بلغنی أنَّک فاطمیٌّ! فقال: أتحبُّ فاطمـةَ، أعثرَ الله من لا یحبُّ فاطمـةَ! فقال المهدی: آمین. فلما خرج شریکٌ قال المهدیُّ لمن عنده: لَعنهُ الله ما أظنُّهُ إلا عَنَانی!

وقال له یوماً: أیُّنا أشرفُ، نحن أم ولدُ علیَّ؟ فقال شریک: أمک مثلُ فاطمة حتی تُساویُهم فی الشَّرف؟!». (نثر الدر للآبی:2 /386).

«ذُكر معاوية بن أبى سفيان عنده ووُصف بالحلم فقال شريک: ليس بحليم من سفه الحق، وقاتل على بن أبى طالب رضى الله عنه». (وفيات الأعيان:2/465).

وفى تاريخ دمشق: 53/422: «قال أبو يوسف القاضى للمهدى: يا أمير المؤمنين إن شريكاً لا يرى الصلاة خلفک! فأرسل إليه المهدى فأحضره، قال فقال له: ما تقول فى أبى يوسف؟ قال: من أبو يوسف يا أمير المؤمنين؟ قال: يعقوب. قال: ومن يعقوب يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا. قال: تسأل عنه فإن كان عدلاً جازت شهادته. قال فقال له المهدى: ما تقول أنت فيه؟ قال: أعرفه وأعرف أباه، وكان أبوه غلاماً عندنا بالكوفة ينتمى إلى العرب، وليس من العرب!

قال فغضب المهدى قال فقال: يا بن الفاعلة بالزنا! قال فقال له شريک: مه مه فما علمتها إلا صوامة قوامة! قال فقال له المهدى: يا زنديق والله لأقتلنک!

قال فجعل شريک يضحک ويقول ها ها! قال: وكان شريک جهورى الصوت وقال: يا أمير المؤمنين إن للزنادقة علامات: شربهم النبيذ، واتخاذهم القينات ووقوفهم عن الجماعات. قال: فأطرق المهدى وقام شريک فانصرف».وفى تاريخ بغداد:9/294: «إن للزنادقة علامات، تركهم الجماعات، وشربهم القهوات وتخلفهم عن الجماعات! فقال المهدى يا أبا عبد الله لم نعنک بهذا»!

«قال: ما تقول فى على بن أبى طالب؟ قال: ما قال فيه جدک العباس وعبد الله. قال: وما قالا فيه؟ قال: أما العباس فمات وعلى عنده أفضل الصحابة وقد كان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عما ينزل من النوازل، وما احتاج إلى أحد حتى لحق بالله. وأما عبد الله فإنه كان يضرب بين يديه بسيفين، وكان فى حروبه رأساً متبعاً وقائداً مطاعاً، فلو كانت إمامة على جوراً لكان أول من يقعد عنها أبوک لعلمه بدين الله، وفقهه فى أحكام الله! فسكت المهدى وأطرق، ولم يمض بعد هذا المجلس إلا قليل حتى عزل شريكاً»! (وفيات الأعيان:2/462).

سادساً

لم يهتم المهدى العباسى بمشروع أبيه فيه وزعمه أنه المهدى الموعود على لسان النبى صلى الله عليه وآله وسلم! وقد ألقى المنصور بثقله لإنجاح هذا المشروع فبنى له قصر الرصافة وأقام فيه احتفالاً تاريخياً ومجلساً شرعياً، وأحضر الفقهاء والقضاة فبايعوه بولاية العهد، وشهدوا بأنه هو المهدى المنتظر!

ففى الأغانى:13/313: «عن الفضل بن إياس الهذلى الكوفى أن المنصور كان يريد البيعة للمهدى، وكان ابنه جعفر يعترض عليه فى ذلک، فأمر بإحضار الناس فحضروا، وقامت الخطباء فتكلموا، وقالت الشعراء فأكثروا فى وصف المهدى وفضائله وفيهم مطيع بن إياس، فلما فرغ من كلامه الخطباء وإنشاده فى الشعراء قال للمنصور: يا أمير المؤمنين حدثنا فلان عن فلان أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: المهدى منا محمد بن عبد الله وأمه من غيرنا، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، وهذا العباس بن محمد أخوک يشهد على ذلک!

ثم أقبل على العباس فقال له: أنشدک الله هل سمعت هذا؟ فقال: نعم، مخافةً من المنصور! فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهدى!

قال: ولما انقضى المجلس وكان العباس بن محمد لم يأنس به، قال: أرأيتم هذا الزنديق إذ كذب على الله عز وجل ورسوله حتى استشهدنى على كذبه، فشهدت له خوفاً، وشهد كل من حضر علىَّ بأنى كاذب!

وبلغ الخبر جعفر بن أبى جعفر، وكان مطيع منقطعاً إليه يخدمه فخافه وطرده عن خدمته! قال وكان جعفر ماجناً فلما بلغه قول مطيع هذا غاظه وشقت عليه البيعة لمحمد فأخرج (...آلته) ثم قال: إن كان أخى محمد هو المهدى، فهذا القائم من آل محمد»![(1)](#).

1- راجع: الطبرى:6/269، واليعقوبى:2/395، والمعارف/379، والنهاية:10/111، وشذرات الذهب:1/219، وعبر الذهبى:1/207، وتاريخ دمشق:48/9.

وقد اعترف هارون بكذبة جده المنصور! قال سليمان بن إسحاق العباسی: «كنت يوماً عند الرشيد فذُكر المهدی وما ذكر من عدله فأطنب فی ذلک، فقال الرشيد: أحسبكم تحسبون أبی المهدی! حدثنی عن أبيه عن جده عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب أن النبی صلی الله عليه وآله وسلم قال له: يا عم، يملک من ولدی إثنا عشر خليفة، ثم تكون أمور كريهة شديدة عظيمة، ثم يخرج المهدی من ولدی يصلح الله أمره فی ليلة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ويمكث فی الأرض ما شاء الله، ثم يخرج الدجال»(1).

ومن العجيب فی الموضوع موقف المهدی العباسی نفسه، حيث لم يكترث بادعاء أبيه له! ولم نجد عنه كلمة يزعم فيها أنه المهدی أو يؤيد ادعاء أبيه!

3- رووا هم أن المهدی العباسی ليس بمهدی!

روی الطبرانی بسند موثق (المعجم الأوسط:6/297) أن النبی صلی الله عليه وآله وسلم أخبر عمه العباس بملک أولاده، وقال له: «يا عباس إنه لا يكون نبوة إلا كانت بعدها خلافة. وسيلی من ولدک فی آخر الزمان سبع عشرة، منهم السفاح، ومنهم المنصور، ومنهم المهدی وليس بمهدی، ومنهم الجموح، ومنهم العاقب، ومنهم الواهن، وويل لأمتی منه كيف يعقرها ويهلكها...» ومجمع الزوائد:5/187.

وكان المنصور يعلم أنه كاذب فی ادعائه أن ابنه المهدی! لأنه كان يروی أن المهدی من ولد أبی طالب! قال سيف بن عميرة (الكافی:8/209): «كنت عند أبی الدوانيق فسمعته يقول ابتداءً من نفسه: يا سيف بن عميرة: لابد من مناد ينادی باسم رجل من ولد أبی طالب! قلت: يرويه أحد من الناس؟ قال: والذی نفسی بيده

1- إعلام الوری/365 وطبعة:2/165، وقصص الأنبياء/369، ومناقب ابن شهرآشوب:1/292، والعدد القوية/89، وفرائد السمطين:2/329

لسـمعتْ أذنى منه يقول:لابد من مناد ينادى باسم رجل قلت: يا أمير المؤمنين، إن هذا الحديث ما سـمعت بمثله قط! فقال لى: يا سيف إذا كان ذلک فنحن أول من يجيبه، أما إنه أحد بنى عمنا! قلت: أى بنى عمكم؟ قال: رجل من ولد فاطمة عليها السلام.ثم قال: يا سيف لولا أنى سمعت أبا جعفر محمد بن على يقوله، ثم حدثنى به أهل الأرض ما قبلته منهم، ولكنه محمد بن على»!(1).

وسبب يقين المنصور بكلام الإمام الباقر عليه السلام ، أنه رأى صدق ما أخبره به عن المستقبل، وأنه سوف يحكم!

ومهما يكن، فإن الواقع كـذب أن ابن المنصور هو المهـدى، فلم يملأ الأرض قسـطاً وعـدلاً، ولا بيته! بل زاد الأرض ظلماً وجوراً! ولم يعط المال للناس حثياً بدون عد، بل صادر أموالهم وزادهم فقراً!

ثم كان خماراً مغرماً بمجالس الرقص والغناء، فأنجب للمسـلمين بنتاً مغنية ضرابة عود هى عُلَيَّة العباسية، وأنجب أخاها المغنى إبراهيم بن المهدى «قال ابن الفضل بن الربيع: ما اجتمع أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدى وأخته علية». (سير الذهبى:10/561).

«وكانت علية بنت المهدى تهوى غلاماً خادماً اسـمه طل، فحلف الرشـيد أن لا تكلمه ولا تذكره فى شعرها، فاطلع الرشيد يوماً عليها وهى تقرأ فى آخر سورة البقرة: فإن لم يصبها وابل فالذى نهى عنه أمير المؤمنين»! (المستطرف:1/100).

لكن الذهبى قال فيها: «رخيمة الصوت ذات عفة وتقوى ومناقب»! (سيره:10/187).

كما أنجب المهدى عباسة عشيقة جعفر البرمكى، وكان أخوها هارون: «لا يصبر

1- ومثله الإرشاد/358، وغيبة الطوسى/265، والخرائج:3/1157، وإثبات الهداة:3/725.

عن جعفر وأخته عباسة وكان يحضرهما مجلس الشراب فيقوم هو فقال: أزوجكها على أن لا تمسها! قال: فكانا يثملان ويذهب الرشيد ويثب جعفر عليها فولدت منه غلاماً»! (الطبرى:4/660، وسير الذهبى:9/66).

وقال أعرابى للمهدى:«إنى هجين! قال: ليس يضرك ذاک، فإخوة أمير المؤمنين وولده أكثرهم هجن»! و(تاريخ الذهبى:10/442).

«وكان المهدى يحب الحمام ويشتهيها، فأدخل عليه غياث بن إبراهيم فقيل له حدث أمير المؤمنين، فحدثه بحديث أبى هريرة: لا سبق إلا فى حافر أو نصل وزاد فيه: (أو جناح) فأمر له المهدى بعشرة آلاف!

قال: فلما قام قال: أشهد أن قفاک قفا كذاب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما استجلبت ذاک أنا»(1).

4- كان المهدى يخاف من زوجته الخيزران!

تتوقف معرفة شخصية المهدى وولديه موسى الهادى وهارون الرشيد، على معرفة شخصية زوجته الخيزران! وهى امرأة يمانية من مدينة جرش فى اليمن قرب نجران، من قبيلة حِمْيَر، وليست من جرش فى الأردن قرب عمان (معجم البلدان:2/126) واسمها أروى بنت منصور. (الطبرى:6/341)

قال فى المنتظم:8/346: «لما عرضت الخيزران على المهدى قال لها:والله يا جارية إنک لعلى غاية التمنى، ولكنک حمشة الساقين! فقالت: يا مولانا أحوج ما تكون إليهما لا تراهما! فقال: اشتروها، فحظيت عنده فأولدها موسى وهارون»!

وقال الجاحظ فى المحاسن والأضداد/70: «كانت الخيزران لرجل من ثقيف، فقالت لمولاها الثقفى: إنى رأيت رؤيا. قال: وما هى؟ قالت: رأيت كأن القمر خرج

1- تاريخ بغداد:12/320 وميزان الإعتدال:3/337، ولسان الميزان:4/422.

من قُبلى وكأن الشمس خرجت من دبرى! قال لها: لست من جوارى مثلى أنت تلدين خليفتين! فقدم بها مكة فباعها فى الرقيق فاشتريت، وعرضت على المنصور فقال: من أين أنت؟ قالت: المولد مكة والمنشأ بجرش. قال: فلك أحد؟ قالت: ما لى أحد إلا الله، وما ولدت أمى غيرى! قال: يا غلام إذهب بها إلى المهدى وقل له: تصلح للولد، فأتى بها المهدى فوقعت منه كل موقع، فلما ولدت موسى وهارون قالت: إن لى أهل بيت بجرش، قال: ومن لک؟ قالت: لى أختان اسمهما أسماء وسلسل ولى أم وأخوان. فكتب فأتى بهم، فتزوج جعفر بن المنصور سلسل فولدت منه زبيدة واسمها سكينة تزوجها الرشيد. وبقيت أسماء بكراً فقال المهدى للخيزران: قد ولدت رجلين وقد بايعت لهما، وما أحب أن تبقىْ أمة، وأحب أن أعتقک وتخرجين إلى مكة، وتقدمين فأتزوجک.

قالت: الصواب رأيت، فأعتقها وخرجت إلى مكة، فتزوج المهدى أختها أسماء ومهرها ألف ألف درهم! فلما أحس بقدوم الخيزران استقبلها، فقالت: ما خبر أسماء وكم وهبت لها؟ قال: من أسماء؟ قالت: امرأتک. قال: أما إذا علمت فقد مهرتها ألف ألف درهم، ووهبت لها ألف ألف درهم، ثم تزوج الخيزران».

وذكر اليعقوبى (2/399) أن المنصور ولى يزيد بن منصور خال المهدى على اليمن، وأن المهدى ولاه مع ابنه الهادى على بغداد سنة مئة ستين (ابن خلدون:3/209)

وذكر الطبرى (6/379) أن يزيداً هذا توفى فولى ابنه منصوراً مكانه.

وكانت الخيزران قوية على زوجها المهدى، ففى تاريخ بغداد:14/431: «عن الواقدى قال: دخلت يوماً إلى المهدى فدعا بمحبرته ودفتره، وكتب عنى أشياء حدثته بها ثم نهض وقال: كن مكانک حتى أعود إليک ودخل إلى دار الحرم، ثم خرج متنكراً ممتلئاً غيظاً! فلما جلس قلت: يا أمير المؤمنين خرجت على خلاف الحال التى دخلت عليها؟

فقـال: نعم! دخلت على الخيزران فوثبت عليَّ ومـدت يـدها إليَّ وخرقت ثوبى، وقـالت: يا قشاش وأى خير رأيت منک؟وإنما اشتريتها من نخاس، ورأت منى ما رأت وعقـدت لابنيها ولاية العهد! ويحک فأنا قشاش؟ قال فقلت: يا أمير المؤمنين قال رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم إنهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام! وقال: خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى. وقال: خلقت المرأة من ضلع أعوج إن قومته كسرته. وحدثته فى هذا الباب بكل ما حضـرنى، فسـكن غضـبه وأسـفر وجهه، وأمر لى بألفى دينار، وقال: أصـلح بهذه من حالک وانصـرفت. فلما وصـلت إلى منزلى وافانى رسول الخيزران فقال: تقرأ عليک ستى السـلام وتقول لک: يا عمى قد سـمعت جميع ما كلمت به أمير المؤمنين فـأحسن الله جزاءک، وهـذه ألفا دينار إلا عشـرة دنانير، بعثت بها إليک لأنى لا أحب أن أساوى صـلة أمير المؤمنين، ووجهت إليَّ بأثواب»! وتاريخ دمشق:53/425.

وقال الذهبى فى تاريخه:10/40: «هلک الخليفـة موسـى الهادى من قرحة أصابته فى جوفه، وقيل سـمته أمه الخيزران لما أجمع على قتل أخيه الرشـيد. وكانت أيضاً حاكمـة مسـتبدة بالأمور الكبار فمنعها، وقـد كانت المواكب تغدو إلى بابها، فردهم عن ذلک وكلمها بكلام فج، وقال: إن وقف بدارک أمير لأضر بن عنقه، أما لک مغزل يشغلک، أو مصحف يذكرک، أو سبحة؟!

فقامت ما تعقل من الغضب، فقيل إنه بعث إليها بطعام مسـموم! فأطعمت منه كلباً فانتثر! فعملت على قتله لما وُعک بأن غموا وجهه ببساط جلسوا على جوانبه، وكان يريد إهلاک الرشـيد ليولى العهد ولده وهو صـغير له عشـر سنين..وكانت خلافته سنة وربع، وعاش ستاً وعشرين سنة».

وروى الطبرى فى تاريخه:6/421، تفاصـيل كثيرة فى الصراع على السلطة بين موسى الهادى وأخيه الرشيد وأمهما خيزران، وفيها أن موسى اتهم الخيزران بعبد الله بن

مالک وأراد قتلها، وعنـدما قتلته قالت ليحيى ين خالد: «إن الرجل قد توفى، فاجدد فى أمرک ولا تقصـر» أى رتب الأمر للرشـيد، فرتبه وكان هو رئيس وزرائه! وكان ذلک فى سنة170، وعاشت خيزران إلى سنة173. (تاريخ الذهبى:11/109).

5- لم تكن الخيزران ناصبية كزوجها وولديها!

يـدل على ذلک أنها وظفت مسؤولاً يخدم قبر الإمام الحسـين عليه السـلام وزواره! وأن الإمام الكاظم عليه السـلام أرسل لها رسالة يعزيها بموت موسى ويهنيها بتولى هارون!

فقد منع المنصور بعد ثورة الحسـنيين زيارة قبر الحسـين عليه السـلام فى كربلاء، وأمر والى الكوفة عيسـى بن موسى أن يخرب القبر:«كربه وكرب جميع أرض الحائر وحرثها وزرع الزرع فيها»! لكن الشيعة واصلوا زيارته.(أمالى الطوسى/321).

وتجاوبت معهم الخيزران فرتبت بدون علم زوجها قيِّماً وخدماً لقبر الحسين عليه السلام، وأمرت الوزير الشيعى الحسن بن راشد أن يجرى عليهم راتباً شهرياً!

فقـد روى الطبرى فى تاريخه:6/536، وفى طبعة:5/21، عن: «القاسم بن يحيى قال: بعث الرشـيد إلى ابن أبى داود والـذين يخـدمون قبر الحسـين بن على فى الحير (أى كربلاء) قـال فـأتىَ بهم، فنظر إليه الحسن بن راشـد وقال:ما لک؟ قال بعث إلىَّ هـذا الرجل يعنى الرشـيد فأحضـرنى، ولست آمنه على نفسى! قال له: فإذا دخلت عليه فسألک فقل له: الحسن بن راشد وضعنى فى ذلک الموضع! فلما دخل عليه قال هذا القول، قال: ما أخلق أن يكون هذا من تخليط الحسن، أحضـروه! قال فلما حضر قال: ما حملک على أن صيرت هذا الرجل فى الحير؟ قـال: رحم الله من صـيره فى الحير، أمرتنى أم موسـى (الخيزران) أن أصـيره فيه وأن أجرى عليه فى كـل شـهر ثلاثين درهماً! فقال:ردوه إلى الحير وأجروا عليه ما أجرته أم موسى»!

والحسن بن راشد معاون على بن يقطين. (تاريخ اليعقوبى:2/401).

6- كتب الإمام الكاظم عليه السلام رسالة إلى الخيزان

فى قرب الإسناد للحميرى القمى/306: «محمد بن عيسى، عن بعض من ذكره، أنه كتب أبو الحسن موسى عليه السلام إلى الخيزران يعزيها بموسى ابنها ويهنؤها بهارون ابنها: بسم الله الرحمن الرحيم. للخيزران أم أمير المؤمنين من موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين، أما بعد: أصلحک الله وأمتع بک، وأكرمک وحفظک، وأتم النعمة والعافية فى الدنيا والآخرة لک برحمته. ثم إن الأمور أطال الله بقاءک كلها بيد الله عز وجل يمضيها ويقدرها بقدرته فيها والسلطان عليها، توكل بحفظ ماضيها وتمام باقيها، فلا مقدم لما أخر منها ولا مؤخر لما قدم، استأثر بالبقاء وخلق خلقه للفناء، وأسكنهم دنيا سريع زوالها قليل بقاؤها، وجعل لهم مرجعاً إلى دار لا زوال لها ولا فناء، وكتب الموت على جميع خلقه، وجعلهم أسوة فيه، عدلاً منه عليهم عزيزاً، وقدرة منه عليهم، لا مدفع لأحد منه ولا محيص له عنه، حتى يجمع الله تبارک وتعالى بذلک إلى دار البقاء خلقه، ويرث به أرضه ومن عليها، وإليه يرجعون.

بلغنا أطال الله بقاءک ما كان من قضاء الله الغالب، فى وفاة أمير المؤمنين موسى وإنا لله وإنا إليه راجعون، إعظاماً لمصيبته وإجلالاً لرزئه وفقده، ثم إنا لله وإنا إليه راجعون، صبراً لأمر الله عز وجل وتسليماً لقضائه...ونسأل الله أن يعظم أجرک أمتع الله بک، وأن يحسن عقباک، وأن يعوضک من المصيبة أفضل ما وعد الصابرين...وأسأل الله أن يهنيک خلافة أمير المؤمنين أمتع الله به... وأن يمتعک وإيانا خاصة والمسلمين عامة بأمير المؤمنين، حتى نبلغ به أفضل الأمل فيه...

إن رأيت أطال الله بقاءک أن تكتبى إلى بخبرک فى خاصة نفسک، وحال جزيل هذه المصيبة وسلوتک عنها، فعلت، فإنى بذلک مهتمٌّ إلى ما جاءنى من خبرک وحالک فيه متطلع، أتم الله لک أفضل ما عودک من نعمه، واصطنع عندک من كرامته، والسلام

عليک ورحمة الله وبرکاته. وکتب يوم الخميس لسبع ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة».

أقول: مات موسى الهادى فى نصف ربيع الأول (الطبرى:6/428) فتكون رسالة الإمام عليه السلام لخيزران بعد موته بثلاثة أسابيع.ومع أن الحميرى رحمه الله تفرد بالرسالة وروايته مرسلة، إلا أنها ممكنة الصحة، فقد كانت الخيزران مركز القوة فى الخلافة العباسية، فخاطبها الإمام عليه السلام بليونة كما يخاطب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام جبابرة عصورهم!

ويبدو أن إنفاقها على قيِّم وخدام قبر الإمام الحسين عليه السلام كان واحداً من سياستها الإيجابية مع الإمام عليه السلام وشيعته، وقد تكون لها إيجابيات أخرى، وتكون أرسلت اليه مبعوثين ورسائل.

وقد علق المجلسى رحمه الله فى البحار(48/135) على هذه الرسالة بقوله: «أنظر إلى شدة التقية فى زمانه عليه السلام حتى أحوجته إلى أن يكتب مثل هذا الكتاب لموت كافر لا يؤمن بيوم الحساب، فهذا يفتح لک من التقية کل باب»!

7- كانت علاقة الإمام الكاظم عليه السلام حسنة مع المهدى

روى فى الكافى (1/358) قصة موسى بن عبد الله بن الحسن المعروف بموسى الجون، وأن الإمام الصادق عليه السلام نصحه أن لا يخرج مع أخيه محمد الذى ادعى المهدية، وأخبرهم بأنه سيهزم معهم ويتشرد، ونصحه بأن يطلب الأمان من العباسيين. وكيف طلب الأمان من المهدى العباسى فعفا عنه وأعطاه جائزة، وأعطى للإمام الكاظم لأنه كأبيه الصادق عليهما السلام لايريان الثورة على العباسيين!

فقد حكى موسى الجون مجيئه مع أبيه عبد الله بن الحسن إلى الإمام الصادق عليه السلام ومحاولته أن يأخذ منه البيعة لولده محمد على أنه هو المهدى الموعود!

فقـال له الإمـام عليه السـلام: «فوالله إنى لأراه أشأم سـلحة أخرجتها أصـلاب الرجال إلى أرحام النساء، والله إنه المقتول بسـدة أشـجع بين دورها، والله لكأنى به صـريعاً مسلوباً بزته بين رجليه لبنة! ولا ينفع هذا الغلام ما يسمع! قال موسى بن عبد الله:يعنينى، وليخرجن معه فيهزم ويقتل صاحبه، ثم يمضى فيخرج معه راية أخرى، فيقتل كبشها ويتفرق جيشها، فإن أطاعنى فليطلب الأمان عند ذلک من بنى العباس، حتى يأتيه إليه بالفرج».

قال موسـى: «فلما ضاقت على الأرض واشـتد بى الخوف، ذكرت ما قال أبو عبد الله عليه السـلام فجئت إلى المهدى وقد حج وهو يخطب الناس فى ظل الكعبة، فما شعر إلا وأنى قد قمت من تحت المنبر فقلت: لى الأمان يا أمير المؤمنين وأدلک على نصيحة لک عندى.

فقال: نعم، ما هى؟ قلت: أدلک على موسـى بن عبد الله بن حسن! فقال لى: نعم لک الأمان، فقلت له: أعطنى ما أثق به، فأخذت منه عهوداً ومواثيق ووثقت لنفسـى، ثم قلت: أنـا موسـى بن عبـد الله، فقـال لى: إذاً تُكرم وتحبى! فقلت له: أقطعنى إلى بعض أهـل بيتـک يقوم بأمرى عنـدک، فقـال لى: أنظر إلى من أردت، فقلت: عمک العباس بن محمـد، فقال العباس: لا حاجـة لى فيک، فقلت: ولكن لى فيک الحاجـة، أسألک بحق أمير المؤمنين إلا قبلتنى فقبلنى شاء أو أبى، وقال لى المهـدى: من يعرفک، وحوله أصـحابنا أو أكثرهم؟ فقلت: هذا الحسن بن زيـد يعرفنى، وهـذا موسـى بن جعفر يعرفنى، وهذا الحسن بن عبد الله بن العباس يعرفنى! فقالوا: نعم يا أمير المؤمنين كأنه لم يغب عنا! ثم قلت للمهدى: يا أمير المؤمنين لقد أخبرنى بهذا المقام أبو هذا الرجل وأشـرت إلى موسـى بن جعفر! قال موسـى بن عبد الله: وكذبت على جعفر كذبة فقلت له: وأمرنى أن أقرئک السلام وقال إنه إمام عدل وسخاء!

قال: فأمر لموسى بن جعفر بخمسة آلاف دينار، فأمر لى منها موسى بألفى دينار، ووصل عامة أصحابه ووصلنى فأحسن صلتى.

فحيث ما ذكر ولـد محمـد بن على بن الحسـين فقولوا صـلى الله عليه وملائكته وحملـة عرشه والكرام الكاتبون، وخصوا أبا عبد الله بأطيب ذلک، وجزى موسى بن جعفر عنى خيراً، فأنا والله مولاهم بعد الله»!

كما أن علاقـة الإمام الكاظم عليه السـلام كانت حسـنة مع والى المدينة، فقد روى الزيات فى طب الأئمة/92، أن والى المدينة شـكى إلى الإمام الكاظم عليه السـلام: «تواتر الوجع على ابنه، قال:تكتب له هذه العوذة فى رق، وتصيرها فى قصبة فضة وتعلق على الصبى، يدفع الله عنه بها بكل علة».

8- وكان المهدى يحترم مقام الإمام الكاظم عليه السلام

1- فى السـنة الثانيـة لتوليه الخلافـة وهى سـنة ستين ومائـة حج المهدى: «وأمر بتوسـعة المسـجد الحرام، وكشط كسوة الكعبة، وكساها». (المحبر/36).

«لما بنى المهدى المسـجد الحرام بقيت دار فى تربيع المسـجد، فطلبها من أربابها فامتنعوا، فسأل عن ذلک الفقهاء فكل قال له إنه لا ينبغى أن يدخل شـيئاً فى المسـجد الحرام غصـباً، فقال له على بن يقطين: يا أمير المؤمنين لو كتبت إلى موسـى بن جعفر لأخبرک بوجه الأمر فى ذلک.

فكتب إلى والى المدينـة أن يسـأل موسـى بن جعفر عن دار أردنـا أن نـدخلها فى المسـجد الحرام فامتنع علينا صاحبها فكيف المخرج من ذلک؟ فقال أبو الحسن: ولا بـد من الجواب فى هذا؟ فقال له: الأمر لابد منه، فقال له: أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم إن كانت الكعبة هى النازلة بالناس فالناس أولى بفنائها، وإن كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها. فلما أتى الكتاب إلى المهدى أخذ الكتاب

فقبله، ثم أمر بهـدم الـدار! فأتى أهل الدار أبا الحسن فسألوه أن يكتب لهم إلى المهدى كتاباً فى ثمن دارهم، فكتب إليه أن ارضخ لهم شـيئاً فأرضاهم». (تفسير العياشى:1/185).

2- «عن على بن يقطين أنه قال: أمر أبو جعفر الدوانيقى يقطين أن يحفر له بئراً بقصر العبادى، فلم يزل يقطين فى حفرها حتى مات أبو جعفر ولم يسـتنبط منها الماء، وأخبر المهـدى بـذلک فقال له: إحفر أبداً حتى يسـتنبط الماء، ولو أنفقت عليها جميع ما فى بيت المال! قال: فوجه يقطين أخاه أبا موسـى فى حفرها، فلم يزل يحفر حتى ثقبوا ثقباً فى أسـفل الأرض، فخرجت منه الريح قال فهالهم ذلک! فأخبروا به أبا موسى فقـال:أنزلونى! قـال: فـأنزل وكان رأس البئر أربعين ذراعاً فى أربعين ذراع، فأجلس فى شق محمل ودلى فى البئر، فلما صار فى قعرها نظر إلى هول، وسمع دوى الريح فى أسفل ذلک، فأمرهم أن يوسعوا الخرق فجعلوه شبه الباب العظيم، ثم دلى فيه رجلاً فى شق محمل فقال: إيتونى بخبر هـذا مـا هو؟ قال: فنزلا فى شق محمل فمكثا ملياً، ثم حركا الحبل فأصـعدا فقال لهما: ما رأيتما؟ قالا: أمراً عظيماإرجالا! ونساءً وبيوتاً وآنيةً ومتاعاً، كله ممسوخ من حجارة! فأما الرجال والنساء فعليهم ثيابهم، فمن بين قاعد ومضـطجع ومتكئ، فلما مسسناهم إذا ثيابهم تتفشا شبه الهباء ومنازل قائمة!

قال: فكتب بـذلک أبو موسـى إلى المهـدى، فكتب المهـدى إلى المدينة إلى موسـى بن جعفر عليه السـلام يسأله أن يقدم عليه فقدم عليه، فأخبره فبكى بكاءً شديداً وقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء بقية قوم عاد، غضب الله عليهم فساخت بهم منازلهم، هؤلاء أصحاب الأحقاف! قال: فقال له المهدى: يا أبا الحسن وما الأحقاف؟ قال: الرمل»(1).

1- الإحتجاج:2/159، وبعضه اليعقوبى:2/402، وتاريخ الطبرى:6/378

وفی معجم البلدان:4/304: «قبر العبادی: منزل فی طریق مکة من القادسیة إلی العذیب، ثم المغیثة، ثم القرعاء، ثم واقصة، ثم العقبة، ثم القاع، ثم زبالة، ثم شقوق، ثم قبر العبادی، ثم الثعلبیة، وهی ثلث الطریق».

وفی الخرائج:2/655: «ومنها: أن المهدی أمر بحفر بئر بقرب قبر العبادی لعطش الحاج هناک، فحفرت أکثر من مائة قامة، فبینا هم کذلک یحفرون إذ خرقوا خرقاً فإذا تحته هواء لا یدری ما قعره، فإذا هو مظلم وللریح فیه دوی! فأدلوا رجلین إلی مستقره فلما خرجا تغیرت ألوانهما وقالا: رأینا دوی هواء واسعاً ورأینا بیوتاً قائمة ورجالاً ونساء، وإبلاً وبقراً وغنماً کلما مسسنا شیئاً منها رأیناه هباءً.فسئل الفقهاء عن ذلک، فلم یدر أحد ما هو. فقدم أبو الحسن موسی علیه السلام علی المهدی فسأله عنه فقال: أولئک أصحاب الأحقاف، هم بقیة من عاد ساخت بهم منازلهم. وذکر علی مثل ما قال الرجلان».

وفی تفسیر القمی:2/298: «فلما ولیَ المتوکل أمر أن یحفر ذلک البئر أبداً حتی یبلغ الماء!فحفروا حتی وضعوا فی کل مائة قامة بکرة حتی انتهوا إلی صخرة فضربوها بالمعول فانکسرت فخرج منها ریح باردة فمات من کان بقربها. فأخبروا المتوکل بذلک فلم یعلم بذلک ما ذاک! فقالوا: سل ابن الرضا عن ذلک وهو أبو الحسن علی بن محمد علیهما السلام فکتب إلیه یسأل عن ذلک، فقال أبو الحسن: تلک بلاد الأحقاف، وهم قوم عاد الذین أهلکهم الله بالریح الصرصر».

ویبدو أن المقصود ثمود بقایا قوم عاد، لأن مساکن عاد الأولی فی حضرموت والربع الخالی، ففی کنز الفوائد/179، أن أمیر المؤمنین علیه السلام سأل رجلاً من حضرموت: «أعالمٌ أنت بحضرموت؟ فقال الرجل: إن جهلتها لم أعلم شیئاً! قال: أفتعرف موضع الأحقاف...الخ.».

9- ومع ذلک أراد المهدی العباسی قتل الإمام علیه السلام!

قال فی تاریخ بغداد:13/29: «أقدمه المهدی بغداد، ثم رده إلی المدینة وأقام بها إلی أیام الرشید».

وفی الکافی:1/477، وقرب الإسناد/330: «عن أبی خالد الزبالی قال: قدم أبو الحسن موسی علیه السلام زبالة، ومعه جماعة من أصحاب المهدی بعثهم المهدی فی إشخاصه إلیه، أمرنی بشراء حوائج له ونظر إلی وأنا مغموم فقال:یا با خالد مالی أراک مغموماً؟ قلت: جعلت فداک هو ذا تصیر إلی هذا الطاغیة ولا آمنه علیک! فقال: یا با خالد لیس علی منه بأس، إذا کانت سنة کذا وکذا وشهر کذا وکذا فانتظرنی فی أول المیل، فإنی أوافیک إن شاء الله.قال: فما کانت لی همة إلا إحصاء الشهور والأیام، فغدوت إلی أول المیل فی الیوم الذی وعدنی، فلم أزل انتظره إلی أن کادت الشمس أن تغیب فلم أر أحداً فشککت فوقع فی قلبی أمر عظیم، فنظرت قرب المیل فإذا سواد قد رفع، قال: فانتظرته فوافانی أبو الحسن علیه السلام أمام القطار علی بغلة له فقال: إیهٍ یا با خالد! قلت: لبیک جعلت فداک قال: لا تشکن، ود والله الشیطان أنک شککت! قلت: قد کان والله ذلک جعلت فداک! قال: فسررت بتخلیصه وقلت: الحمد الله الذی خلصک من الطاغیة. فقال: یا با خالد إن إن لی إلیهم عودة لا أتخلص منهم»! والخرائج:1/315 والمناقب:3/413.

ورواه فی دلائل الامامة/335، وفیه: «فنزل فی هاتین القبتین فی یوم شدید البرد فی سنة مجدبة، لا یقدر علی عود یستوقد به تلک السنة، وأنا یومئذ أری رأی الزیدیة أدین الله بذلک فقال لی: یا أبا خالد إئتنا بحطب نستوقد. قلت: والله ما أعرف فی المنزل عوداً واحداً، فقال: کلا، خذ فی هذا الفج فإنک تلقی أعرابیاً معه حملین فاشترهما منه ولا تماکسه، فرکبت حماری وانطلقت نحو الفج الذی وصف لی، فإذا أعرابی معه حملین حطب فاشتریتهما منه وأتیته فاستوقدوا منه یومهم. وأتیته بظرف مما عندنا یطعم منه،

ثم قال: يا أبا خالد أنظر خفاف الغلمان ونعالهم فأصلحها حتى نقدم عليک يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا.

قال أبو خالـد: وكتبت تاريخ اليوم وليس همى غير هذه الأيام، فلما كان يوم الميعاد ركبت حمارى وسـرت أميالاً ونزلت فقعدت عند الجبل أفكر فى نفسـى، وأقول: والله إن وافانى هـذا اليوم الـذى قال لى، فإنه الإمام الـذى فرض الله طاعته على خلقه لا يسع الناس جهله! فقعـدت حتى أمسـيت، وأردت الإنصـراف فإذا أنا براكب مقبل فأشـرت إليه فأقبل إلى فسلم فرددت عليه السلام فقلت: وراءک أحد؟ قال: نعم، قطار فيه نحو من عشرين يشبهون أهل المدينة.

قال: فما لبثت أن ارتفع القطار فركبت حمارى وتوجهت نحو القطار فإذا هو يهتف بى: يا أبا خالد هل وفينا لک بما وعدناک؟ قلت: قد والله كنت أيست من قدومک حتى أخبرنى راكب، فحمدت الله على ذلک وعلمت أنک هو.

قال: ما فعلت القبتان اللتان كنا نزلنا فيهما؟قلت: جعلت فـداک تذهب إليهما؟ وانطلقت معه حتى نزل القبتين فأتيناه بغذاء فتغذى وقال: ما حال خفاف الغلمان ونعالهم؟ قلت: أصـلحتها فأتيته بها فسـر بذلک، فقال: يا أبا خالد، زودنا من هذه الفسقارات التى بالمدينة، فإنا لا نقدر فيها على هـذه الأشـياء التى تجدونها عندكم. قال: فلم يبق شـىء إلا زودته منه، ففرح وقال: سـلنى حاجتک، وكان معه محمد أخوه. قلت: جعلت فـداک أخبرک بمـا كنت فيه وأدين الله به، إلى أن وقعت عليـک وقـدمت على فسـألتنى الحطب، فأخبرتـک بما أخبرتک، فأخبرتنى بالأعرابى، ثم قلت لى إنى موافيک يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا، فكان كما قلت، لم ينقص ولم يزد يوماً واحداً، فعلمت أنک الإمام الذى فرض الله طاعته لا يسع الناس جهلک، فحمدت الله لذلک.فقال: يا أبا خالد من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وحوسب بما عمل فى الإسلام».

ولم أجد كلمة (الفسقارات) ولا بد أنها سلعة تتوفر فى محطة زبالة، دون المدينة.

ويظهر أن المهدى بعث جماعة أو سرية، ليُحضروا الإمام الكاظم عليه السلام، ليقتله، وقد ناظره أولاً، ثم حبسه وعزم على قتله، فرأى ذلك المنام المرعب فأطلقه، وعاد الإمام عليه السلام إلى المدينة فى الوقت الذى حدده لأبى خالد الزبالى رحمه الله!

ويبدو أن الإمام عليه السلام أخذ عائلته معه فى تلك السفرة، ففى الكافى:3/202: «لما رجع أبو الحسن موسى عليه السلام من بغداد ومضى إلى المدينة، ماتت له ابنة بفيد، فدفنها وأمر بعض مواليه أن يجصص قبرها، ويكتب على لوح إسمها ويجعله فى القبر». وتقع فيد، بين الحجاز والعراق، جنوب حائل. (معجم البلدان:4/282).

وسيأتى أن المهدى حبس الإمام عليه السلام فرأى مناماً مرعباً فأطلقه.

10- وأخبر عليه السلام بأن المهدى لا يقتله ولا الذى بعده!

«عن ابن سنان قال: دخلت على أبى الحسن موسى عليه السلام من قبل أن يقدم العراق بسنة، وعلىٌّ ابنه جالس بين يديه، فنظر إلىَّ فقال: يا محمد أما إنه سيكون فى هذه السنة حركة فلا تجزع لذلك! قال قلت: وما يكون جعلت فداك؟ فقد أقلقنى ما ذكرت! فقال: أصير إلى الطاغية، أما إنه لا يبدأنى منه سوء، ومن الذى يكون بعده.قال قلت: وما يكون جعلت فداك؟ قال: يضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء! قال قلت: وما ذاك جعلت فداك؟ قال: من ظلم ابنى هذا حقه وجحد إمامته من بعدى، كان كمن ظلم على بن أبى طالب حقه وجحده إمامته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! قال قلت: والله لئن مد الله لى فى العمر لأسلمن له حقه ولأقرن له بإمامته. قال: صدقت يا محمد يمد الله فى عمرك وتسلم له حقه وتقر له بإمامته وإمامة من يكون من بعده. قال قلت: ومن ذاك؟ قال محمد ابنه! قال قلت: له الرضا والتسليم».(الكافى:1/319).

11- قال الإمام عليه السلام للخليفة: ما بال مظلمتنا لا ترد؟!

فی الکافی:1/543: «عن علی بن أسباط قال: لما ورد أبو الحسن موسی علیه السلام علی المهدی رآه یرد المظالم فقال: یا أمیر المؤمنین ما بال مظلمتنا لا ترد؟ فقال له: وما ذاک یا أبا الحسن؟ قال: إن الله تبارک وتعالی لما فتح علی نبیه صلی الله علیه وآله وسلم فدک وما والاها لم یوجف علیه بخیل ولا رکاب، فأنزل الله علی نبیه صلی الله علیه وآله وسلم: وَآتِ ذَا الْقُرْبَی حَقَّهُ، فلم یدر رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم من هم، فراجع فی ذلک جبرئیل، وراجع جبرئیل ربه فأوحی الله إلیه: أن ادفع فدک إلی فاطمة علیها السلام، فدعاها رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فقال لها: یا فاطمة إن الله أمرنی أن أدفع إلیک فدکاً، فقالت: قد قبلت یا رسول الله من الله ومنک! فلم یزل وکلاؤها فیها حیاة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، فلما ولی أبو بکر أخرج عنها وکلاء ها، فأتته فسألته أن یردها علیها فقال لها: إئتینی بأسود أو أحمر یشهد لک بذلک، فجاءت بأمیر المؤمنین علیه السلام وأم أیمن، فشهدا لها فکتب لها بترک التعرض، فخرجت والکتاب معها فلقیها عمر فقال: ما هذا معک یا بنت محمد؟ قالت کتاب کتبه لی ابن أبی قحافة، قال أرینیه فأبت، فانتزعه من یدها ونظر فیه ثم تفل فیه ومحاه وخرقه، فقال لها: هذا لم یوجف علیه أبوک بخیل ولارکاب، فضعی الحبال فی رقابنا!

فقال له المهدی: یا أبا الحسن حُدَّهَا لی، فقال: حد منها جبل أحد، وحد منها عریش مصر، وحد منها سیف البحر، وحد منها دومة الجندل!

فقال له: کل هذا؟ قال: نعم یا أمیر المؤمنین هذا کله، إن هذا کله مما لم یوجف علی أهله رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بخیل ولا رکاب! فقال: کثیرٌ، وأنظر فیه»!

أقول: يشمل هذا التحديد قسماً من الجزيرة وبلاد الشام إلى العريش، وهو أول حدود مصر (معجم البلدان:3/312) وقسمٌ من هذه البلاد فتح عنوة، فلا بد أن يكون استحقاق النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأرضها بسبب أنها لم تفتح بإذن الإمام بعده عليه السلام، ولا ينافى ذلک أن الإمام شارک فى فتحها، وخطط لمعاركها عسكرياً.

وقد روى أن الإمام الكاظم عليه السلام حدد فدكاً للرشيد بتحديد آخر، يشمل كل الدولة الإسلامية، ليقول له بذلک إن فدكاً رمز لظلامتنا فى الخلافة!

ففى مناقب آل أبى طالب:3/435: «فى كتاب أخبار الخلفاء: أن هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر:خذ فدكاً حتى أردها إليک فيأبى حتى ألح عليه فقال عليه السلاملا آخذها إلا بحدودها! قال: وما حدودها؟ قال: إن حددتها لم تردها؟ قال: بحق جدک إلا فعلت، قال أما الحد الأول فعدن، فتغير وجه الرشيد وقال: إيهاً، قال: والحد الثانى سمرقند. فاربد وجهه! والحد الثالث: إفريقية، فاسود وجهه وقال: هيه! قال: والرابع سيف البحر مما يلى الجزر وأرمينية! قال الرشيد: فلم يبق لنا شىء، فتحول إلى مجلسى! قال موسى: قد أعلمتک أننى إن حددتها لم تردها! فعند ذلک عزم على قتله!

وفى رواية ابن أسباط أنه قال: أما الحد الأول فعريش مصر، والثانى دومة الجندل، والثالث أحد، والرابع سيف البحر. فقال: هذا كله هذه الدنيا! فقال: هذا كان فى أيدى اليهود بعد موت أبى هالة فأفاءه الله على رسوله بلا خيل ولا ركاب، فأمره الله أن يدفعه إلى فاطمة عليها السلام».

ويظهر أن المهدى العباسى أرجع فدكاً للإمام عليه السلام، لكن بالحدود التى رآها!

ففى الطرائف/252: «ذكر أبو هلال العسكرى فى كتاب أخبار الأوائل أن أول من رد فدكاً على ورثة فاطمة عليها السلام عمر بن عبد العزيز، وكان معاوية أقطعها

لمروان بن الحكم وعمرو بن عثمان ويزيد بن معاوية، وجعلها بينهم أثلاثاً، ثم قبضت من ورثة فاطمة عليها السلام فردها عليهم السفاح، ثم قبضت فردها عليهم المهدى، ثم قبضت فردها عليهم المأمون كما تقدم شرحه.

ومن غير كتاب أبى هلال العسكرى بل فى تواريخ متفرقة أنها قبضت منهم بعد المأمون فردها عليهم الواثق، ثم قبضت فردها عليهم المستعين، ثم قبضت فردها عليهم المعتمد، ثم قبضت فردها المعتضد، ثم قبضت فردها عليهم الراضى»!

وفى تاريخ الذهبى: 9/31: «وحدث أيوب بن عمر قال: لقى جعفر بن محمد أبا جعفر المنصور فقال: يا أمير المؤمنين رد على قطيعتى عين أبى زياد آكل منها، قال: إياى تكلم هذا الكلام، والله لأزهقن نفسك! قال: فلا تعجل علىَّ فقد بلغت ثلاثاً وستين سنة وفيها مات أبى وجدى وعلى بن أبى طالب، فرق له، فلما مات المنصور رد المهدى على أولاد أبى جعفر عين أبى زياد».

12- المهدى العباسى يختبر علم الإمام الكاظم عليه السلام

فى الكافى: 6/406: «عن على بن يقطين قال: سأل المهدى أبا الحسن عليه السلام عن الخمر هل هى محرمة فى كتاب الله عز وجل، فإن الناس إنما يعرفون النهى عنها ولا يعرفون التحريم لها؟ فقال له أبو الحسن عليه السلام: بل هى محرمة فى كتاب الله عز وجل يا أمير المؤمنين، فقال له: فى أى موضع هى محرمة فى كتاب الله جل اسمه يا أبا الحسن؟ فقال: قول الله عز وجل:

((قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ)).

فأما قوله: ما ظهر منها، يعنى الزنا المعلن ونصب الرايات التى كانت ترفعها الفواجر للفواحش فى الجاهلية. وأما قوله عز وجل: وما بطن، يعنى ما نكح من الآباء

لأن الناس كانوا قبل أن يبعث النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان للرجل زوجة ومات عنها، تزوجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمه. فحرم الله عز وجل ذلک. وأما الإثم فإنها الخمرة بعينها، وقد قال الله عز وجل فى موضع آخر:

((يَسْأَلُونکَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ)).

فأما الإثم فى كتاب الله فهى الخمرة والميسر، وإثمهما أكبر كما قال الله تعالى.

قال فقال المهدى: يا على بن يقطين هذه والله فتوى هاشمية. قال قلت له: صدقت والله يا أمير المؤمنين، الحمد لله الذى لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت قال: فوالله ما صبر المهدى أن قال لى: صدقت يا رافضى».

وفى الاحتجاج:2/346: «فقال لأبى الحسن موسى عليه السلام: إنى أريد أن أسألک عن شىء، قال: هات. فقال: ما تقول فى التظليل للمحرم؟ قال: لا يصلح، قال: فيضرب الخباء فى الأرض فيدخل فيه؟ قال: نعم. قال: فما فرق بين هذا وذلک؟ قال أبو الحسن موسى عليه السلام: ما تقول فى الطامث تقضى الصلاة؟ قال: لا، قال: تقضى الصوم؟ قال: نعم، قال: ولم؟ قال: إن هذا كذا جاء. قال أبو الحسن عليه السلام: وكذلک هذا! قال المهدى لأبى يوسف: ما أراک صنعت شيئاً! قال: يا أمير المؤمنين رمانى بحجة».ومناقب آل أبى طالب:3/429.

13- الإمام عليه السلام يأمر تلاميذه بإيقاف المناظرة فى زمن المهدى

فى رجال الطوسى:2/542: «عن يونس قال: قلت لهشام إنهم يزعمون أن أبا الحسن عليه السلام بعث إليک عبد الرحمن بن الحجاج يأمرک أن تسكت ولا تتكلم، فأبيت أن تقبل رسالته! فأخبرنى كيف كان سبب هذا، وهل أرسل إليک ينهاک عن الكلام أولا، وهل تكلمت بعد نهيه إياک؟

فقال هشام: إنه لما كان أيام المهدى شدد على أصحاب الأهواء، وكتب له ابن المفضل صنوف الفرق صنفاً صنفاً، ثم قرأ الكتاب على الناس فقال يونس: قد سمعت هذا الكتاب يقرأ على الناس على باب الذهب بالمدينة، ومرة أخرى بمدينة الوضاح، فقال إن ابن المقعد صنف لهم صنوف الفرق فرقة فرقة، حتى قال فى كتابه: وفرقة منهم يقال لهم الزرارية، وفرقة منهم يقال لهم العَمَّارية أصحاب عمار الساباطى، وفرقة يقال لها اليعفورية، ومنهم فرقة أصحاب سليمان الأقطع، وفرقة يقال لها الجواليقية. قال يونس: ولم يذكر يومئذ هشام بن الحكم ولا أصحابه، فزعم هشام ليونس أن أبا الحسن عليه السلام بعث إليه فقال له: كفَّ هذه الأيام عن الكلام فإن الأمر شديد قال هشام: فكففت عن الكلام حتى مات المهدى وسكن الأمر، فهذا الذى كان من أمره، وانتهائى إلى قوله».

وفى /547، عن هشام: «أتانى عبد الرحمن بن الحجاج، وقال لى يقول لک أبو الحسن: أمسک عن الكلام هذه الأيام، وكان المهدى قد صنف له مقالات الناس وفيه مقالة الجواليقية هشام بن سالم، وقرأ ذلک الكتاب فى الشرقية، ولم يذكر كلام هشام، وزعم يونس أن هشام بن الحكم قال له: فأمسكت عن الكلام أصلاً حتى مات المهدى، وإنما قال لى هذه الأيام».

14- قرر المهدى أن يقتل الإمام عليه السلام فرأى مناماً مرعباً!

فى مناقب آل أبى طالب:3/418: «لما بويع محمد المهدى دعا حميد بن قحطبة نصف الليل وقال: إن إخلاص أبيک وأخيک فينا أظهر من الشمس، وحالک عندى موقوف، فقال: أفديک بالمال والنفس، فقال: هذا لسائر الناس، قال: أفديک بالروح والمال والأهل والولد، فلم يجبه المهدى فقال: أفديک بالمال والنفس والأهل والولد والدين! فقال: لله درک، فعاهده على ذلک، وأمره بقتل الكاظم عليه السلام فى السحر

بغتة، فنام فرأى فى منامه علياً عليه السلام يشير إليه ويقرأ:

((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ))؟

فانتبه مذعوراً، ونهى حميداً عما أمره، وأكرم الكاظم عليه السلام ووصله».

وقد روت عامة مصادر السنة عزم المهدى على قتل الإمام عليه السلام ومنام المهدى العباسى المتقدم، كتاريخ بغداد:13/32، وتهذيب الكمال:29/49، وسير الذهبى:6/272، وتاريخه:12/418، وصفة الصفوة:2/184، والمستطرف:2/157، والفصول المهمة:2/937.

الفصل السادس: الإمام الكاظم عليه السلام وموسى الهادى العباسى

اشارة

1- الخليفة موسى الهادى قصير العمر كثير الشر

أوصى المهدى بالخلافة إلى ابنيه من زوجته المفضلة خيزران، فجعل ولى عهده موسى الهادى، وبعده أخاه هارون الرشيد.

وحكم المهدى عشر سنوات، وكان فى الصيد يطارد مع كلابه غزالاً، فاقتحم به فرسه خربة فاصطدم رأسه بعتبة بابها فمات على الفور سنة 169، فحكم بعده ابنه موسى الهادى سنة وربعاً، ومات وعمره 26سنة.

كان موسى الهادى: «طويلاً جسيماً جميلاً، أبيض مشرباً حمرة، وكان بشفته العليا تقلص». «وكان يشرب المسكر، وفيه ظلم وشهامة ولعب، وربما ركب حماراً فارهاً». (سير الذهبى:7/441). «كان يثب على الدابة وعليه درعان، وكان المهدى يسميه ريحانتى». (الطبرى:6/428،433).

«قال ابن دأب: فدخلت عليه وهو منبطح على فراشه، وإن عينيه لحمراوان من السهر وشرب الليل، فقال لى: حدثنى بحديث فى الشراب! فقلت: نعم يا أمير المؤمنين خرجت رجُلة من كنانة ينتجعون الخمر من الشام، فمات أخ لأحدهم فجلسوا عند قبره يشربون..الخ.». (الطبرى:6/436).

وقال الطبرى:6/421: «كانت الخيزران فى أول خلافة موسى تفتات عليه فى أموره، وتسلك به مسلك أبيه من قبله، فى الاستبداد بالأمر والنهى...فكان يجيبها إلى كل ما تسأله حتى مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته، وانثال الناس عليها وطمعوا

فيها، فكانت المواكب تغـدو إلى بابها. قال فكلمته يوماً فى أمر لم يجـد إلى إجابتها إليه سبيلاً، فاعتل بعلة فقالت: لا بد من إجابتى. قال: لا أفعل! قالت: فإنى قد تضـمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالک، قال فغضب موسى وقال:ويلى على ابن الفاعلة قد علمت أنه صاحبها، والله لا قضيتها لک!

قالت: إذاً والله لا أسألک حاجة أبداً»!

أقول: عبد الله بن مالک، الذى اتهم به موسى الهادى أمه الخيزران، كان رئيس شرطة أبيه المهدى.ثم رئيس شرطته. (الطبرى:6/443).

2- كان موسى الهادى مشهوراً بالفسق!

فى معاهد التنصيص/198، والوافى:10/86: «وكان السـبب فى قتل المهدى بشاراً أنه كان نهاه عن التشبيب فمدحه بقصيدة، فلم يحظ منه بشىء، فهجاه فقال:

خَليفةٌ يَزْنى بعمّاتِهِ

يَلْعَبُ بالدّبُّوقِ والصَّولجَانْ

أَبدَلنَا الله بهِ غيرَهُ

ودسَّ موسى فى حِرِ الخيزُرَانْ

وأنشدها فى حلقة يونس النحوى، فسعى به إلى يعقوب بن داود الوزير، وكان بشار قد هجاه بقوله من البسيط:

بنِى أميةَ هُبّوا طَالَ نوْمُكْمُ

إنّ الخليفةَ يعقوبُ بنُ داود

ضاعتْ خلافَتُكُمْ يا قومُ فالْتَمِسُوا

خَليفةَ الله بين الزّقّ والعُودِ

فدخل يعقوب على المهدى فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا الأعمى الملحد الزنديق قد هجاک! قال: بأى شـىء؟ قال: بما لا ينطق به لسانى ولا ـ يتوهمه فكرى! فقـال: بحيـاتى أنشـدنى إيـاه، فقـال: والله لو خبرتنى بين إنشادى إياه وضـرب عنقى لاخترت ضـرب عنقى! فحلف عليه المهدى بالأيمان التى لا فسحة له فيها، فقال: أما لفظاً فلا، ولكننى أكتب ذلک فكتبه ودفعه! فكاد ينشق غيظاً! وعمل على الانحدار إلى

البصـرة لينظر فى أمرها وما فى فكره غير بشار، فانحـدر فلما بلغ إلى البطيحـة..فإذا بشار...فأمر بضـربه بالسوط فضـربه بين يـديه على صدر الحراقـة سـبعين سوطـاً أتلفـه فيهـا... فـألقى فى سـفينة حـتى مـات، ثـم رمى بـه فى البطيحـة فجـاء بعض أهلـه فحملـوه إلى البصـرة».و الطبرى:6/401، وطبعة:4/485، و590، والكامل:6/86، والأغانى:3/241، وفيات الأعيان:1/273، وبدائع البداية /15.

3- ثورة الحسين بن على صاحب فخ على موسى الهادى

كان عهد المهدى العباسـى على سوئه، فسـحةً للإمام الكاظم عليه السـلام وشـيعته، أما عهد ابنه موسى الهادى فكان على قصره، شراً على الأمة وخاصة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم لأنه نفذ سياسة جده المنصور فى إبادة أبناء على وفاطمة عليهم السلام!

وقـد قرر العلويون مواجهـة هـذه السـياسة، فكانت ثورة الحسـين بن على فى منطقـة فخ، وهو مكان فى مكة يعرف بوادى الزاهرية.(معجم البلدان:4/237).

وفى مقاتل الطالبيين/294: «كان سبب خروج الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، أن موسى الهادى ولّى المدينة إسـحاق بن عيسـى بن على، فاسـتخلف عليها رجلاً من ولـد عمر بن الخطاب يعرف بعبـد العزيز بن عبد الله، فحمل على الطالبيين وأساء إليهم، وأفرط فى التحامـل عليهم، وطـالبهم بـالعرض كل يوم وكانوا يعرضون فى المقصورة، وأخـذ كل واحـد منهم بكفالـة قرينه ونسـيبه، فضمن الحسين بن على ويحيى بن عبد الله بن الحسن، الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن.

ووفى أوائـل الحاج وقـدم من الشـيعة نحو من سـبعين رجلاً، فنزلوا دار ابن أفلـح بالبقيع وأقاموا بها، ولقوا حسـيناً وغيره، فبلغ ذلك العمرى فأنكره..فأشاع أنه وجدهم على شراب..أغلظ العمرى أمر العرض وولى على الطالبيين رجلاً يعرف بأبى بكر بن

عیسی الحائک مولی الأنصار، فعرضهم یوم جمعة، فلم یأذن لهم بالانصراف حتی بدأ أوائل الناس یجیئون إلی المسجد، ثم أذن لهم فکان قصاری أحدهم أن یغدو ویتوضأ للصلاة ویروح إلی المسجد، فلما صلوا حبسهم فی المقصورة إلی العصر، ثم عرضهم فدعا باسم الحسن بن محمد فلم یحضر، فقال لیحیی والحسین بن علی: لیأتیانی به أو لأحبسنکما فإن له ثلاثة أیام لم یحضر العرض ولقد خرج أو تغیب..فغضب یحیی بن عبد الله فقال له: فما ترید منا؟ فقال: أرید أن تأتیانی بالحسن بن محمد! فقال: لا نقدر علیه، هو فی بعض ما یکون فیه الناس، فابعث إلی آل عمر بن الخطاب فاجمعهم کما جمعتنا ثم أعرضهم رجلاً رجلاً فإن لم تجد فیهم من قد غاب أکثر من غیبة الحسن عنک فقد أنصفتنا، فحلف علی الحسین بطلاق امرأته وحریة مماالیکه أنه لا یخلی عنه أو یجیئه به فی باقی یومه ولیلته، وأنه إن لم یجئ به لیرکبن إلی سویقة فیخربها ویحرقها، ولیضربن الحسین ألف سوط، وحلف بهذه الیمین إن وقعت عینه علی الحسن بن محمد لیقتلنه من ساعته!

فوثب یحیی مغضباً فقال له: أنا أعطی الله عهداً، وکل مملوک لی حر إن ذقت اللیلة نوماً حتی آتیک... فاجتمعوا ستة وعشرین رجلاً من ولد علی، وعشرة من الحاج، ونفر من الموالی، فلما أذن المؤذن للصبح دخلوا المسجد ثم نادوا: أحدٌ أحد، وصعد عبد الله بن الحسن الأفطس المنارة التی عند رأس النبی صلی الله علیه وآله وسلم عند موضع الجنائز فقال للمؤذن: أذن بحی علی خیر العمل، فلما نظر إلی السیف فی یده أذن بها وسمعه العمری فأحس بالشر ودهش وصاح: إغلقوا البغلة وأطعمونی حبتی ماء!

قال علی بن إبراهیم فی حدیثه: فولده إلی الآن بالمدینة یعرفون ببنی حبتی ماء»!

قال الیعقوبی فی تاریخه:2/404:«وبویع لموسی الهادی بن محمد المهدی... وکانت هادئة والأمور ساکنة، والملوک فی الطاعة، فظهر منه أمور قبیحة، وضعف

شديد، فاضـطربت البلاد...وتحرک جماعة من الطالبيين وصاروا إلى ملوک النواحى، فقبلوهم ووعدوهم بالنصر والمعونة، وذلک أن موسى ألـحَّ فى طلب الطـالبيين، وأخـافهم خوفـاً شديـداً، وقطع مـا كـان المهـدى يجريه لهم من الأرزاق والأعطيـة، وكتب إلى الآفاق فى طلبهم وحملهم!

فلما اشتد خوفهم وكثر من يطلبهم ويحث عليهم، عزم الشيعة وغيرهم إلى الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن على، وكان له مذهب جميل وكمال ومجـد وقالوا له: أنت رجل أهل بيتک، وقد ترى ما أنت وأهلک وشـيعتک فيه من الخوف والمكروه، فقال: وإنى وأهل بيتى لا نجد ناصـرين فننتصر، فبايعه خلق كثير ممن حضر الموسم، فقال لهم: إن الشعار بيننا أن ينادى رجل: من رأى الجمل الأحمر، فما وافاه إلا أقل من خمس مائة، وكان ذلک فى سنة169بعد انقضاء الموسم.فلقيه سليمان بن أبى جعفر، والعباس بن محمد بن على، وموسى بن عيسى (قادة عسـكريون) بفخ فانهزم ومن كان معه وافترقوا، وقتل الحسين بن على وجماعة من أهله، وهرب خاله إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على، فصار إلى المغرب، فغلب على ناحيـة تتاخم الأنـدلس يقال لها فاس، فاجتمعت عليه كلمـة أهلها، فذكر أهل المغرب أن موسـى وجه إليه من اغتاله بسم فى مسواک فمات، وصار إدريس بن إدريس مكانه، وولـده بها إلى هـذه الغاية يتوارثون تلک المملكة...فلم تزل البلاد مضطربة أيام موسى(الهادى) كلها».

وفى مقاتل الطالبيين/302: «لما قتل أصـحاب فخ، جلس موسـى بن عيسـى (العباسى) بالمدينة، وأمر الناس بالوقيعة (السب) على آل أبى طالب، فجعل الناس يوقعون عليهم حتى لم يبق أحد، فقال بقى أحد قيل له:موسى بن عبد الله (الحسنى) وأقبل موسى بن عبد الله على أثر ذلک وعليه مدرعة وإزار غليظ وفى رجليه نعلان من جلود الإبل، وهو أشـعث أغبر حتى قعد مع الناس ولم يسـلم عليه، وإلى جنبه السرى بن عبد الله من ولد الحرث بن العباس بن عبد المطلب، فقالوا لموسى بن عيسى: دعنى

أكسف عليه بـاله وأعرفه نفسه! قـال أخـافه عليک! قال: دعنى فأذن له فقال له: يا موسـى! قال: أسـمعت فقل! قال: كيف رأيت مصارع البغى الذى لا تدعونه لبنى عمكم المنعمين عليكم. فقال موسى: أقول فى ذلک:

بنى عمنا ردوا فضول دمائنا

ينمْ ليلكم أولا يَلُمْنا اللوائمُ

فإنا وإياكم وما كان بيننا

كذى الديْن يقضى دينه وهو راغم

فقال السـرى:والله ما يزيدكم البغى إلا ذلة، ولو كنتم مثل بنى عمكم (الحسينيين) سلمتم! يعنى موسى بن جعفر وكنتم مثله، فقد عرف حق بنى عمه وفضلهم عليه، فهو لا يطلب ما ليس له!فقال له موسى بن عبد الله:

فإن الأولى تثنى عليهم تعيبنى

أولاک بنو عمى وعمهم أبى

فإنک إن تمدحهم بمديحة

تُصدق، وإن تمدح أباک تكذب

قالوا: ولما بلغ العمرى (الوالى) وهو بالمدينـة قتل الحسـين بن على صاحب فخ، عمد إلى داره ودور أهله فحرقها، وقبض أموالهم ونخلهم، فجعلها فى الصوافى المقبوضة». أى فى أموال الدولة.

4- موسى الهادى يقرر قتل الإمام الكاظم عليه السلام

فى منـاقب آل أبى طـالب:3/423، عن على بن يقطين، وعبـد الله بن أحمـد الوضـاح قـال: «لمـا حمـل رأس صاحب فـخ إلى موسـى بن المهدى، أنشأ يقول:

بنى عمنا لا تنطقوا الشعر بعدما

دفنتم بصحراء الغميم القوافيا

فلسنا كمن كنتم تصيبون سلمه

فيقبل قيلاً أو يحكم قاضيا

ولكن حد السيف فيكم مسلط

فنرضى إذا ما أصبح السيف راضيا

فإن قلتم إنا ظلمنا فلم نكن

ظلمنا ولكنا أسأنا التقاضيا

فقد ساءنى ما جرت الحرب بيننا

بنى عمنا لو كان امراً مدانيا

ثم أخذ فی ذکر الطالبیین وجعل ینال منهم، إلی أن ذکر موسی بن جعفر وحلف بالله لیقتله، فتکلم فیه القاضی أبو یوسف حتی سکن غضبه.

وأنهی الخبر إلی الإمام علیه السلام وعنده جماعة من أهل بیته فقال لهم: ما تشیرون؟ قالوا: نشیر علیک بالابتعاد عن هذا الرجل وأن تغیب شخصک عنه، فإنه لا یؤمن شره، فتبسم أبو الحسن وتمثل:

زعمت سخینةُ أن ستقتل ربها

ولیغلبنَّ مُغلبُ الغُلاب

ثم أنشد: زعم الفرزدق أن سیقتل مربعاً أبشر بطول سلامة یا مربعُ!

ثم رفع رأسه إلی السماء وقال: إلهی کم من عدو شحذ لی ظبة مدیته، وأرهف لی شبا حده، ودفع لی قواتل سمومه، ولم تنم عنی عین حراسته، فلما رأیت ضعفی عن احتمال الفوادح، وعجزی عن ملمات الجوائح، صرفت ذلک بحولک وقوتک. إلخ...

ورواه فی مهج الدعوات/217، بتفصیل، قال: «فمن ذلک الدعاء المعروف بدعاء الجوشن المروی عنه علیه السلام رویناه بعدة طرق... حدثنا أبو الوضاح محمد بن عبد الله بن زید النهشلی قال: لما قتل الحسین بن علی صاحب فخ، وهو الحسین بن علی بن الحسن بن الحسن، وتفرق الناس عنه، حمل رأسه والأسری من أصحابه إلی موسی بن المهدی، فلما بصر بهم أنشأ یقول متمثلاً:

بنی عمنا لا تنطقوا الشعر بعد ما

دفنتم بصحراء الغمیم القوافیا

فلسنا کمن کنتم تصیبون نیله

فنقبل ضیما أو نحکم قاضیا

ولکن حکم السیف فینا مسلط

فنرضی إذا ما أصبح السیف راضیا

وقد ساءنی ما جرت الحرب بیننا

بنی عمنا لو کان أمرا مدانیا

فإن قلتم إنا ظلمنا فلم نکن ظلمنا

ولکن قد أسأنا التقاضیا

ثم أمر برجل من الأسـرى فوبخه ثم قتله، ثم صـنع مثل ذلک بجماعة من ولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه، وأخذ من الطالبين، وجعل ينال منهم إلى أن ذكر موسـى بن جعفر صـلوات الله عليه فنال منه، ثم قال: والله ما خرج حسـين إلا عن أمره، ولا اتبع إلا محبته، لأنه صاحب الوصـية فى أهل هذا البيت، قتلنى الله إن أبقيت عليه! فقال له أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضى وكان جريئاً عليه: يا أمير المؤمنين أقول أم أسكت؟ فقال: قتلنى الله إن عفوت عن موسى بن جعفر، ولولا ما سمعت من المهدى فيما أخبر به المنصور ما كان به جعفر من الفضل المبرز عن أهله فى دينه وعمله وفضله، وما بلغنى من السفاح فيه من تعريضه وتفضيله، لنبشت قبره وأحرقته بالنار إحراقاً!

فقـال أبو يوسف: نساؤه طوالق، وعتق جميع ما يملک من الرقيق، وتصـدق بجميع ما يملک من المال وحبس دوابه، وعليه المشـى إلى بيت الله الحرام، إن كان مـذهب موسـى بن جعفر الخروج، ولا يـذهب إليه، ولا مـذهب أحـد من ولده، ولا ينبغى أن يكون هذا منهم! ثم ذكر الزيدية وما ينتحلون فقال: وما كان بقى من الزيدية إلا هذه العصابة، الذين كانوا قد خرجوا مع حسين، وقد ظفر أمير المؤمنين بهم! ولم يزل يرفق به حتى سكن غضبه.

وقال:وكتب على بن يقطين إلى أبى الحسن موسـى بن جعفر عليه السـلام بصورة الأمر فورد الكتاب، فلما أصـبح أحضـر أهل بيته وشـيعته فأطلعهم أبو الحسن عليه السـلام على ما ورد من الخبر، وقال لهم: ما تشـيرون فى هذا؟ فقالوا: نشـير عليک أصـلحک الله وعلينا معک أن تباعد شخصک عن هذا الجبار، وتغيب شخصک دونه، فإنه لا يؤمن شره وعاديته وغشمه، سيما وقد توعدک وإيانا معک!

فتبسم موسى عليه السلام ثم تمثل ببيت كعب بن مالک أخى بنى سلمة وهو:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها

فليغلبن مغالب الغلاب

ثم أقبل على من حضره من مواليه وأهل بيته فقال: ليفرج روعكم، إنه لا يرد أول كتاب من العراق إلا بموت موسى بن مهدى وهلاكه!

فقالوا وما ذاک أصلحک الله؟ فقال: قد وحرمة هذا القبر مات فى يومه هذا! والله إنه لحق مثلما أنكم تنطقون! سأخبركم بذلک: بينما أنا جالس فى مصلاى بعد فراغى من وردى، وقد تنومت عيناى، إذ سنح لى جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى منامى فشكوت إليه موسى بن المهدى، وذكرت ما جرى منه فى أهل بيته، وأنا مشفق من غوائله، فقال لى: لتطب نفسک يا موسى فما جعل الله لموسى عليک سبيلاً! فبينما هو يحدثنى إذ أخذ بيدى وقال لى: قد أهلک الله آنفاً عدوک، فلتحسن لله شكرک! قال ثم استقبل أبو الحسن القبلة ورفع يديه إلى السماء يدعو!

فقال أبو الوضاح: فحدثنى أبى قال كان جماعة من خاصة أبى الحسن عليه السلام من أهل بيته وشيعته يحضرون مجلسه ومعهم فى أكمامهم ألواح آبنوس لطاف وأميال، فإذا نطق أبو الحسن عليه السلام بكلمة أو أفتى فى نازلة، أثبت القوم ما سمعوا منه فى ذلک، قال فسمعناه وهو يقول فى دعائه: شكراً لله جلت عظمته. ثم أورد دعاء الجوشن الذى كان الإمام عليه السلام دعا به، وهو طويل».

أقول: كانت قريش تعاب بأكل السخينة فى أيام فقرها، وهى طعام من الدقيق والسمن. والبيت لكعب بن مالک الأنصارى شاعر النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد روى عن الأئمة عليهم السلام مدح صاحب فخ والثائرين معه، وذهب أكثر علمائنا إلى شرعية ثورته التى كان هدفها إيقاف خطة إبادة العلويين!

ففى مقاتل الطالبيين/304: أن صاحب فخ رحمه الله قال: «ما خرجنا حتى شاورنا أهل بيتنا، وشاورنا موسى بن جعفر، فأمرنا بالخروج»

وفى الكافى: 1/366: «لما خرج الحسين بن على المقتول بفخ، واحتوى على

المدينة، دعا موسى بن جعفر إلى البيعة فأتاه فقال له: يا ابن عم لا تكلفنى ما كلف ابن عمک عمک أبا عبد الله، فيخرج منى ما لا أريد كما خرج من أبى عبد الله ما لم يكن يريد! فقال له الحسين: إنما عرضت عليک أمراً فإن أردته دخلت فيه، و إن كرهته لم أحملک عليه، والله المستعان. ثم ودعه فقال له أبو الحسن موسى بن جعفر حين ودعه: يا ابن عم إنک مقتول فأجد الضراب، فإن القوم فساق يظهرون إيماناً ويسترون شركاً، و إنا لله و إنا إليه راجعون، أحتسبكم عند الله من عصبة، ثم خرج الحسين وكان من أمره ما كان قتلوا كلهم كما قال عليه السلام».

وفى مقاتل الطالبين/302: «جاء الجند بالرؤس إلى موسى والعباس، وعندهم جماعة من ولد الحسن والحسين، فلم يتكلم أحد منهم بشىء إلا موسى بن جعفر فقال له: هذا رأس الحسين!قال: نعم، إنا لله و إنا إليه راجعون، مضى والله مسلماً، صالحاً، صواماً، قواماً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ما كان فى أهل بيته مثله! فلم يجيبوه بشىء».

وفى عمدة الطالب:183، والسلسلة العلوية لأبى نصر البخارى، عن الإمام الجواد عليه السلام قال: «لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ».

الفصل السابع: خلافة هارون قاتل الإمام الكاظم عليه السلام

اشارة

1- عزله أخوه فقتلته أمه ونصبت هاروناً خليفة

قال اليعقوبى فى تاريخه:2/405: «وشجرت بين موسى وبين أخيه الوحشة، فعزم على خلعه وتصيير ابنه جعفر ولى العهد، ودعا القواد إلى ذلک فتوقف عامتهم وأشاروا عليه أن لا يفعل، وسارع بعضهم وقووا عزيمته فى ذلک، وأعلموه أن الملک لا يصلح إن صار إلى هارون. وقد كان موسى وجه به (محمد بن فروخ الأزدى) فى جيش كثير يستنفر من بالجزيرة والشام ومصر والمغرب، يدعو الناس إلى خلع هارون، فمن أبى جرد فيهم السيف...

وأخذ موسى يحيى بن برمک فحبسه وأشرف عليه بالقتل عدة مرار، فحدثنى بعض المشايخ عن يحيى بن خالد قال: حبسنى موسى بسبب الرشيد وتربيتى إياه ومكانى معه، وكان الرشيد دُفع إلينا مولوداً فى الخرق فغذته ثديّ نسائنا ورُبى فى حجورنا، فقال: بلغنى أنک تروض هارون للخلافة، ونفسک للوزارة، والله لآتين على نفسه ونفسک قبل ذلک! وحبسنى فى بيت ضيق لا أقدر أن أمد رجلى فيه، فأقمت أياماً، فأنا ليلة فى حبسى على تلک الحال إذ بالأبواب تفتح فقلت: تذكرنى فأراد قتلى! وسمعت كلام الخدم فارتعت لذلک، ففُتح على الباب وأنا أتشهد فقيل لى: هذه السيدة يعنون الخيزران، فخرجت فإذا بها واقفة على الباب، فقالت: إن هذا الرجل قد خَفَتَ منذ الليلة وأحسبه قد قضى، فتعال انظره! فازداد جزعى وطامتى. وقالت: كما أقول! فجئت فوجدته محول الوجه إلى الحائط، وقد قضى! فمضيت إلى هارون حتى أخرجته

من الموضع الذى كان فيه محبوساً، فأصبح القواد فبايعوا، وأصبحت أدبِّر الملک»!

«وأمر الهادى ألا يُسَارَ قُدام الرشـيد بحربة، فاجتنبه الناس وتركوه، فلم يكن أحد يجترئ أن يسـلم عليه ولا يقربه... واشـتد غضبه منه وضيق عليه. قال يحيى لهارون: إسـتأذنه فى الخروج إلى الصـيد فإذا خرجت فاسـتبعد ودافع الأيام فرفع هارون رقعة يسـتأذن فأذن له فمضـى إلى قصـر مقاتل فأقام به أربعين يوماً حتى أنكر الهادى أمره وغمه احتباسه، وجعل يكتب إليه ويصـرفه فتعلل عليه حتى تفاقم الأمر وأظهر شتمه وبسط مواليه وقواده ألسنتهم». (الطبرى:6/423، و425).

«سـمعت خالصـة تقول للعبـاس بن الفضل بن الربيع: بعث موسـى إلى أمه الخيزران بأرزَّة وقال:اسـتبطتها فأكلت منها، فكلى منها! قالت خالصة فقلت لها: أمسـكى حتى تنظرى، فإنى أخاف أن يكون فيها شـىء تكرهينه، فجاؤوا بكلب فأكل منها فتساقط لحمه! فأرسل إليها بعد ذلک: كيف رأيت الأرزَّة؟ فقالت: وجدتها طيبة! فقال: لم تأكلى، ولو أكلت لكنت قد استرحت منک»!

«قال وحدثنى بعض الهاشـميين: أن سـبب موت الهادى أنه لما جد فى خلع هارون والبيعة لابنه جعفر، وخافت الخيزران على هارون منه، دسَّت إليه من جواريها لما مرض من قتله بالغم والجلوس على وجهه، ووجهت إلى يحيى بن خالـد: إن الرجل قـد توفى، فاجـدد فى أمرک ولا تقصر»! (الطبرى:6/422). «وقد كان الهادى عزم تلک الليلة على قتله وقتل هارون الرشيد». (النهاية:10/171).

«جاء يحيى بن خالد إلى الرشيد وهو نائم فى لحاف بلا إزار، لما توفى موسى، فقال: قم يا أمير المؤمنين! فقال له الرشيد: كم تروعنى إعجاباً منک بخلافتى، وأنت تعلم حالى عنـد هذا الرجل، فإن بلغه هذا فما تكون حالى؟! فقال له هذا الحرانى وزير موسـى وهذا خاتمه!قال: فقعد فى فراشه فقال أشر علىَّ!

قلد الرشيد يحيى بن خالد الوزارة وقال له: قد قلدتک أمر الرعية وأخرجته من عنقی إليک، فاحکم فی ذلک بما ترى من الصواب واستعمل من رأيت واعزل من رأيت، وأمض الأمور على ما ترى ودفع إليه خاتمه». (الطبرى:6/443).

وأول ما قام به هارون أنه أجبر ابن أخيه جعفر على بيعته، وهو الـذى كان أبوه أخذ له البيعة بولاية عهده! «فلما توفى الهادى هجم خزيمة بن خازم فی تلک الليلة فأخذ جعفراً من فراشه، وكان خزيمة فی خمسة آلاف من مواليه معهم السـلاح، فقال: والله لأضـربن عنقک أو تخلعها! فلما كان من الغـد ركب الناس إلى باب جعفر، فأتى به خزيمة فأقامه على باب الدار فی العلو، والأبواب مغلقة فأقبل جعفر ينادى: يا معشـر المسلمين من كانت لی فی عنقه بيعة فقد أحللته منها، والخلافة لعمى هارون، ولا حقَّ لی فيها»! (تاريخ الطبرى:6/443).

ثم قتل هارون القائـد الـذى كان يمشـى مع ابن أخيه ولى العهد: «وقدَّم أبا عصـمة فضـرب عنقه وشدَّ جمته فی رأس قناة ودخل بها بغداد، وذلک أنه كان مضـى هو وجعفر بن موسـى الهادى راكبين فبلغا إلى قنطرة من قناطر عيساباذ، فالتفت أبو عصمة إلى هارون فقال له: مكانک حتى يجوز ولى العهد! فقال هارون: السمع والطاعة للأمير! فوقف حتى جاز جعفر، فكان هذا سبب قتل أبى عصمة» (الطبرى:6/443).

وكـانت هـذه الأحـداث فی أوائل سـنة 170هجرية، وعمر الرشـيد22 سـنة. (الطبرى:6/441) وَحَكَـمَ نحـو 23 سـنة، ومات سـنة193. (الطبرى:6/528).

2- الفردية المُفْرِطة عند هارون!

1- يعتبر عهد هارون قمة الصعود والإزدهار المادى للدولة الإسلامية حيث كانت أقوى دولة فی عصرها، فی قوتها العسكرية والإقتصادية، وفی مدنيتها ونهضة العمران والعلوم فيها. لكن ما أن أغمض الرشيد عينيه حتى بدأ عصر الضعف بالحرب

بين ولديه، ومع أن المأمون سيطر وقتل أخاه، لكن الدولة أخذت بالإنقسام والضعف.

2- والسبب فى هذا المسار النزولى أن تلك الدولة كانت تحمل بذور ضعفها فى طبيعة نظامها، وفى نمط الإدارة الذى يعمل به الخليفة وجهازه!

فقد قام نظام الخلافة على الفردية العنيفة، واستغلال العامل الدينى فى اضطهاد المسلم وسلبه حقوقه، بعيداً عن التقنين، وعن قيم الإسلام واحترام الإنسان!

وهكذا كان مجتمع العالم كله يومذاك، الروم والفرس والصين والهند وبقية الشعوب، كانت أمور مجتمعاتهم ودُوَلهم تقوم على قاعدة العصبة القبلية وقانون الغلبة، ويخضعون لنظام حكم الفرد الغالب، والأسرة الغالبة.

وقد حكم هارون كغيره من أسلافه بفردية مفرطة متقلبة!

فبدأ عهده برد جميل أمه ويحيى عليه، فكان ينفذ رغباتها فى إدارة الدولة، وجعل البرمكى رئيس وزرائه وقال له: «قلدتک أمر الرعية وأخرجته من عنقى إليک فاحكم فى ذلک بما ترى من الصواب، واستعمل من رأيت واعزل من رأيت، وأمض الأمور على ما ترى. ودفع إليه خاتمه». (الطبرى:6/443).

لكن فردية هارون كانت متغيرة، والعناصر الثابتة فى تفكيره وقراراته قليلة، والعناصر الدخيلة فى إقناعه كثيرة!

3- قال خليفة بن خياط فى تاريخه/382: «مات موسى وعلى شرطه عبد الله بن مالک فأقره هارون، ثم عزله. وولى عبد الله بن خازم بن خزيمة، ثم عزله. وولى إبراهيم بن عثمان بن نهيک ثم قتله وولى ابنه وهب بن إبراهيم وسماه وهب بن عثمان وطرح اسم إبراهيم، فمات هارون وهو على شرطه.

كاتب الرسائل: إسماعيل بن صبيح من أهل حران، وكتب له يحيى بن سليم.

الديوان والخراج والجند: أبو صالح، فضم ذلک إلى إسماعيل بن صبيح.

الخـاتم: جعفر بن محمـد بن الأشـعث، ثم ولاـه خراسـان، ودفع الخاتم إلى حمزة بن مالک، ثم دفعه إلى أبی العباس الطوسـی، فمات أبو العباس فصار الخاتم إلى يحيى بن خالـد بن برمک، ثم صار إلى جعفر بن يحيى، ثم رده إلى يحيى بن خالـد، ثم صار فی يد أمير المؤمنين هارون.

الحرس: جعفر بن محمد بن الأشـعث، ثم عبد الله بن مالک، ثم علی بن عيسـی بن ماهان، ثم صـير الحرس إلى جعفر بن يحيى بن خالد فولی جعفر صالح بن شيخ بن عمير، ثم ولی جعفر هرثمة بن أعين فأقره هارون.

حاجبه: بشر بن ميمون مولاه ثم محمد بن خالد بن برمک ثم الفضل بن الربيع.

وكان وزيره وصاحب أمره كله: يحيى بن خالد بن برمک. ثم ابنه جعفر بن يحيى، ثم قتله فصار الفضل بن الربيع».

وهناک شخصـيات عديدة لها تأثير علی هارون، ابتداء من أخواته وأبنائه وبناته وجواريه، إلى وزراء وثق بهم مثل: يعقوب بن داود ، وعلی بن يقطين، وجعفر بن محمد بن الأشعث، وأبی يوسف القاضی، وغيرهم.

4- يتوقف فهم تاريخنا الإسـلامی علی فهم الفرديـة المفرطـة للخلفاء! فلکی نفهم مثلاً سـجن الإمام الكاظم عليه السـلام وقتله، يجب أن تعرف تصور هارون للأمر، ثم هل أثَّر عليه أحدٌ من وزرائه ومشاوريه وأقنعه بذلک!

ولتقريب الموضوع: فقد ثار العلويون علی موسـی الهادی فی مكة، فقمع ثورتهم وقتل قائدهم وحبس بعضـهم، وكان مسؤول حبسـهم فی عهـد هارون رئيس وزرائه جعفر بن يحيى البرمكی، فكتب أحـد المسـجونين رسالة شديدة للرشـيد، وهو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علی بن علی بن الحسـين بن علی عليهما السـلام ، فغضب عليه الوزير وقتله: «قـدمه جعفر بن يحيى فضـرب عنقه وغسل رأسه وجعله فی منديل،

وأهداه إلى الرشيد مع هدايا فقبلها وقدمت إليه، فلما نظر إلى الرأس أفظعه فقال له: ويحک لم فعلت هذا؟ قال: لإقدامه على ما كتب به إلى أمير المؤمنين وبسط يده ولسانه بما بسطهما! قال: ويحک فقتلک إياه بغير أمرى أعظم من فعله! ثم أمر بغسله ودفنه. فلما كان من أمره ما كان فى أمر جعفر (أمر بقتله) قال لمسرور: إذا أردت قتله فقل له: هذا بعبد الله بن الحسن بن عمى، الذى قتلته بغير أمرى! فقالها مسرور عند قتله إياه»! (مقاتل الطالبيين/328، و365).

فهارون يرى أنه صاحب الحق المطلق فى الحكم لأنه ابن عم النبى صلى الله عليه وآله وسلم، والعلويون أبناء عمه، فلا يحق لأى مسؤول فى الدولة حتى رئيس وزرائه أن يتصرف معهم إلا بأمره! وإن خالف فمن حق الخليفة أن يقتص منه!

3- خليفة يتفنن فى تقصيب المسلمين حتى آخر ساعة!

1- كان هارون عدوانياً دموياً، وكان يقتل أحياناً بيده! «العباس بن الأرقط كان مقداماً لَسِناً، مات فى حبس هارون، يكنى أبا الفضل، قالوا: إن الرشيد قتله بيده» (المجدى فى الأنساب/144). وقيل بنى عليه جدار وهو حى! (اللباب/414).

2- روى ابن كثير فى النهاية (10/207) أنه كانت لجعفر البرمكى جارية مغنية إسمها دنانير، فطلبها منه هارون فلم يعطها، فلما قتله أخذها وأحضرها فى مجلس شرابه وطلب منها أن تغنى فرفضت: «فوثب إليها الرشيد وأخذ العود من يدها وأقبل يضرب به وجهها ورأسها حتى تكسر وأقبلت الدماء، وتطايرت الجوارى من حولها، وحملت من بين يديه فماتت بعد ثلاث»!

3- جئ بكاتب البرمكى:«فأخرج الرشيد سيفاً من تحت فراشه وأمر أن تضرب عنقه فضرب عنقه فسبق السيف الدم، وأمر بصلب جثته! (الطبرى:6/492).

4- قبض على يحيى بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، فأمر

أن يلقى فى بركـة فيها سـباع قـد جُوِّعت، فأمسـكت عن أكله! «فبنى عليه ركن بالجص والحجر وهو حى». (شـرح إحقاق الحق:19/613، وينابيع المودة:3/231).

5- وكان خليفـة المسـلمين فى الساعات الأخيرة من عمره مشـغولاً بمرضه، وبمكائد أولاده من حوله، لكنه لـم ينس أن يتفنن فى تقتيل من خالفه من المسـلمين وأن يحضـر القصاب ليقصـبهم أمامه! فقد كان رافع بن الليث بن نصـر بن سـيار، حاكماً على سمرقند وبخارى فخلع طاعة هارون، فوجه اليه جيشاً. (الطبرى:6/553، واليعقوبى:2/425) وقبض على أخيه وأقاربه، وكان أخوه عابداً منصـرفاً عن الدنيا، فقتلهم الرشيد أسوأ قتلة. ومات الرشيد فتصالح أخوه رافع مع المأمون وأبقاه على ولايته!(تاريخ خليفة/382).

قـال ابن جامع كما فى الطبرى (6/525): «كنت فيمن جاء إلى الرشـيد بأخ رافع قال فـدخل عليه وهو على سـرير مرتفع عن الأرض بقـدر عظم الذراع، وعليه فرش بقدر ذلک أو قال أكثر، وفى يده مرآة ينظر إلى وجهه، قال: فسمعته يقول إنا لله وإنا إليه راجعون، ونظر إلى أخ رافع فقال: أما والله يا ابن اللخناء إنى لأرجو أن لا يفوتنى خامل، يريد رافعاً، كما لـم تفتنى!

فقال له: يا أمير المؤمنين قد كنت لک حرباً وقد أظفرک الله بى، فافعل ما يحب الله أكن لک سلماً، ولعل الله أن يليِّن لک قلب رافع إذا علم أنک قد مننت علىَّ، فغضب وقال: والله لو لـم يبق من أجلى إلا أن أحرک شـفتى بكلمة لقلت: أقتلوه! ثم دعا بقصاب فقال: لا تشـحذ مُداک أتركها على حالها (لا تَسِنّ سكاكينک)، وفصل هذا الفاسق وعجل لا يحضرن أجلى وعضوان من أعضائه فى جسمه!

ففصله حتى جعله أشلاء، فقال: عُدَّ أعضاءه! فعددت له أعضاءه فإذا هى أربعة عشر عضواً...ثم أغمى عليه وتفرق من حضره»!

وقال الذهبی فی تاریخه:13/14: «وقدم بأخ رافع علی الرشید فسبه، ودعا بقصاب وقال: فصِّلْ أعضاءه ففصله»!

وروی القاضی التنوخی فی الفرج بعد الشدة (2/257): «أحضر هارون أخ رافع وقرابته الذین کانوا معه وقال: أیَتَوَهَّمُ رافع أنه یغلبنی! والله لو کان معه عدد نجوم السماء لألتقطهم واحداً بعد واحداً حتی أقتلهم عن آخرهم! فقال الرجل: الله الله یا أمیر المؤمنین فإن الله تعالی یعلم وأهل خراسان أنی بریئ من أخی منذ عشرین سنة، ملازم مسجدی، فاتق الله تعالی فیَّ وفی هذا الرجل!

فقال له قطع الله لسانک، فسکت! فقال أخوه الثالث: أنت والله منذ کذا وکذا تدعو الله تعالی بالشهادة، فرزقتها علی یدی أشر خلقه!

وأخذت فی الاعتذار فاغتاظ الرشید وقال: علیَّ بجزارین، فقال له قرابتی: یا هارون افعل ما شئت فإنا نرجو أن نکون نحن وأنت بین یدی الله تعالی فی أقرب مدة، فتعلم کیف یکون حالک! فصاح وأمر الجزارین بهما فقطعا عضواً عضواً! فوالله ما فرغ منهما حتی توفیَ الرشید»!

6- «وذکر بعضهم أن جبریل بن بختیشوع کان غلط علی الرشید فی علته فی علاج عالجه به کان سبب منیته، فکان الرشید همَّ لیلة مات بقتله وأن یفصِّله کما فصَّل أخا رافع!ودعا بجبریل بن بختیشوع لیفعل ذلک به فقال له: أنظرنی إلی غد یا أمیر المؤمنین فإنک ستصبح فی عافیة فمات فی ذلک الیوم»! (الطبری:6/527).

4- أولاده یتجسسون علیه ویستعجلون موته!

قال الناصبی المحب للأمویین والعباسیین ابن کثیر فی النهایة:10/224:«شکا الرشید فی أثناء الطریق إلی بعض أمرائه جفاء بنیه الثلاثة الذین جعلهم ولاة العهد من بعده، وأراه داءً فی جسده وقال: إن لکل واحد من الأمین والمأمون والقاسم عندی

عيناً عليَّ، وهم يعدُّون أنفاسى، ويتمنون انقضاء أيامى»!

وقال ابن الأثير فى الكامل:6/222:«فلما قدم بكر بن المعتمر طوس بلغ هارون قدومه فدعا به وسأله عن سبب قدومه فقال: بعثنى الأمين لآتيه بخبرك! قال: فهل معک كتاب؟ قال: لا.

فأمر بما معه ففتش فلم يصيبوا شيئاً، فأمر به فضرب فلم يقر بشىء، فحبسه وقيده، ثم أمر الفضل بن الربيع بتقريره، فإن أقر وإلا ضرب عنقه! فقرره فلم يقر بشىء، ثم غشى على الرشيد فصاح النساء، فأمسک الفضل عن قتله»!

وكان ابن المعتمر يحمل أوامر ورسائل من الأمين لاستلام الخزائن التى حملها معه هارون فى سفره، وقال عنها الطبرى (6/525): «وافى هارون جرجان فى صفر فوافاه بالخزائن على بن عيسى على ألف بعير وخمس مائة بعير، ثم رحل من جرجان فيما ذكر فى صفر وهو عليل إلى طوس، فلم يزل بها إلى أن توفى»!

وفى الفرج بعد الشدة (2/257): «جلس الرشيد مجلساً عاماً فى مضرب خز أسود استدارته أربع مائة ذراع، وقبابه مغشاة بخز أسود، وهو جالس فى فازة خز أسود فى وسط المضرب، والعمد كلها سود وقد جعل مكان الحديد فضة، والأوتاد والحبال كلها سود، وعليه جبة خز سوداء وعليه فنک (نوع من الفرو) قد استشعره (لبسه) لما هو فيه من شدة البرد والعلة، وفوقها دراعة خز أسود مبطنة بفنک، وقلنسوة طويلة، وعمامة خز سوداء، وهو عليل لما به، وخلف الرشيد خادم يمسكه لئلا يميل ببدنه، والفضل بن الربيع جالس بين يديه.. فقال الرشيد بصوت: قَنِّبُوه (إربطوه بحبال القنب، وهو بكر بن المعتمر رسول الأمين) فنُحِّىَ بكر وجئ بالقنب وقُنب من قرنه إلى قدمه! قال بكر: فأيقنت بالقتل ويئست من نفسى وعملت على الإقرار»! ولكن مات هارون وصرخت النساء!

5- خليفة المسلمين يغنى ويرقص ويشرب ويسكر!

1- قال ابن كثير وهو المتعصب للأمويين والعباسيين، فى النهاية:10/238: «كان فى دار الرشيد من الجوارى والحظايا وخدمهن، وخدم زوجته وأخواته، أربعة آلاف جارية، وإنهن حضرن يوماً بين يديه، فغنته المطربات منهن فطرب جداً، وأمر بمال فنثر عليهن. وكان مبلغ ما حصل لكل واحدة منهن ثلاثة آلاف درهم فى ذلك اليوم ، رواه ابن عساكر أيضاً..الخ.»!

2- كان هارون مدمناً على الخمر والغناء مع وزيره جعفر وأخته عباسة، فقد روى الطبرى:6/489، والذهبى فى سيره:9/ 66، أنه «كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدى وكان يُحضرهما إذا جلس للشرب، وذلك بعد أن أعلم جعفراً قلة صبره عنه وعنها، وقال لجعفر أزوجكها ليحل لك النظر إليها إذا أحضرتها مجلسى، وتقدم إليه ألا يمسها ولا يكون منه شىء مما يكون للرجل إلى زوجته! فزوجها منه على ذلك فكان يحضرهما مجلسه إذا جلس للشرب ثم يقوم عن مجلسه ويخليهما، فيثملان من الشراب وهما شابان فيقوم إليها جعفر فيجامعها، فحملت منه وولدت غلاماً، فخافت على نفسها من الرشيد إن علم بذلك، فوجهت بالمولود مع حواضن له من مماليكها إلى مكة»!

3- روى الذهبى فى سيره:10/187، وتاريخه:12/102، أنه أخذ وزيره جعفر البرمكى إلى إحدى حجر قصره، وكان فيها عُلية المغنية أخت الرشيد، فغنتهما فطربا ورقصا معاً، قال: «فطربت والله ثم غنت فرقصنا معاً».والأغانى:3 /131، ونهاية الأرب:2/980، وتذكرة ابن حمدون:3/83.

4- وفى الأغانى:10/190: «زار الرشيد عُلية فقال لها: بالله يا أختى غنينى، فأطرب الرشيد وشرب عليه بقية يومه». «قال مسرور الخادم: خرج الجلساء والمغنون من عند الرشيد فقال لى: قد تشوقت أختى عُلية فامض فجئنى بها، وقل لها بحياتى

عليک إلا طيبت عيشی بحضورک! فجاءت فأومأ إليها أن تجلس على السرير معه». (أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم للصولی/32).

5- وفی العقد الفريد:6/45: «فطرب الرشيد طرباً شديداً وقال لجلسائه: هل منكم أحد يجيز هذه الأبيات بمثلهن».

6- وفی الوافی:18/102: «غنی دحمان الأشقر الرشيد صوتاً فأطربه واستعاده مراراً ثم قال له احتكم،فقال:غالب والريان! وهما ضيعتان بالمدينة غلتهما أربعون ألف دينار، فأمر له بهما»!

7- وفی الأغانی:10/180: «كنت يوماً بين يدی الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان، فدخلت إليه خلوب جارية لعُلية ومعها كأسان فغنتهما قائمة فشربا..خرجت عُلية وأم جعفر معها زهاء ألفی جارية، وكلهن فی لحن واحد هزج صنعتة علية، فطرب الرشيد وقام على رجليه وقال: يا مسرور لا تبقين فی بيت المال درهماً إلا نثرته»!

8- وفی الأغانی:6/199:«كان أول صوت غناه إبراهيم هذا الصوت.. فأصاب وأحسن كل الإحسان، وشرب عليه الرشيد واستعاده حتی سكر، وأمر لإبراهيم بعشرة آلاف درهم، وعشرة خواتيم، وعشر خلع»!

9- وكان إسماعيل المغنی الأموی حلف أن لايغنی لأحد:«فقال له الرشيد كأنی قد نشطت برؤيتک لشرب قدح، فشرب وسقاه، ثم أمر فأخرج جوار يغنين وضربت ستارة، وأمر بسقيه فلما شرب أخذ الرشيد العود من يد جارية ووضعه فی حجر إسماعيل، وجعل فی عنق العود سبحة فيها عشر درات اشتراها بثلاثين ألف دينار! وقال غنِّ يا إسماعيل وكفِّر عن يمينک بثمن هذه السبحة، فاندفع يغنی بشعر الوليد بن يزيد فی عالية أخت عمر بن عبد العزيز»! (تاريخ دمشق:8/411).

10- وفی الأغانی:18/350، أن مخارق غناه فطرب وشرب رطلاً، ثم استعاده فطرب وشرب رطلاً، ثم استعاده فطرب وشرب رطلاً وأعطاه ضیعة!

11- وروی الطبری(6/525) عن طبیب هارون قال: «کنت أول من یدخل علیه فی کل غداة فأتعرف حاله فی لیلته، فإن کان أنکر شیئاً وصفه، ثم ینبسط فیحدثنی بحدیث جواریه، وما عمل فی مجلسه ومقدار شربه، وساعات جلوسه، ثم یسألنی عن أخبار العامة وأحوالها»! (الطبری:6/525).

12- وکان یحدث الناس بتفاهاته مع جواریه! قال ابن عبد ربه فی العقد الفرید:3/43: «أخبرنا أبو الطیب الکاتب أن أمیر المؤمنین هارون الرشید کان لیلة بین جاریتین مدنیة وکوفیة، فجعلت الکوفیة تغمز یدیه والمدنیة تغمز رجلیه فجعلت المدنیة ترتفع إلی فخذیه، حتی ضربت بیدها إلی متاعه وحرکته حتی أنعظ، فقالت لها الکوفیة: ویحک نحن شرکاؤک فی البضاعة، وأراک قد انفردت دوننا برأس المال وجدک فأدیلینی منه! قال فقالت المدنیة: حدثنا مالک عن هشام بن عروة عن أبیه، أنه قال:من أحیا مواتاً فهو له ولعقبه! قال: فاستغلتها الکوفیة ودفعتها ثم أخذته بیدیها جمیعاً وقالت: حدثنا الأعمش عن خیثمة عن عبد الله بن مسعود أنه قال: الصید لمن صاده لا لمن أثاره»!

وجعلوه فی الفقه حدیثاً مسنداً واستدلوا به! (نصب الرایة للزیلعی:6/265). ونسبه بعضهم إلی الفضل بن الربیع وأنه حدث به الرشید! (لسان المیزان:2/253، وثمرات الأوراق/7، واللطف واللطائف/27، والأغانی:16/373، والمرقصات للأندلسی/46).

13- وتحدث هارون عن قصصه مع جواریه: «هجر جاریة له ثم لقیها فی بعض اللیالی فی القصر سکری تدور فی جوانب القصر، وعلیها مطرف خز، وهی تسحب أذیالها من التیه والعجب، وسقط رداؤها عن منکبیها والریح أبان نهدیها کأنهما رمانتان، ولها ردفان ثقیلان، فراودها عن نفسها فقالت: یا أمیر المؤمنین! هجرتنی هذه المدة ولیس لی علم بملاقاتک، فأنظرنی إلی غد حتی أتهیأ وآتیک». (إعلام الناس للإتلیدی/102).

ولم تكن بنات هارون وأخواته أفضل من تلك الجارية!

ففى الامامة والسياسة لابن قتيبة:2/172: «استأذنته أخته فاختة بنت المهدى وشقيقته فى إتحاف جعفر ومهاداته فأذن لها، وكانت قد استعدت له بالجوارى الرائعات والقينات الفاتنات، فتهدى له كل جمعة بكراً يفتضها! إلى ما تصنع له من ألوان الطعام والشراب والفاكهة، وأنواع الكسوة والطيب، كل ذلك بمعرفة أمير المؤمنين ورأيه!

فاستمرت بذلك زماناً ومضت به أعواماً، فلما كانت جمعة من الجمع دخل جعفر القصر الذى استعدت به، ولم يُرع جعفر إلا بفاختة ابنة المهدى فى القصر كأنها جارية من الجوارى اللاتى كن يهدين له، فأصاب منها لذته وقضى منها حاجته ولا علم له بذلك! فلما كان المساء وهمَّ بالإنصراف، أعلمته بنفسها وعرفته بأمرها، وأطلعته على شديد هواها وإفراط محبتها له»!

14- وكان يشرک قاضى قضاته فى هزله ولهوه!ففى اللطائف للثعالبى/22، أن هارون وزبيدة تحاكما إلى أبى يوسف القاضى:«فى الفالوذج واللوزينج، أيهما أطيب! فقال أبو يوسف: أنا لا أحكم على غائب!فأمر باتخاذهما وتقديمهما إليه فجعل يأكل من هذا مرة ومن ذلک أخرى حتى نظف الجانبين! ثم قال: يا أمير المؤمنين ما رأيت أجدل منهما إن أردت أن أسجل لأحدهما، أدلى الآخر بحجة»!

15- واعترف ابن كثير (النهاية:10/204) بأن هارون كان يشرب الخمر لكن زعم أن ذلک فى أواخر خلافته، قال: «كان جعفر يدخل على الرشيد بغير إذن حتى كان يدخل عليه وهو فى الفراش مع حظاياه، وهذه وجاهة ومنزلة عالية! وكان عنده من أحظى العشراء على الشراب المسكر، فإن الرشيد كان يستعمل فى أواخر أيام خلافته المسكر، وكان أحب أهله إليه أخته العباسة بنت المهدى وكان يحضرها معه، وجعفر البرمكى حاضر أيضاً معه...الخ.».

الفصل الثامن: وزراء هارون فيهم أبرار!

اشارة

1- البرامكة زنادقة ونواصب!

البرمک: لقب السادن الأكبر لمعبـد نوبهار، وهو معبد للفرس يجمع بين الوثنية والمجوسـية، ويقع فى بلخ من أفغانسـتان. قال الحموى فى معجم البلدان:5/307: «نُوْبَهَار: بالضم ثم السكون، وكانت الفرس تعظمه وتحج إليه، وكانوا يسمون السادن الأكبر برمک.. وكانت سُنَّتُهم إذا هم وافوه أن يسـجدوا للصـنم الأكبر، ويقبلوا يـد برمک.. كان برمک يُعمر النوبهار ويقوم به، وهو اسم لبيت النار الـذى كان ببلخ يعظم قدره بذلک، فصار ابنه خالد بن برمک بعده».

وروى الطبرى (5/215) أن قتيبة بن مسـلم فتح بلخ وسبى امرأة مرجعهم برمک بن جاماس بن يشتاسف، وأعطاها لأخيه المجذوم عبد الله فحملت منه، ثم اتفق مع أهل بلخ على رد الأسـرى: «فقالت امرأة برمک لعبد الله بن مسلم يا نازى إنى قد علقت منک. وحضرت عبد الله بن مسـلم الوفاة، فأوصـى أن يلحق به ما فى بطنها وردت إلى برمک، فذكر أن ولد عبد الله بن مسـلم جاؤوا أيام المهدى حين قدم الرى إلى خالد فادعوه، فقال لهم مسلم بن قتيبة: إنه لا بد لكم إن استلحقتموه أن تزوجوه، فتركوه وأعرضوا عن دعواهم»!

وهكذا بقى خالد بن برمک، ولو قبلوا أن يزوجوه لتم نسبه اليهم، وصار خالد بن عبد الله بن مسلم الباهلى!

وعندما كبر خالد التحق بثورة أبى مسلم الخراسانى، وصار مع القائد قحطبة. حتى اختاره السفاح وزيراً بعد أبى سلمة الخلال، وجعله قاضى الدولة العباسية (البدء والتاريخ/479، والآداب السلطانية/107).

وكان يُتهم بدين المجوس، ومات سنة165وعمره 75سنة. (تاريخ دمشق:7/16-8).

وبرز بعده ابنه يحيى بن خالد، وكان مقرباً من المنصور فوضع ابنه الرشيد فى حجره، فكان الرشيد يدعوه أبى ويدعو يحيى أخى، ويحب جعفر أكثر!

وعندما استخلف استوزر يحيى بدل على بن يقطين، الذى كان وزير أبيه المهدى وأخيه موسى الهادى، طيلة خلافتهما. (ذيل تاريخ بغداد:4/202).

2- عداوة البرامكة للإمام الكاظم عليه السلام

كان على بن يقطين يكتم تشيعه، وكان البرامكة يحسدونه، ويتجسسون عليه ليثبتوا للمهدى والهادى علاقته بالإمام الكاظم عليه السلام.

وكذلك كانوا يحسدون جعفر بن محمد بن الأشعث، ويعملون لإقناع هارون بأنه شيعى، وعندما وضع هارون ابنه الأمين فى حجره زاد حسدهم له.

وهم الذين أقنعوا هارون بقتل الإمام الكاظم عليه السلام (الإرشاد:2/237) فكان الرضا عليه السلام يدعو عليهم لأنهم قتلوا أباه عليه السلام: «كان أبو الحسن عليه السلام واقفاً بعرفة يدعو ثم طأطأ رأسه، فسئل عن ذلك فقال: إنى كنت أدعو الله تعالى على البرامكة بما فعلوا بأبى، فاستجاب الله لى اليوم فيهم! فلما انصرف لم يلبث إلا يسيراً حتى بُطش بجعفر ويحيى وتغيرت أحوالهم» (عيون أخبار الرضا عليه السلام:1/245).

وروى الصدوق رحمه الله خطة يحيى بن خالد البرمكى لقتل الإمام الكاظم عليه السلام، عن على بن محمد بن سليمان النوفلى، عن صالح بن على بن عطيه قال:

«كان السبب فى وقوع موسى بن جعفر عليه السلام إلى بغداد، أن هارون أراد أن يعقد الأمر لابنه محمد بن زبيدة، وكان له من البنين له أربعة عشر ابناً، فاختار منهم ثلاثة محمد بن زبيدة وجعله ولى عهده، وعبد الله المأمون وجعل الأمر له بعد ابن زبيدة، والقاسم المؤتمن وجعل له الأمر من بعد المأمون.

فأراد أن يحُكم ذلک الأمر ويشهره شهرةً يقف عليها الخاص والعام، فحج فى سنه تسع وسبعين ومئة، وكتب إلى جميع الآفاق يأمر الفقهاء والعلماء والقراء والأمراء أن يحضروا مكة أيام الموسم، فأخذ هو طريق المدينة.

قال على بن محمد النوفلى: فحدثنى أبى أنه كان سبب سعاية يحيى بن خالد بموسى بن جعفر عليه السلام أن وضع الرشيد ابنه محمد بن زبيدة فى حجر جعفر بن محمد بن الأشعث، فساء ذلک يحيى وقال: إذا مات الرشيد وأفضى الأمر إلى محمد انقضت دولتى ودوله وُلْدى، وتحول الأمر إلى جعفر بن محمد بن الأشعث وولده، وكان قد عرف مذهب جعفر فى التشيع، فأظهر له أنه على مذهبه فَسُرَّ جعفر وأفضى إليه بجميع أموره، وذكر له ما عليه فى موسى بن جعفر عليه السلام.

فلما وقف على مذهبه سعى به إلى الرشيد وكان الرشيد يرعى له موضعه من نصرة الخلافة، فكان يقدم فى أمره ويؤخر، ويحيى لا يألو أن يخطب عليه (يتكلم معه ليقنعه) إلى أن دخل يوماً إلى الرشيد فأظهر له إكراماً وجرى بينهما كلام فى مزية جعفر لحرمته وحرمه أبيه، فأمر له الرشيد فى ذلک اليوم بعشرين ألف دينار فأمسک يحيى عن أن يقول فيه شيئاً حتى أمسى، ثم قال للرشيد: يا أمير المؤمنين قد كنت أخبرتک عن جعفر ومذهبه فتكذب عنه، وهاهنا أمر فيه الفيصل، قال: وما هو؟قال: إنه لا يصل

إليه مـال من جهـة الجهات، إلا أخرج خمسه فوجه به إلى موسـى بن جعفر، ولست أشک أنه قـد فعل ذلک فى العشـرين الألف دينار التى أمرت بها له، فقال هارون: إن فى هذا لفيصـلاً، فأرسل إلى جعفر ليلاً وقد كان عرف سـعاية يحيى به فتباينا وأظهر كل واحد منهما لصاحبه العـداوة، فلما طرق جعفر رسول الرشـيد بالليل خشـى أن يكون قـد سـمع فيه قول يحيى وأنه إنما دعاه ليقتله! فأفاض عليه ماء ودعا بمسـک وكـافور فتحنـط بهمـا، ولبس برده فوق ثيـابه وأقبل إلى الرشـيد، فلما وقعت عليه عينه وشم رائحـة الكافور ورأى البردة عليه قال: يا جعفر ما هـذا؟فقال: يا أمير المؤمنين قـد علمت أنه سـعى بى عندک فلما جاءنى رسولک فى هذه الساعة، لـم آمن أن يكون قد قرح فى قلبک ما يقول على فأرسـلت إلى لتقتلنى! قال: كلا ولكن قد خُبرت أنک تبعث إلى موسى بن جعفر من كل ما يصير إليک بخمسه، وأنک فعلت بذلک فى العشـرين الألف دينار، فأحببت أن أعلم ذلک! فقال جعفر: الله أكبر يا أمير المؤمنين تأمر بعض خدمک يذهب فيأتيک بها بخواتيمها! فقال الرشيد لخادم له: خذ خاتم جعفر وانطلق به تأتينى بهذا المال، وسمى له جعفر جاريته التى عندها المال، فدفعت إليه البدر بخواتيمها فأتى بها الرشيد، فقال له جعفر: هذا أول ما تعرف به كذب من سعى بى إليک! قال صدقت يا جعفر، انصرف آمناً، فإنى لا أقبل فيک قول أحد! قال وجعل يحيى يحتال فى إسقاط جعفر!

قال النوفلى: فحـدثنى على بن الحسن بن على بن عمر بن على عن بعض مشايخه وذلک فى حجـة الرشـيد قبل هذه الحجة قال: لقينى على بن إسـماعيل بن جعفر بن محمـد فقال لى: ما لک قـد أخملت نفسک، ما لک لا تـدبر أمور الوزير! فقد أرسل إلىَّ فعادلته وطلبت الحوائج إليه، وكان سـبب ذلک أن يحيى خالـد قال ليحيى بن أبى مريم: ألا تدلنى على رجل من آل أبى طالب له رغبه فى الدنيا فأوسع له منها! قال: بلى أدلک على رجل بهـذه الصـفة، وهو على بن إسـماعيل بن جعفر، فأرسل إليه يحيى فقال: أخبرنى عن عمک وعن شـيعته والمال الـذى يحمل إليه؟ فقال له: عندى الخبر

وسعى بعمه! فكان من سعايته أن قال: من كثرة المال عنده أنه اشترى ضيعه تسمى اليسيرة بثلاثين ألف دينار، فلما أحضر المال قال البايع: لا أريد هذا النقد، أريد نقد كذا وكذا، فأمر بها فصبت فى بيت ماله، وأخرج منه ثلاثين ألف دينار من ذلک النقد ووزنه، فى ثمن الضيعة!

قال النوفلى قال أبى: وكان موسى بن جعفر عليهما السلام يأمر لعلى بن إسماعيل ويثق به، حتى ربما خرج الكتاب منه بعض شيعته بخط على بن إسماعيل، ثم استوحش منه، فلما أراد الرشيد الرحلة إلى العراق بلغ موسى بن جعفر أن علياً بن أخيه يريد الخروج مع السلطان إلى العراق فأرسل إليه مالک والخروج مع السلطان؟! قال: لأن علىَّ ديناً، فقال: دينک علىَّ.قال: فتدبير عيالى؟! قال: أنا أكفيهم، فأبى إلا الخروج، فأرسل إليه مع أخيه محمد بن إسماعيل بن جعفر بثلاث مأة دينار وأربعة آلاف درهم، فقال له:اجعل هذا فى جهازک ولا تؤتم ولدى!». (عيون أخبار الرضا عليه السلام:1/70، والمناقب:3/423).

وفى غيبة الطوسى/23، أن يحيى بن خالد أحضر على بن إسماعيل: «فأحس موسى عليه السلام بذلک فدعاه فقال: إلى أين يا بن أخى؟ قال إلى بغداد، قال: ما تصنع؟ قال: علىَّ دينٌ وأنا ممُلق. قال: فأنا أقضى دينک وأفعل بک وأصنع، فلم يلتفت إلى ذلک! فقال له: أنظر يا ابن أخى لا تؤتم أولادى! وأمر له بثلاث مائة دينار وأربعة آلاف درهم، فلما قام من بين يديه قال أبو الحسن موسى عليه السلام لمن حضره: والله ليسعين فى دمى ويؤتمن أولادى!

فقالوا له: جعلنا الله فداک، فأنت تعلم هذا من حاله وتعطيه وتصله! فقال لهم: نعم، حدثنى أبى عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الرحم إذا قطعت فوصلت قطعها الله! فخرج على بن إسماعيل حتى أتى إلى يحيى بن خالد فتعرف منه خبر موسى بن جعفر ورفعه إلى الرشيد، وزاد عليه...

وحج الرشيد فى تلک السنة فبدأ بقبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إنى أعتذر إليک من شىء أريد أن أفعله، أريد أن أحبس موسى بن جعفر، فإنه يريد التشتيت بأمتک وسفک دمائها. ثم أمر به فأخذ من المسجد فأدخل إليه فقيده، وأخرج من داره بغلان عليهما قبتان مغطاتان، هو فى إحداهما، ووجه مع كل واحدة منهما خيلاً فأخذ بواحدة على طريق البصرة، والأخرى على طريق الكوفة ليعمى على الناس أمره، وكان فى التى مضت إلى البصرة، وأمر الرسول أن يسلمه إلى عيسى بن أبى جعفر المنصور وكان على البصرة حينئذ، فمضى به فحبسه عنده سنة، ثم كتب إلى الرشيد أن خذه منى وسلمه إلى من شئت وإلا خليت سبيله، فقد اجتهدت بأن أجد عليه حجة فما أقدر على ذلک! حتى أنى لأتسمع عليه إذا دعا لعله يدعو على أو عليک، فما أسمعه يدعو إلا لنفسه يسأل الرحمة والمغفرة. فوجه من تسلمه منه..الى آخر الحديث».

وفى غيبة الطوسى/23: «فخرج على بن إسماعيل حتى أتى إلى يحيى بن خالد فتعرف منه خبر موسى بن جعفر عليه السلام ورفعه إلى الرشيد وزاد عليه وقال له: إن الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب وإن له بيوت أموال..الخ.»!

وفى رجال الطوسى/540، أنه ودع الإمام الكاظم عليه السلام فقال له: «يا عم أحب أن توصينى فقال: أوصيک أن تتقى الله فى دمى! فقال: لعن الله من يسعى فى دمک! ثم قال: يا عم أوصنى، فقال: أوصيک أن تتقى الله فى دمى...!

قال: فخرج إلى العراق فلما ورد حضرة هارون أتى باب هارون بثياب طريقه قبل أن ينزل، واستأذن على هارون وقال للحاجب، قل لأمير المؤمنين إن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بالباب، فقال الحاجب: إنزل أولاً وغيِّر ثياب طريقک وعُد لأدخلک إليه بغير إذن، فقد نام أمير المؤمنين فى هذا الوقت، فقال: أعلم أمير المؤمنين أنى حضرت ولم تأذن لى! فدخل الحاجب وأعلم هارون قول محمد بن إسماعيل، فأمر

بدخوله فدخل وقال: يا أمير المؤمنين خليفتان فى الأرض موسى بن جعفر بالمدينة يجبى له الخراج، وأنت بالعراق يجبى لک الخراج! فقال: والله، فقال: والله، قال: فأمر له بمائـة ألف درهم، فلما قبضـها وحمل إلى منزلـة، أخذته الذبحة فى جوف ليلته فمات، وحول من الغد المال الـذى حمل إليه! وروى موسـى بن القاسم البجلى: عن على بن جعفر قال: سـمعت أخى موسـى عليه السـلام قال: قال أبى لعبد الله أخى: إليک ابنى أخيک فقد ملآنى بالسـفه، فإنهما شـرک شيطان يعنى: محمد بن إسماعيل بن جعفر وعلى بن إسماعيل، وكان عبد الله أخاه لأبيه وأمه»!

أقول: ورد أن الـذى سـعى بالإمـام الكـاظم عليه السـلام على بن إسـماعيل، وفى بعضـها أخوه محمـد بن جعفر (عيون أخبـار الرضا عليه السلام:1/72، والمناقب:3/439) والظاهر أنهم ثلاثتهم شركاء فى ذلک، بتحريک يحيى البرمكى!

3- نكبة البرامكة فى أوج مجدهم!

حكم يحيى البرمكى وأولاده سـبع عشـرة سـنة، من أول عهد هارون سنة170، إلى نكبتهم فى أول سـنة187، حيث انقلب عليهم هـارون فجأة، فقتل جعفر بن يحيى: «ونصب رأسه على الجسـر الأوسط، وقطّع جثته، وصلب كل قطعة منها على الجسر الأعلى والجسر الأسفل» (الطبرى:6/491).

وحبس أباه يحيى وأخاه الفضل وماتا فى حبسه: «وكان يحيى بن خالد محبوساً بالكوفة، ولم يزل بها كذلک إلى أن مات سـنة تسـعين ومائة، ومات بعده ابنه الفضل سنة ثلاث وتسعين» (ابن خلدون:3/224).

وقال بعضـهم إن سبب نكبتهم أن جعفر البرمكى زنا بالعباسة أخت هارون رغم نهيه إياه (سير الذهبى:9/66، والطبرى:6/489) ولا يصح ذلک، لأن هارون نفسه كان يشرب معهما، وكان لا يصبر على منادمتهما!

وقال بعضـهم إن البرامكـة تآمروا مع عبـد الملک بن صالـح العباسـی لينصـبوه خليفة بدل هارون، وهو أحد أعمام هارون، وكان شخصـية متميزة على كل بنى العباس فى كفاءته وبلاغته، وكان هارون يهابه، وقد بعثه لحرب الروم مرات فلم يُقتل، ثم ولاه الموصل ودمشق ومصر، وعزله. ثم اتهمه بالتآمر عليه وحبسه وبقى فى حبسه حتى أطلقه الأمين (تاريخ: 37/21).

وتـدل سـياسة هارون وكلماته فيهم على أنه اعتقد أن البرامكة ارتكبوا جريمة خيانة الخليفة ولذلک بادر بتصـفيتهم! وتعمد أن يكتم السـبب فقال:«لو علمت يمينى بالسبب الذى له فعلت هذا لقطعتها»! (تاريخ اليعقوبى:2/421).

والمرجح عندى أن الفضل بن يحيى لما سـجن عنده الإمام الكاظم عليه السـلام رأى من كراماته وآياته فمال إليه أو تشيع، وأخذ يفكر جدياً فى انقلاب على العباسيين لمصلحة بعض العباسيين أو العلويين، وبحث ذلک مع أبيه وأخيه فى سرية تامة عن هارون!

وقد حكت الروايات (الطبرى:6/491) بطش هارون بالبرامكة بعد أربع سـنوات من شهادة الإمام الكاظم عليه السلام، برواية مسرور خادم هارون، قال:

«أرسلنى الرشيد لآتيه بجعفر بن يحيى لما أراد قتله، فأتيته وعنده أبو زكار الأعمى المغنى وهو يغنيه.. قال فقلت له: أجب أمير المؤمنين قال فرفع يديه ووقع على رجلىَّ يقبلهما وقال: حتى أدخل فأوصـى! قلت: أما الدخول فلا سبيل إليه ولكن أوص بما شـئت، فتقدم فى وصيته بما أراد وأعتق مماليكه، ثم أتتنى رسل أمير المؤمنين تستحثنى به، قال: فمضيت به إليه فأعلمته فقال لى وهو فى فراشه: ائتنى برأسه فأتيت جعفراً فأخبرته فقال: يا أبا هاشم الله الله والله ما أمرک بما أمرک به إلا وهو سـكران، فـدافعْ بأمرى حتى أصـبح أؤامره فىَّ ثانيـة، فعدت لأؤامره فلما سمع حسى قال: يا ماص بظر

أمه إئتنى برأس جعفر! فعـدت إلى جعفر فأخبرته فقال: عاوده فيَّ ثالثـةً فأتيته فحـذفنى بعمود ثم قال: نفيت من المهـدى إن أنت جئتنى ولـم تأتنى برأسه لأرسـلن إليک من يأتينى برأسک أولاً ثم برأسه آخراً! قال فخرجت فأتيته برأسه! قال وأمر الرشـيد فى تلک الليلة بتوجيه من أحاط بيحيى بن خالد وجميع ولده ومواليه ومن كان منهم بسبيل، فلم يفلت منهم أحد كان حاضراً، وحول الفضل بن يحيى ليلاً فحبس فى ناحية من منازل الرشـيد، وحبس يحيى بن خالد فى منزله، وأخذ ما وجد لهم من مال وضـياع ومتاع وغير ذلک، ومنع أهل العسكر من أن يخرج منهم خـارج إلى مدينـة السـلام أو إلى غيرهـا، ووجه من ليلته رجاء الخادم إلى الرقـة فى قبض أموالهم وما كان لهم وأخـذ كل ما كان من رقيقهم ومـواليهم وحشـمهم، وولاـه أمورهم، وفرق الكتب من ليلته إلى جميع العمـال فى نواحى البلـدان والأعمـال بقبض أموالهم وأخذ وكلائهم! فلما أصـبح بعث بجثة جعفر بن يحيى مع شعبة الخفتانى وهرثمة بن أعين وإبراهيم بن حميد المروروذى، وأتبعهم عدة من خدمه وثقـاته منهـم مسـرور الخـادم، إلى منزل جعفر بن يحيى وإبراهيم بن حميـد. وحسـين الخـادم إلى منزل الفضـل بن يحيى ويحيى بن عبد الرحمن. ورشيد الخادم إلى منزل يحيى ومحمد بن يحيى. وجعل معه هرثمة بن أعين، وأمر بقبض جميع مالهم!

وكتب إلى السـندى الحرشـى بتوجيه جيفة جعفر إلى مدينة السـلام، ونصب رأسه على الجسـر الأوسط، وقطع جثته وصلب كل قطعة منها على الجسـر الأعلى والجسر الأسفل ففعل السندى ذلک، وأمضى الخدم ما كانوا وجهوا فيه، وحمل عدة من أولاد الفضل وجعفر ومحمد الأصاغر إلى الرشيد فأمر بإطلاقهم.

وأمر بالنداء فى جميع البرامكة: ألا أمان لمن آواهم، إلا محمد بن خالد وولده وأهله وحشـمه، فإنه استثناهم لما ظهر من نصيحة محمد له، وعرف براءته مما دخل فيه غيره».

وفى الأخبار الطوال/391، أن هارون أمر«عند ممره ببغداد بخشـبة جعفر بن يحيى أن تحرق»! وبذلک أنهى صلب جثة جعفر البرمكى بعد سنة من صلبها!

ووصف فی تاریخ بغداد:7/168، الحالة التی وصلت الیها والدة جعفر البرمکی، التی أفلتت من سجن هارون بعد موته، قال: «عن محمد بن عبد الرحمن الهاشمی صاحب صلاة الکوفة قال: دخلت علی أمی فی یوم عید أضحی وعندها امرأة برزة فی أثواب دنسة رثة فقالت لی: أتعرف هذه؟ قلت لا، قالت: هذه عبادة أم جعفر بن یحیی بن خالد، فسلمت علیها ورحبت بها وقلت لها: یا فلانة حدثینی ببعض أمرکم. قالت أذکر لک جملة کافیة فیها اعتبار لمن اعتبر وموعظة لمن فکر: لقد هجم علیَّ مثل هذا العید وعلی رأسی أربع مائة وصیفة، وأنا أزعم أن جعفراً ابنی عاقٌّ بی، وقد أتیتکم فی هذا الیوم والذی یقنعنی جلدا شاتین أجعل أحدهما شعاراً والآخر دثاراً»!

4- علی بن یقطین رحمه الله رئیس وزراء هارون

کان أبوه یقطین «یبیع الأبزار وهی التوابل» (رجال الطوسی:2/729).وکان من دعاة العباسیین فطلبه الخلیفة الأموی مروان (الحمار) فهرب مع عائلته إلی المدینة المنورة، وکانت له صلة بالإمام الصادق علیه السلام.

کان من ثقات المنصور فوضع ولده المهدی فی حجره: «فنشأ المهدی وعلی بن یقطین کأنهما أخوان، فلما أفضت الخلافة إلی المهدی استوزر علی بن یقطین وقدمه وجعله علی دیوان الزمام ودیوان البسر والخاتم، فلم یزل فی یده حتی توفی المهدی وأفضی الأمر إلی الهادی فأقره علی وزارته ولم یشرک معه أحداً فی أمره، إلی أن توفی الهادی وصار الأمر إلی الرشید، فأقره شهراً، ثم صرفه بیحیی بن خالد البرمکی». (ذیل تاریخ بغداد:4/202).

ومع أن هارون عزله من الوزارة، لکن بقیت له مکانة محترمة عنده، فعندما غضب علی البرامکة ونکبهم، أعاده إلی الوزارة!

قال المسعودی فی التنبیه والإشراف/299: «ودفع خاتم الخلافة بعد إیقاعه بهم

إلى على بن يقطين، وغلب عليه الفضل بن الربيع وإسماعيل بن صبيح إلى أن مات».

ومعنى هـذا أن هارون بكل دهائه ورقابته، لم يجد أى مستمسک على على بن يقطين، فبقى على ثقته به إلى أن توفى رحمه الله قبل شـهادة الإمام الكاظم عليه السلام.

وفى معجم السـيد الخوئى قدس سره :13/242: «على بن يقطين بن موسـى البغدادى كوفى الأصل، مولى بنى أسد...قال الشيخ الطوسى: على بن يقطين ثقـة جليل القـدر، له منزلـة عظيمة عند أبى الحسن موسـى عليه السـلام ، عظيم المكان فى الطائفة. كان يحمل الأموال إلى جعفر الصادق عليه السـلام، ونمَّ خبره إلى المنصور والمهدى فصـرف الله عنه كيدهما، وتوفى ببغداد سنة اثنتين وثمانين ومائة، وسنُّهُ يومئذ سبع وخمسون سـنة، وصـلى عليه ولى العهد محمد بن الرشـيد، وتوفى أبوه بعده سـنة خمس وثمانين ومائة.ولعلى بن يقطين رضى الله عنه كتب، منها: كتاب ما سئل عنه الصادق عليه السلام من الملاحم، وكتاب مناظرة الشاک بحضرته عليه السلام ».

أقول: روى على بن يقطين عن الإمام الكاظم عليه السـلام كثيراً، وذكروا أنه روى عن الإمام الصادق عليه السـلام روايـة واحـدة، ولا يصـح ذلـک كمـا بينه السـيد الخوئى رحمه الله . بـل روى عنه عـدة روايـات، وله كتاب أحاديثه عليه السـلام فى الملاحم وكتاب مناظرته لملحد بحضوره عليه السـلام، فقـد كـان عمره نحو 25 سـنة عنـدما توفى الإمـام الصادق عليه السـلام، وكان يراه فى موسم الحـج، وفى اسـتدعاء المنصور له إلى الكوفة والحيرة وبغداد.

هـذا، وقد ذكر ابن النديم فى الفهرست/279، والنجار فى ذيل تاريخ بغداد:4/202، أن يقطيناً كان شـيعياً وأنه كان يحمل المال إلى الإمام الصادق عليه السلام، وهو بعيد، والمؤكد أن ابنه علياً كان شيعياً، وكان أبوه يعرف ذلک، ويستر عليه.

5- من أخبار على بن يقطين مع الإمام الكاظم عليه السلام

1- غيَّر عثمان بن عفان وضوء النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأدخل فيه غسل القدمين، وتطويق الأذنين، كما يفعل اليهود والصابئة. وفرض هذا الوضوء على المسلمين، وعممته الدولة الأموية، ثم تبناه العباسيون. وقد استوفى دراسته العالم الباحث السيد على الشهرستانى فى كتابه: وضوء النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد بقى أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم على وضوء النبى صلى الله عليه وآله وسلم فصاروا يعرفون به!

وكان على بن يقطين رحمه الله فى بلاط هارون محاطاً بحساد ه البرامكة وبعض أقاربه فكتب إلى الإمام الكاظم عليه السلام يسأله كيف يتوضأ: «فكتب إليه: فهمت ما ذكرت من الاختلاف فى الوضوء، والذى آمرك به فى ذلك أن تتمضمض ثلاثاً وتستنشق ثلاثاً، وتخلل لحيتك، وتمسح رأسك كله، وبه تمسح ظاهر أذنيك وباطنهما، وتغسل رجليك إلى الكعبين ثلاثاً، ولا تخالف ذلك إلى غيره.

فلما وصل الكتاب إلى على تعجب مما رسم له فيه، ثم قال: مولاى أعلم بما قال وأنا ممتثل أمره، فكان يعمل فى وضوئه على هذه، وسُعِيَ بعلى إلى الرشيد بالرفض فقال: قد كثر القول عندى فى رفضه، فامتحنه من حيث لا يعلم بالوقوف على وضوئه، فلما دخل وقت الصلاة وقف الرشيد وراء حائط الحجرة بحيث يرى على بن يقطين ولا يراه هو، فدعا بالماء وتوضأ على ما أمره الإمام فلم يملك الرشيد نفسه حتى أشرف عليه بحيث يراه، ثم ناداه: كذاب يا على من زعم أنك من الرافضة! وصلحت حاله عنده، وورد كتاب أبى الحسن عليه السلام ابتداء: من الآن يا على بن يقطين توضأ كما أمرك الله، وذكر وصفه، فقد زال ما يخاف عليك.. اغسل وجهك مرة

فریضـة والأخری إسـباغاً، واغسل یـدیک من المرفقین کذلک،وامسح مقدم رأسک وظاهر قدمیک من فضل نداوة وضوئک» (مناقب آل أبی طالب:3/ 407، وإعلام الوری:2/22).

2- قال علی بن یقطین: «کنت عند هارون الرشید یوماً إذ جاءت هدایا ملک الروم، وکانت فیها درَّاعة (جبة) دیباج سوداء لم أر أحسن منها، فرآنی أنظر إلیها فوهبها لی، وبعثتها إلی أبی إبراهیم علیه السـلام، ومضت علیها تسـعة أشهر، فانصرفت یوماً من عند هارون بعد أن تغدیت بین یـدیه، فلما دخلت داری قام إلیَّ خادمی الـذی یأخـذ ثیابی بمنـدیل علی یده وکتاب لطیف خاتمه رطب، فقال: أتانی رجل بهذا الساعة فقال: أوصـله إلی مولاک ساعـة یـدخل! ففضـضت الکتاب فإذا فیه:یا علی هـذا وقت حاجتک إلی الدراعـة! فکشـفت طرف المندیل عنها ورأیتها وعرفتها، ودخل علیَّ خادم لهارون بغیر إذن فقال: أجب أمیر المؤمنین! قلت: أی شـیء حدث؟ قال: لا أدری، فرکبت ودخلت علیه وعنـده عمر بن بزیع واقفاً بین یدیه، فقال: ما فعلت بالدراعة التی وهبتها لک؟ قلت: خِلَعُ أمیر المؤمنین علیَّ کثیرة، من دراریع وغیرها، فعن أیها تسألنی؟ قال: دراعـة الـدیباج السوداء الرومیة المذهبة؟ قلت: ما عسـی أن أصـنع بها، ألبسـها فی أوقات وأصـلی فیها رکعات وقد کنت دعوت بها عند منصـرفی من دار أمیر المؤمنین الساعة لألبسـها! فنظر إلی عمر بن بزیغ فقال: قل له لیرسل حتی یحضـرنیها. قال: فأرسـلت خادمی حتی جاء بها، فلما رآها قال: یاعمر ما ینبغی أن نقبل علی علیٍّ بعدها شـیئاً! قال: فأمر لی بخمسین ألف درهم، حملت مع الدراعة إلی داری! قال علی بن یقطین:وکان الساعی بی ابن عم لی فسوَّد الله وجهه وکذَّبه والحمد لله»(1).

1- الخرائج:2/656، والمناقب:3 /408، ودلائل الامامة /322، والإرشاد:2 / 225، والخرائج:1 /334، وإعلام الوری:2 / 19، والثاقب فی المناقب/ 449

وفی روایتهم: فسکن الرشید من غضبه وقال: إنصرف راشداً فلن أصدق بعدها ساعیاً، وأمر أن یتبع بجائزة سنیة وتقدم بضرب الساعی ألف سوط، فضرب نحو خمس مائة سوط، فمات».

3- «استأذن إبراهیم الجمال رضی الله عنه علی أبی الحسن علی بن یقطین الوزیر فحجبه، فحج علی بن یقطین فی تلک السنة فاستأذن بالمدینة علی مولانا موسی بن جعفر علیه السلام فحجبه، فرآه ثانی یومه فقال علی بن یقطین: یا سیدی ما ذنبی؟ فقال: حجبتک لأنک حجبت أخاک إبراهیم الجمال، وقد أبی الله أن یشکر سعیک أو یغفر لک إبراهیم الجمال! فقلت: سیدی ومولای من لی بإبراهیم الجمال فی هذا الوقت، وأنا بالمدینة وهو بالکوفة؟ فقال: إذا کان اللیل فامض إلی البقیع وحدک من غیر أن یعلم بک أحد من أصحابک وغلمانک واترکب نجیباً هناک مسرجاً!

قال: فوافی البقیع وترکب النجیب ولم یلبث أن أناخه علی باب إبراهیم الجمال بالکوفة، فقرع الباب وقال: أنا علی بن یقطین، فقال إبراهیم الجمال من داخل الدار: وما یعمل علی بن یقطین الوزیر ببابی! فقال علی بن یقطین: یا هذا إن أمری عظیم! وآلی علیه أن یأذن له، فلما دخل قال: یا إبراهیم إن المولی علیه السلام أبی أن یقبلنی أو تغفر لی!.

فقال: یغفر الله لک، فآلی علی بن یقطین علی إبراهیم الجمال أن یطأ خده فامتنع إبراهیم من ذلک، فآلی علیه ثانیاً ففعل، فلم یزل إبراهیم یطأ خده وعلی بن یقطین یقول: اللهم اشهد! ثم انصرف وترکب النجیب وأناخه من لیلته بباب المولی موسی بن جعفر علیه السلام بالمدینة، فأذن له ودخل علیه فقبله»! (عیون المعجزات /90، والثاقب فی المناقب/458، والبحار: 48/85).

أقول: أراد الإمام عليه السلام بذلک تربية على بن يقطين على أن لا يرد مؤمناً جاءه فى حاجة، أما إرساله إلى الكوفة بالمعجزة، فقد رأى على بن يقطين شبيهه مراراً!

4- قال الإمام الكاظم عليه السلام لعلى بن يقطين: «اضمن لى خصلة، أضمن لک ثلاثاً! فقال على: جعلت فداک، وما الخصلة التى أضمنها لک وما الثلاث اللواتى تضمنهن لى؟ قال فقال أبو الحسن عليه السلام: الثلاث اللواتى أضمنهن لک: أن لا يصيبک حر الحديد أبداً بقتل، ولا فاقة، ولا سجن. قال فقال على: وما الخصلة التى أضمنها لک؟ قال فقال: تضمن أن لا يأتيک ولى أبداً إلا أكرمته! قال فضمن علىٌّ الخصلة وضمن له أبو الحسن الثلاث». (رجال الطوسى:2/731).

5- «روى بكر بن محمد الأشعرى أن أبا الحسن الأول عليه السلام قال: إنى استوهبت على بن يقطين من ربى عز وجل البارحة فوهبه لى، إن على بن يقطين بذل ماله ومودته فكان لذلک منا مستوجباً.

ويقال إن على بن يقطين ربما حمل مائة ألف إلى ثلاث مائة ألف درهم، وإن أبا الحسن عليه السلام زوج ثلاثة بنين أو أربعة، منهم أبو الحسن الثانى، فكتب إلى على بن يقطين: إنى قد صيرت مهورهن إليک».(رجال الطوسى:2/732).

وقال سليمان بن الحسين كاتب على بن يقطين: «أحصيت لعلى بن يقطين من وافى عنه فى عام واحد مائة وخمسين رجلاً، أقل من أعطاه منهم سبع مائة درهم، وأكثر من أعطاه عشرة آلاف درهم».(رجال الطوسى:2/737).

6- فى معجم السيد الخوئى:13/247: «عن إسماعيل بن سلام، وإسماعيل بن جميل، قالا: بعث إلينا على بن يقطين فقال: اشتريا راحلتين وتجنبا الطريق، ودفع إلينا أموالاً وكتباً، حتى توصلا ما معكما من المال والكتب إلى أبى الحسن موسى عليه السلام ولا يعلم بكما أحد. قالا: فأتينا الكوفة فاشترينا راحلتين وتزودنا زادا وخرجنا

نتجنب الطريق، حتى إذا صرنا ببطن الرمة شددنا راحلتنا ووضعنا لها العلف وقعدنا نأكل، فبينا نحن كذلک إذ راکب قد أقبل ومعه شاکری، فلما قرب منا فإذا هو أبو الحسن علیه السلام فقمنا إلیه وسلمنا علیه، ودفعنا إلیه الکتب وما کان معنا، فأخرج من کمه کتباً فناولنا إیاها فقال: هذه جوابات کتبکم، فقلنا: إن زادنا قد فنیَ فلو أذنت لنا فدخلنا المدینة فزرنا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وتزودنا بزاد، فقال: هاتا ما معکما من الزاد، فأخرجنا الزاد فقلبه بیده، فقال: هذا یبلغکما إلی الکوفة، وأما رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فقد رأیتماه، وإنی صلیت معهم الفجر، وإنی أرید أن أصلی معهم الظهر، انصرفا فی حفظ الله»!

7- «لما قدم أبو إبراهیم موسی بن جعفر علیه السلام العراق، قال له علی بن یقطین: أما تری حالی وما أنا فیه (من صعوبة العمل لکثرة المکائد فی بلاط هارون)؟!فقال: یا علی إن لله تعالی أولیاء مع الظلمة لیدفع بهم عن أولیائه، وأنت منهم یا علی». (رجال الطوسی:2/731). وفی روایة:«إن لله مع کل طاغیة وزیرا من أولیائه یدفع به عنهم». (معجم السید الخوئی:13/247)

وفی قرب الإسناد /306: «کتب إلی أبی الحسن موسی علیه السلام: إن قلبی یضیق مما أنا علیه من عمل السلطان، وکان وزیراً لهارون، فإن أذنت لی جعلنی الله فداک هربت منه!فرجع الجواب: لا آذن لک بالخروج من عملهم واتق الله»!

8- «عن عبد الله بن یحیی الکاهلی قال: کنت عند أبی إبراهیم علیه السلام إذ أقبل علی بن یقطین فالتفت إلی أصحابه فقال: من سره أن یری رجلاً من أصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فلینظر إلی هذا المقبل! فقال له رجل من القوم: هو إذن من أهل الجنة؟ فقال أبو الحسن علیه السلام: أما أنا فأشهد أنه من أهل الجنة». (رجال الطوسی:2/730).

6- جعفر بن محمد بن الأشعث رئيس وزراء هارون

1- محمد بن الأشعث الخزاعى غير محمد بن الأشعث بن قيس الكندى، وقد خلط البعض بينهما، وجعفر هنا هو الخزاعى وليس الكندى. وأبوه من قادة الثورة العباسية، ففى تاريخ اليعقوبى:2/386: «فولى أبو جعفر محمد بن الأشعث الخزاعى، فقدم طرابلس».

وفى فتوح البلاذرى:1/275: «ثم دخل محمد بن الأشعث الخزاعى إفريقية والياً عليها فى آخر خلافة أبى العباس، فى سبعين ألفاً ويقال فى أربعين ألفاً، فوليها أربع سنين، فرمَّ مدينة القيروان».أى رممها وبنى فيها.

وفى أنساب السمعانى:4/573: «وقيل:بنى القيروان محمد بن الأشعث الخزاعى، وتحت لوائه عشرون ومائة قائد».

وفى تاريخ الذهبى:9/262: «محمد بن الأشعث بن يحيى الخزاعى الخراسانى، الأمير، أحد قواد بنى عباس. ولى دمشق للمنصور بعد صالح بن على العباسى ثم ولاه إمرة الديار المصرية، ودخل القيروان لحرب الإباضية، وكان شجاعاً حازماً مهيباً، هزم أبا الخطاب عبد الأعلى رأس الخوارج، ثم ظفر به وقتله، ومات ابن الأشعث هذا سنة تسع وأربعين ومائة».

وكان جعفر بن محمد بن الأشعث قائداً كأبيه، وذكره الطبرى وذكر ابنه العباس فقال: (6/529، و447): «سنة 187وفيها أقدم الرشيد جعفر بن محمد بن الأشعث من خراسان، وولاها ابنه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث».

وكان هارون يستقدمه ليعطيه مسؤولية كبيرة كخاتم الخلافة أو الحرس الشخصى له.(تاريخ خليفة/382). وقد بلغت ثقة هارون بجعفر بن محمد بن الأشعث أنه جعل ابنه المأمون فى حجره ليربيه، فحسده البرامكة كما تقدم!

وورد ذكر ابنه العباس فى غزو الروم أيضاً، قال الطبرى (6/500): «دخل القاسم بن هارون أرض الروم فى شعبان فأناخ على قرة وحاصرها، ووجه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث فأناخ على حصن سنان حتى جهدوا، فبعثت إليه الروم تبذل له ثلاث مائة وعشرين رجلاً من أسارى المسلمين على أن يرحل عنهم، فأجابهم إلى ذلک».

«فوجه ابنه المأمون قبل وفاته بثلاث وعشرين ليلة إلى مرو، ومعه عبد الله بن مالک، ويحيى بن معاذ، وأسد بن يزيد بن مزيد، والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث..ثم اشتد بهارون الوجع حتى ضعف عن السير».(الطبرى:6/525).

2- روى محمد بن الأشعث قصة تشيعهم، فقال لمحمد بن أبى عمير:«أتدرى ما كان سبب دخولنا فى هذا الأمر ومعرفتنا به، وما كان عندنا فيه ذكر ولا معرفة شىء مما عند الناس؟ قال قلت: ما ذاک؟ قال: إن أبا جعفر يعنى أبا الدوانيق قال لأبى محمد الأشعث: يا محمد إبغ لى رجلاً له عقل يؤدى عنى. فقال له: إنى قد أصبته لک، هذا فلان بن مهاجر خالى. قال: فأتنى به. قال: فأتيته بخالى فقال له أبو جعفر: يا ابن مهاجر خذ هذا المال، فأعطاه ألوف دنانير أو ما شاء الله من ذلک، وائت المدينة والق عبد الله بن الحسن وعدة من أهل بيته فيهم جعفر بن محمد، فقل لهم: إنى رجل غريب من أهل خراسان، وبها شيعة من شيعتكم وجهوا إليكم بهذا المال، فادفع إلى كل واحد منهم على هذا الشرط كذا وكذا، فإذا قبضوا المال فقل إنى رسول، وأحب أن يكون معى خطوطكم بقبضكم ما قبضتم منى!

قال فأخذ المال وأتى المدينة ثم رجع إلى أبى جعفر، وكان محمد بن الأشعث عنده فقال أبو جعفر: ما وراءک؟ قال: أتيت القوم وفعلت ما أمرتنى به، وهذه خطوطهم بقبضهم، خلا جعفر بن محمد فإنى أتيته وهو يصلى فى مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فجلست خلفه وقلت ينصرف فأذكر له ما ذكرت لأصحابه، فعجل وانصرف ثم التفت إلىَّ فقال: يا هذا إتق الله ولا تَغُرَّنَّ أهل بيت محمد صلى الله عليه

وآله وسلم وقل لصاحبک إتق الله ولا تغرن أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فإنهم قريبوا العهد بدولة بنى مروان وكلهم محتاج!

قال فقلت: وماذا أصلحک الله؟! فقال: أدن منى، فأخبرنى بجميع ما جرى بينى وبينک حتى كأنه كان ثالثنا!

قال فقال أبو جعفر: يا ابن مهاجر، إعلم إنه ليس من أهل بيت نبوة إلا وفيهم محـدث، وإن جعفر بن محمد محدثنا اليوم! فكان هذه دلالة أنا قلنا بهذا المقالة» (بصائر الدرجات/265، والكافى:1/475).

أقول: أراد المنصور أن يُزّوِّر ممسـكاً على العلويين بأنهم يجمعون المال والأنصار للثورة عليه، فيحبسـهم لذلک أو يقتلهم! وانطلت الحيلة على الحسنيين، بينما كشفها الله تعالى للإمام الصادق عليه السلام فأخبر رسول المنصور، فاندهش!

وتتعجب من قـدرة المنصور على التزوير، وأنه لـم ينبهت عنـدما أخبره رسوله بمـا رأى بل غيَّر الموضوع وجعله فخراً له بالإمام الصادق عليه السلام لأنه من بنى هاشم!

وتتعجب أكثر من أن المنصور مع شهادته بأن الإمام الصادق عليه السلام إمام تحدثه الملائكة فهو لا يهتم بمقامه ولا بعلمه، ولا بالملائكة ولا بالرسل ولا بربهم عز وجل! بل يريد مستمسكاً على الإمام عليه السلام ليقتله ويبعد ضرره عن ملكه! تماماً كما قال الله تعالى عنهم:

((وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ))!

وكانت هذه الحادثة سـبب تشـيع رسول المنصور ومحمد بن الأشـعث، ولا بد أنهم رأوا غيرها من الآيات فاعتقدوا بأن الإمام الصادق عليه السـلام حجـة الله تعالى على خلقه، والإمام المفترض الطاعة! لكنهم حافظوا على ثقة المنصور بهم واحتفظوا بمناصـبهم! ولا بد أن الإمام عليه السلام علمهم وعلم ابن يقطين كيف يتصرفون!

الفصل التاسع: هارون يعرف أن الكاظم عليه السلام إمام من الله تعالى

اشارة

1- يعرف أنه إمام ربانى ويعاديه!

نقـل المأمون اعتراف أبيه بأن الإمام الكاظم عليه السـلام إمام من الله تعالى، وأنه أحق من هارون ومن غيره بمقام رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم، ولكن الملک عقيم!

فقـد قـال سـفيان بن نزار «كنت يومـاً على رأس المأمون فقال: أتـدرون من علمنى التشـيع؟فقال القوم جميعاً: لا والله ما نعلم! قال:علمنيه الرشيد! قيل له وكيف ذلک والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت؟ قال: كان يقتلهم على الملک لأن الملک عقيم، ولقد حججت معه سنةً فلما صار إلى المدينة تقدم إلى حجابه وقال: لا يدخلن علىَّ من أهل المدينة ومكة من أهل المهاجرين والأنصار وبنى هاشم وساير بطون قريش إلا نسب نفسه! وكان الرجل إذا دخل عليه قال: أنا فلان بن فلان، ينتهى إلى جده من هاشـمى أو قرشـى أو مهاجرى أو أنصارى، فيصـله من المال بخمسه آلاف دينار وما دونها، إلى مأتى دينار على قـدر شـرفه وهجرة آبائه، فأنا ذات يوم واقف إذ دخل الفضل بن الربيع، فقال: يا أمير المؤمنين على الباب رجل يزعم أنه موسـى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسـين بن على بن أبى طالب. فأقبل علينا ونحن قيام على رأسه والأمين والمؤتمن وساير القواد فقال: أحفظوا على أنفسكم، ثم قال لآذنه: ائذن له ولا ينزل إلا على بساطى! فإنا كذلک إذ دخل شيخ مسخد (مصفر الوجه) قد أنهكته العبادة، كأنه شن بال، قد كُلَمَ من السجود وجهه وأنفه، فلما رأى الرشيد رمى بنفسه عن حمار كان

راکبه فصاح الرشـید:لا والله إلا علی بساطی! فمنعه الحجاب من الترجل، ونظرنا إلیه بأجمعنا بالإجلال والإعظام، فما زال یسیر علی حماره حتی صار إلی البساط والحجاب والقواد محـدقون به، فنزل فقام إلیه الرشـید واسـتقبله إلی آخر البساط وقبل وجهه وعینیه وأخـذ بیـده حتی صیره فی صـدر المجلس وأجلسه معه، وجعـل یحـدثه ویقبـل بوجهه علیه ویسـأله عن أحواله ثم قال له: یا أبا الحسن ما علیک من العیال؟ فقال: یزیـدون علی الخمس مائة. قال: أولاد کلهم؟ قال: لا أکثرهم موالی وحشم. أما الولد فلی نیف وثلاثون والذکران منهم کذا والنسوان منهم کـذا. قال: فلم لا تزوج النسوان من بنی عمومتهن وأکفائهن؟ قال: الید تقصـر عن ذلک. قال: فما حال الضـیعة؟ قال: تعطی فی وقت وتمنع فی آخر. قال: فهل علیک دین؟ قال: نعم قال: کم؟ قال: نحو عشره آلاف دینار.

فقال الرشید: یا ابن عم أنا أعطیک من المال ما تزوج الذکران والنسوان وتقضی الدین وتعمر الضیاع.

فقال له: وصلتک رحم یا ابن عم وشکر الله لک هذه النیة الجمیلة والرحم ماسة والقرابة واشجة والنسب واحد، والعباس عم النبی صلی الله علیه وآله وسلم وصنو أبیه، وعم علی بن أبی طالب علیه السلام وصنو أبیه، وما أبعدک الله من أن تفعل، وقد بسط یدک وأکرم عنصرک وأعلی محتدک!

فقال: أفعل ذلک یا أبا الحسن وکرامـة. فقال: یا أمیر المؤمنین إن الله عز وجل قـد فرض علی ولاة عهـده أن ینعشوا فقراء الأمة، ویقضوا عن الغارمین، ویؤدوا عن المثقل، ویکسوا العاری، ویحسـنوا إلی العانی، فأنت أولی من یفعل ذلک فقال: أفعل یا أبا الحسن. ثم قام فقام الرشید لقیـامه وقبل عینیه ووجهه، ثم أقبل علیَّ وعلی الأمین والمؤتمن فقال: یا عبـد الله ویا محمـد ویا إبراهیم امشوا بین یـدی عمکم وسـیدکم، خذوا

بركابه وسووا عليه ثيابه وشيعوه إلى منزله، فأقبل علىَّ أبو الحسن موسى بن جعفر سراً بينى وبينه، فبشرنى بالخلافة فقال لى: إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى وُلدى، ثم انصرفنا.

وكنت أجرأ ولد أبى عليه، فلما خلا المجلس قلت: يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذى قد أعظمته وأجللته، وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته، وأقعدته فى صدر المجلس وجلست دونه، ثم أمرتنا بأخذ الركاب له؟!

قال: هذا إمام الناس وحجة الله على خلقه وخليفته على عباده!

فقلت: يا أمير المؤمنين أوليست هذه الصفات كلها لک وفيک؟

فقال: أنا إمام الجماعة فى الظاهر والغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق! والله يا بنى إنه لأحق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منى ومن الخلق جميعاً. ووالله لو نازعتنى هذا الأمر لأخذت الذى فيه عيناک، فإن الملک عقيم!

فلما أراد الرحيل من المدينة إلى مكة، أمر بصرة سوداء فيها مائتا دينار، ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال له: إذهب بهذه إلى موسى بن جعفر وقل له: يقول لک أمير المؤمنين: نحن فى ضيقه وسيأتيک برنا بعد الوقت.

فقمت فى صدره فقلت: يا أمير المؤمنين تعطى أبناء المهاجرين والأنصار وساير قريش وبنى هاشم ومن لا تعرف حسبه ونسبه خمسه آلاف دينار إلى ما دونها، وتعطى موسى بن جعفر وقد أعظمته وأجللته مأتى دينار، أخس عطيةٍ أعطيتها أحداً من الناس! فقال: أسكت لا أم لک فإنى لو أعطيت هذا ما ضمنته له ما كنت أمنته أن يضرب وجهى غداً بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه. وفقر هذا وأهل بيته أسلم لى ولكم من بسط أيديهم وأعينهم!

وفى رواية أن هارون قال: يا بنى هذا وارث علم النبيين، هذا موسى بن جعفر

بن محمـد! إن أردت العلم الصـحيح فعنـد هـذا. قال المأمون: فحينئذ انغرس فى قلبى محبتهم». (عيون أخبار الرضا عليه السـلام:1/84، والإحتجاج:2/165).

وفى رواية الطبرى:4/650، أن الرشـيد أعطى فى تلك السـفرة أهل مكـة والمدينـة ثلاثة أعطية:«فبلغ ذلک ألف ألف دينار وخمسـين ألف دينار»!

أقول:العجب من هـارون يشـهد على نفسه بأنه ظالم غاصب لمقام رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم وأعجب منه كلام المأمون الـذى يزعم أن الإـعتراف والتشـيع النظرى للنبى وعترته المعصومين صـلى الله عليه وآله وسـلم يكفى للنجاة من النار، وإن خالف ذلک فى قوله وفعله، وغصب منصب الإمامة وقتل الإمام الربانى!

2- حبس هارون للإمام الكاظم عليه السلام - المرة الأولى

كـان هـارون يعرف أن الإمام الكاظم عليه السـلام إمام من الله تعالى، بل كان كل ملوک بنى أميـة والعباس يعرفون جيـداً أئمـة أهل البيت عليهم السلام الذين عاصروهم. فهم حقاً كما قال الله تعالى:

((وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا))!

ومع علم هارون بمقام الإمام عليه السـلام أحضـره إلى بغداد واحترمه فى الظاهر، وجلس معه عدة مجالس، وحاول قتله مراراً فلم يتيسـر له ذلک، فأطلقه!

كان ذلک فى أول خلافـة هارون سـنة170، ففى تلك السـنة ولد الأمين فوضـعه فى حجر جعفر بن الأشـعث الشـيعى (الطبرى:6/444)، وحسده يحيى بن خالد البرمكى، وأخذ يعمل ضد ابن الأشعث وضد الإمام الكاظم عليه السلام

قال المسعودى فى إثبات الوصية/193: «بويع لهارون الرشـيد فى شهر ربيع الأول فى تلك السنة سنة سبعين ومائة فى اثنتين وعشرين سنة من إمامة أبى الحسن، فوجه فى

حمل أبی الحسن علیه السلام، فلما وافاه الرسل دعا أبا الحسن الرضا علیه السلام وهو أکبر ولده فأوصی إلیه بحضرة جماعة من خواصه، وأمره بما احتاج إلیه، ونحله کنیته وتکنی بأبی إبراهیم، ودفع إلی أم أحمد مالاً وکتباً وقال لها سراً: من أتاک فطلب منک ما دفعته إلیک وأعطاک صفته فادفعیه إلیه، ودفع إلیها رقعة مختومة وأمرها بأن تسلمها معها قبلها إلی أبی الحسن الرضا علیه السلام إذا طلبها، وأمر أبا الحسن أن یبیت فی کل لیلة فی دهلیز داره أو علی بابه أبداً ما دام حیاً یعنی نفسه».

وفی مروج الذهب:2/2، وط.مصر:2/356:«ذکر عبد الله بن مالک الخزاعی وکان علی دار الرشید وشرطته، قال: أتانی رسول الرشید فی وقت ما جاءنی فیه قط فانتزعنی من موضعی ومنعنی من تغییر ثیابی، فراعنی ذلک منه! فلما صرت إلی الدار سبقنی الخادم فعرَّفَ الرشید خبری فأذن لی فی الدخول علیه، فدخلت فوجدته قاعداً علی فراشه فسلمت، فسکت ساعة فطار عقلی وتضاعَفَ الجزع علیَّ، ثم قال لی: یا عبد الله أتدری لم طلبتک فی هذا الوقت؟

قلت: لا ـ والله یا أمیر المؤمنین! قال: إنی رأیت الساعة فی منامی کأن حَبَشِیّاً قد أتانی ومعه حربة فقال لی: إن تُخَلِّ عن موسی بن جعفر الساعة، وإلا نحرتک بهذه الحربة! فاذهبْ فخلّ عنه!

فقلت: یا أمیر المؤمنین أطلقُ موسی بن جعفر؟! ثلاثاً، قال: نعم، إمض الساعة حتی تطلق موسی بن جعفر، وأعطه ثلاثین ألف درهم، وقل له: إن أحببت المقام قِبَلَنَا فلک عندی ما تحب، وإن أحببت المضیَّ إلی المدینة، فالإذن فی ذلک إلیک! قال: فمضیت إلی الحبس لأخرجه، فلما رأنی موسی وثب إلی قائماً وظن إنی قد أمرت فیه بمکروه! فقلت: لا تخف، وقد أمرنی أمیر المؤمنین بإطلاقک، وأن أدفع إلیک ثلاثین ألف درهم وهو یقول لک: إن أحببت المقام قبلنا فلک ما تحب، وإن أحببت الانصراف إلی

المدينـة فالأمر فی ذلک مُطْلَقٌ إلیک وأعطیته الثلاثین ألف درهم وخلیت سبیله وقلت له:لقـد رأیت من أمرک عجباً! قال: فإنی أخبرک: بینما أنا نائم إذ أتانی النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم فقال: یا موسـی حُبست مظلوماً فقل هـذه الکلمات، فإنک لا تبیت هذه اللیلة فی الحبس! فقلت: بأبی وأمی ما أقول؟ فقال: قل یا سامع کل صوت، ویا سابق الفوْت، ویا کاسـی العظام لحماً ومنشـرها بعـد الموت أسألک بأسـمائک الحسـنی، وبإسـمک الأـعظم الأـکبر المخزون المکنون، الـذی لم یطلع علیه أحـد من المخلوقین، یا حلیماً ذا أناة لا یُقْوی علی أناته یا ذا المعروف الذی لا ینقطع أبداً، ولا یُحْصَی عمداً، فرِّجْ عنی. فکان ما تری»!

أقول: وروی نحوه فی وفیات الأعیان:5/308، وتأتی روایته من مصادرنا، وهو یدل علی أمور عدیدة:

منها: عنف هارون وقسوته حتی أن کبار وزرائه وموظفیه یتوقع أحدهم أن یُحضره نصف اللیل ویقتله، دون أن یعرف السبب!

ومنها، یدل تعجب رئیس الشرطة وسؤاله لهارون ثلاثاً عن أمره بإطلاق الإمام علیه السلام ، علی أن هارون کان أحضره لیقتله!

ومنها، أن ذلک کان فی حیاة والدته خیزران لأنها ماتت سنة173، وأنها لم تتدخل لإطلاق الإمام علیه السلام، وقد تکون وافقت علی رأی یحیی البرمکی بضرورة قتل الإمام موسی بن جعفر علیه السلام.

کما تدل علی أن الأمر بإطلاقه علیه السـلام کان فی اللیالی الأولی لسجنه علیه السلام فی تلک المرة وربما فی اللیلة الأولی، ففی مناقب آل أبی طالب:3/422: «لما حبس هارون الکاظم علیه السـلام جَنَّ علیه اللیل فجدد موسی طهوره، فاستقبل بوجهه القبلة وصلی أربع رکعات ثم دعا فقال: یا سیدی نجنی من حبس هارون

وخلصنی من یده، یا مخلص الشجر من بین رمل وطین، ویا مخلص النار من بین الحدید والحجر، ویا مخلص اللبن من بین فرث ودم، ویا مخلص الولد من بین مشیمة ورحم، ویا مخلص الروح من بیت الأحشاء والأمعاء، خلصنی من ید هارون الرشید!قال: فرأی هارون رجلاً أسود بیده سیف قد سله...الخ.»

وفی عیون أخبار الرضا علیه السلام:2/87: «لما حبس الرشید موسی بن جعفر علیه السلام جَنَّ علیه اللیل، فخاف ناحیة هارون أن یقتله، فجدد موسی بن جعفر طهوره فاستقبل بوجهه القبلة وصلی لله عز وجل أربع رکعات، ثم دعا بهذه الدعوات فقال: یا سیدی نجنی من حبس هارون وخلصنی من یده. یا مخلص الشجر من بین رمل وطین، ویا مخلص اللبن من بین فرث ودم، ویا مخلص الولد من بین مشیمة ورحم، ویا مخلص النار من الحدید والحجر، ویا مخلص الروح من بین الأحشاء والأمعاء، خلصنی من ید هارون. قال: فلما دعا موسی علیه السلام بهذه الدعوات أتی هارون رجل أسود فی منامه، وبیده سیف قد سله فوقف علی رأس هارون وهو یقول: یا هارون أطلق موسی بن جعفر وإلا ضربت علاوتک بسیفی هذا! فخاف هارون من هیبته، ثم دعا الحاجب فجاء الحاجب فقال له: إذهب إلی السجن فأطلق عن موسی بن جعفر! قال: فخرج الحاجب فقرع باب السجن فأجابه صاحب السجن فقال:من ذا؟ قال: إن الخلیفة یدعو موسی بن جعفر فأخرجه من سجنک وأطلق عنه، فصاح السجان: یا موسی إن الخلیفة یدعوک فقام موسی علیه السلام مذعوراً فزعاً وهو یقول: لا یدعونی فی جوف هذا اللیل إلا لشر یریده بی، فقام باکیاً حزیناً مغموماً آیسا من حیاته، فجاء هارون وهو ترتعد فرائصه، فقال: سلام علی هارون فرد علیه السلام ثم قال له هارون: ناشدتک بالله هل دعوت فی جوف هذا اللیل بدعوات؟ فقال: نعم. قال: وما هن؟ قال: جددت طهوراً وصلیت لله عز وجل أربع رکعات ورفعت طرفی إلی السماء وقلت: یا سیدی خلصنی من ید هارون وشره، وذکر له ما کان من دعائه فقال

هارون: قـد اسـتجاب الله دعوتک! یا حاجب أطلق عن هذا، ثم دعا بخلع علیه ثلاثاً وحمله علی فرسه وأکرمه وصـیره ندیماً لنفسه، ثم قال: هات الکلمات فعلمه قال: فأطلق عنه وسـلمه إلی الحاجب لیسـلمه الدار ویکون معه فصار موسـی بن جعفر علیه السلام کریماً شریفاً عند هارون، وکان یدخل علیه فی کل خمیس، إلی أن حبسه الثانیة فلم یطلق عنه حتی سلمه إلی السندی شاهک وقتله بالسم».

وروی الصدوق فی عیون أخبار الرضا علیه السلام:2/73، والمفید فی الإختصاص/59 روایة مشابهة عن وزیر الرشید الفضل بن الربیع، وأنه طلب من الإمام علیه السلام أن یعلمه الصلاة والدعاء اللذین علمه إیاهما النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی منامه.

3- خلط الرواة بین أخبار حبسه علیه السلام فی المرة الأولی والثانیة

ینبغی التنبیه علی أن بعض الرواة خلطوا بین أحادیث سـجن الإمام علیه السـلام فی المرتین، وقـد تخللهما فرض الإقامـة الجبریـة علیه فی بغداد.

وعلامة المرة الأولی: أنها کانت فی أول خلافة هارون کما نص المسعودی، ولم یکن الفضل بن الربیع یومها وزیراً، بل فی المرة الأخیرة.

وعلامتها: أن هارونـاً ناظر الإمام علیه السـلام فیها فی وصف أبناء علی وفاطمة علیهما السـلام بأنهم أبناء النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم وذریته، فاستدل الإمام علیه السلام بآیات القرآن واقتنع هارون.

وبعد تسع سـنین جاء هارون فسـلم علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم، ثم سلم علیه الإمام علیه السلام وقال: السلام علیک یا أبت، فقال هارون: أشهد أنه أبوه حقاً، وهو یدل علی أن مناظرة الإمام علیه السلام معه فی الموضوع کانت قبل ذلک.

وعلامتها: أن الإمام الكاظم عليه السلام دعا لما جن عليه الليل بالخلاص من سجن هارون، فرأى هارون مناماً مرعباً وأطلقه، ولم يرد ذلک فی حبسه فی المرة الثانية.

وعلامتها: أنها لم يرد فيها اسم الفضل بن الربيع، وأمر هارون للإمام بثلاثين ألف درهم، ووافق على طلبه أن يرجع إلى المدينة ولم يرد ذلک فی المرة الثانية.

وعلامتها: أن مدة فرض الإقامة الجبرية عليه ومدة سجنه كانت أقل من الثانية، فقد قال هارون فی آخر مناقشته للإمام عليه السلام كما سيأتی: «أحسنت يا موسى إرفع إلينا حوائجک! فقلت له: إن أول حاجة لی أن تأذن لابن عمک أن يرجع إلى حرم جده وإلى عياله! فقال: ننظر إن شاء الله».

ومعنى «ننظر» أنه لم يأذن له وفرض عليه الإقامة الجبرية فی بغداد، وفرض عليه وأن يحضر مجلسه كل خميس، فمكث عليه السلام مدة على ذلک، ثم سجنه بقصد قتله، فدعا الله تعالى فرأى هارون المنام المرعب وأطلقه.

وعلامة الثانية: أنه مدتها كانت نحو أربع سنوات، منها نحو سنة فی البصرة وثلاث سنوات فی بغداد، وكان الإمام عليه السلام فی أكثرها فی الإقامة الجبرية، وكان ملزماً بالحضور فی مجلس هارون كل يوم خميس أيضاً!

قال فی الإرشاد:2/240، يصف هذه المرة: «فوجه الرشيد من تسلمه من عيسى بن جعفر، وصير به إلى بغداد، فسلم إلى الفضل بن الربيع، فبقی عنده مدة طويلة فأراده الرشيد على شیء من أمره فأبى، فكتب إليه بتسليمه إلى الفضل بن يحيى فتسلمه منه... فوسع عليه الفضل بن يحيى وأكرمه، فاتصل ذلک بالرشيد وهو بالرقة، فكتب إليه ينكر عليه توسعته على موسى ويأمره بقتله، فتوقف عن ذلک ولم يقدم عليه، فاغتاظ الرشيد لذلک ودعا مسروراً الخادم فقال له: أخرج على البريد فی هذا الوقت إلى بغداد.الخ.».

فقد كان فی المرتین إقامة جبریة وسجن، وكانت الثانیة أطول، وفی المرة الأولی أطلق سراحه علیه السلام وسمح له بالعودة إلی المدینة، وفی الثانیة سجنه فی آخرها وقتله وكان الفاصل بین المرتین تسع سنوات، ومدة الثانیة أربع سنوات.

وقد روی عن الإمام علیه السلام مجموعة أحادیث ومناظرات مع هارون، والقاضی أبی یوسف، والبرمكیین، وأحادیث مع هشام بن الحكم، وغیرهم، وكانت فی الفترتین اللتین أجبر فیهما الإمام علیه السلام علی الإقامة فی بغداد، لكن یصعب التمییز بین ما كان منها فی المرة الأولی والثانیة، خاصة وأن الرواة خلطوا بین أخبارهما.

وقد تعنت ابن تیمیة فأنكر أن یكون الإمام علیه السلام مرَّ من أمام بیت بشر الحافی وتاب علی یده، بحجة أنه علیه السلام كان فی بغداد محبوساً! وهذا دأب ابن تیمیة فی مسارعته لإنكار أی فضیلة لأهل البیت علیهم السلام. (راجع: شرح منهاج الكرامة:1/176).

4- الإمام الكاظم علیه السلام یصارح هارون!

نقلت الروایة التالیة (عیون أخبار الرضا علیه السلام:2/79، والاحتجاج:2/161) مناظرة هارون للإمام الكاظم علیه السلام عندما أحضره إلی بغداد قبل أن یسجنه، وقد تضمنت مصارحة الإمام علیه السلام له وقرعه إیاه بأقوی الحجج!

قال علیه السلام: «لما أدخلتُ علی هارون سلمت علیه فرد علیَّ السلام ثم قال: یا موسی بن جعفر خلیفتان یجئ إلیهما الخراج؟!

فقلت: یا أمیر المؤمنین أعیذك بالله أن تبوء بإثمی وإثمك، فتقبل الباطل من أعدائنا علینا، فقد علمت بأنه قد كذب علینا منذ قبض رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وعلم ذلك عندك! فإن رأیت بقرابتك من رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم

أن تأذن لی أحدثک بحدیث أخبرنی به أبی عن آبائه عن جدی رسول الله صـلی الله علیه وآله وسلم؟فقال: قد أذنت لک، فقلت: أخبرنی أی عن آبائه عن جدی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أنه قال: إن الرحم إذا مست تحرکت واضطربت، فناولنی یدک جعلنی الله فداک!

قال: أدن منی، فدنوت منه فأخذ بیدی ثم جذبنی إلی نفسه وعانقنی طویلاً، ثم ترکنی، وقال: أجلس یا موسی! فلیس علیک بأس، فنظرت إلیه فإذا به قد دمعت عیناه فرجعت إلی نفسـی، فقال: صدقت وصدق جدک صلی الله علیه وآله وسلم، لقد تحرک دمی واضطربت عروقی حتی غلبت علیَّ الرقـة وفاضت عیناى، وأنا أریـد أن أسألک عن أشـیاء تتلجلـج فی صـدری منذ حین، لـم أسأل عنها أحداً، فإن أنت أجبتنی عنها خلیت عنک ولـم أقبل قول أحد فیک، وقد بلغنی أنک لـم تکذب قط، فأصدقنی فیما أسألک ما فی قلبی!

فقلت: ما کان علمه عندی فإنی مخبرک به إن أنت أمنتنی! قال: لک الأمان إن صدقتنی وترکت التقیة التی تعرفون بها معاشر بنی فاطمة!

قلت لیسأل أمیر المؤمنین عما یشاء. قال: أخبرنی لـم فضلتم علینا ونحن وأنتم من شجرة واحدة، وبنو عبد المطلب ونحن وأنتم واحد، إنا بنو عباس وأنتم ولد أبی طالب، وهما عما رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وقرابتهما منه سواء؟

فقلت: نحن أقرب. قال: وکیف ذاک؟ قلت: لأن عبد الله وأبا طالب لأب وأم وأبوکم العباس لیس هو من أم عبد الله، ولا من أم أبی طالب.

قال: فلم ادعیتم أنکم ورثتم النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم والعم یحجب ابن العم وقبض رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وقد توفی أبو طالب قبله، والعباس عمه حی؟!

فقلت له: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفينى عن هـذه المسألـة، ويسـألنى عن كـل بـاب سواه يريـده! فقـال: لا، أو تجيب! فقلت: فآمنى. قال: آمنتـک قبل الكلام. فقلت: إن فى قول على بن أبى طالب عليه السـلام: أنه ليس مع ولـد الصـلب ذكراً كان أو أنثى لأحـد سـهم إلا الأبوين والزوج والزوجـة، ولم يثبت للعم مع ولد الصـلب ميراث، ولم ينطق به الكتاب العزيز والسـنة، إلا أن تيماً وعدياً وبنى أمية قالوا: العم والد، رأياً منهم بلا حقيقة، ولا أثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!

ومن قال بقول على عليه السـلام من العلماء قضاياهم خلاف قضايا هؤلاء، هـذا نوح بن دراج يقول فى هذه المسألة بقول على عليه السـلام وقـد حكم به، وقـد ولاـه أمير المؤمنين المصـرين الكوفـة والبصـرة وقضـى به! فأُمُرْ بإحضاره وإحضار من يقول بخلاف قوله منهم: سـفيان الثورى، وإبراهيم المازنى، والفضيل بن عياض!

فأحضـرهم فشـهدوا أنه قول على عليه السـلام فى هذه المسألة، فقال لهم فيما بلغنى بعض العلماء من أهل الحجاز:لم لا تفتون وقد قضـى نوح بن دراج؟ فقالوا: جَسُرَ وجَبُنَّا!

وقد أمضى أمير المؤمنين قضيته بقول قدماء العامة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: أقضاكم على. وكذلک عمر بن الخطاب قال: على أقضانا، وهو إسم جامع لأن جميع ما مدح به النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم أصـحابه من القرابة والفرائض والعلم داخل فى القضاء! قال: زدنى يا موسى! قلت: المجالس بالأمانات وخاصة مجلسک؟

فقال: لا بأس به.فقلت: إن النبى لم يورث من لم يهاجر ولا أثبت له ولاية حتى يهاجر! فقال: ما حجتک فيه؟ قلت: قول الله تبارک وتعالى:

((وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ)).

وإن عمى العباس لم يهاجرا!.

فقال لى: إنى أسألک يا موسى هل أفتيت بذلک أحداً من أعدائنا، أو أخبرت أحداً من الفقهاء فى هذه المسألة بشىء؟ فقلت: اللهم لا، وما سألنى عنها إلا أمير المؤمنين!

ثم قال لى: جوَّزتم للعامة والخاصة أن ينسبوكم إلى رسول الله ويقولوا لكم: يا بنى رسول الله، وأنتم بنو على، وإنما ينسب المرء إلى أبيه وفاطمة إنما هى وعاء والنبى جدكم من قبل أمكم؟!

فقلت: يا أمير المؤمنين لو أن النبى نشر فخطب إليک كريمتک هل كنت تجيبه؟ قال:سبحان الله ولم لا أجبه بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلک؟فقلت له: لكنه لا يخطب إلى ولا أزوجه! فقال: ولم؟ فقلت: لأنه ولدنى ولم يلدک!

فقال: أحسنت يا موسى! ثم قال: كيف قلتم إنا ذرية النبى والنبى لم يعقب، وإنما العقب الذكر لا الأنثى، وأنتم ولد الإبنة ولا يكون ولدها عقباً له!

فقلت: أسألک بحق القرابة والقبر ومن فيه، إلا أعفيتنى عن هذه المسألة!

فقال: لا أو تخبرنى بحجتكم فيه يا ولد على! وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم، كذا أنهى إلى، ولست أعفيک فى كل ما أسألک عنه، حتى تأتينى فيه بحجة من كتاب الله، وأنتم تدعون معشر ولد على أنه لا يسقط عنكم منه شىء ألف ولا واو إلا تأويله عندكم، واحتججتم بقوله عز وجل: مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شىء، واستغنيتم عن رأى العلماء وقياسهم!

فقلت: تأذن لى فى الجواب؟ قال: هات، فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم:

((وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِکَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ)).

مَن أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟ فقال:ليس لعيسى أب. فقلت: إنما ألحقناه بذرارى الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم عليها السلام، وكذلک ألحقنا بذرارى النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قبل أمنا فاطمة!

أزيدک يا أمير المؤمنين؟ قال: هات. قلت: قول الله عز وجل:

((فَمَنْ حَآجَّکَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءکَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءکُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءکُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَکُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْکَاذِبِينَ)).

ولم يدَّع أحد أنه أدخله النبى صلى الله عليه وآله وسلم تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلا على بن أبى طالب عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين.أبناؤنا الحسن والحسين، ونسائنا فاطمة، وأنفسنا على بن أبى طالب. على أن العلماء قد أجمعوا على أن جبرئيل قال يوم أحد: يا محمد إن هذه لهى المواساة من على قال: لأنه منى وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول الله، ثم قال: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على، فكان كما مدح الله عز وجل به خليله عليه السلام إذ يقول:قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ.إنا نفتخر بقول جبرئيل إنه منا.

فقال: أحسنت يا موسى إرفع إلينا حوائجک! فقلت له: إن أول حاجة لى أن تأذن لابن عمک أن يرجع إلى حرم جده وإلى عياله! فقال: ننظر إن شاء الله».

فهذه المناقشة كانت فى حبس الإمام أول مرة أوائل خلافة هارون، لأن هارون حج بعد تسع سنوات، وقال كما تقدم: أشهد أنه أبوه حقاً!

وفى تفسير العياشى:2/29، أن هارون سأله:«حين أدخل عليه ما هذه الدار؟ قال:هذه دار الفاسقين! قال وقرأ:

((سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً))!

فقال له هارون: فدار من هي؟ قال: هي لشيعتنا قرة ولغيرهم فتنة! قال: فما بال صاحب الدار لا يأخذها؟ قال: أخذت منه عامرة، ولا يأخذها إلا معمورة. فقال: أين شيعتك؟ فقرأ أبو الحسن:

((لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)).

قال له: فنحن كفار؟ قال: لا ولكن كما قال الله:

((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ))!

فغضب عند ذلک وغلظ عليه»! والاختصاص/262.

5- الإمام الكاظم عليه السلام ينسف أساس نظام العباسيين!

روى الخطيب في تاريخ بغداد:13/32: «حج هارون هارون، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم زائراً له، وحوله قريش وأفياء القبائل، ومعه موسى بن جعفر، فلما انتهى إلى القبر قال: السلام عليک يا رسول الله، يا ابن عمي، افتخاراً على من حوله! فدنا موسى بن جعفر فقال: السلام عليک يا أبت! فتغير وجه هارون وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً»(1).

1- وتهذيب الكمال:29 /49،وابن خلكان في وفيات الأعيان:5/308، وابن الأثير في الكامل: 6/163، والذهبي في سير أعلام النبلاء: 6/273.

وعلق عليه الذهبى فى تاريخه: 12/417: «ولعل هارون ما حبسه إلا لقولته تلک: السلام عليک يا أَبَهْ! فإن الخلفاء لا يحتملون مثل هذا»!

وقال ابن كثير فى النهاية:10 /197: «فقال هارون: هذا هو الفخر يا أبا الحسن! ثم لم يزل ذلک فى نفسه حتى استدعاه فى سنة تسع وسبعين وسجنه فأطال سجنه، فكتب إليه موسى رسالة يقول فيها: أما بعد يا أمير المؤمنين إنه لم ينقض عنى يوم من البلاء إلا انقضى عنک يوم من الرخاء، حتى يفضى بنا ذلک إلى يوم يخسر فيه المبطلون».

ورواه من مصادرنا الكافى:4/553: «عن على بن حسان، عن بعض أصحابنا قال: حضرت أبا الحسن الأول عليه السلام وهارون الخليفة وعيسى بن جعفر وجعفر بن يحيى بالمدينة، قد جاؤوا إلى قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: هارون لأبى الحسن عليه السلام: تقدم فأبى فتقدم هارون فسلم وقام ناحية، وقال عيسى بن جعفر لأبى الحسن: تقدم فأبى، فتقدم عيسى فسلم ووقف مع هارون، فقال: جعفر لأبى الحسن: تقدم فأبى، فتقدم جعفر فسلم ووقف مع هارون. وتقدم أبو الحسن عليه السلام فقال: السلام عليک يا أبه، أسأل الله الذى اصطفاک واجتباک وهداک وهدى بک، أن يصلى عليک.فقال هارون لعيسى: سمعت ما قال؟ قال: نعم، فقال هارون: أشهد أنه أبوه حقاً». وكامل الزيارات/55، وتهذيب الأحكام:6/6.

أقول: نلاحظ أن الإمام الكاظم عليه السلام احترم عيسى بن جعفر وكان والى البصرة كما احترم جعفر بن يحيى البرمكى رئيس وزراء هارون، وقدمهما على نفسه ليسلما على النبى صلى الله عليه وآله وسلم قبله.ثم تقدم وقال: السلام عليک يا أبهْ، يقول بذلک للعباسيين أنتم تدعون الحق بالخلافة لأنكم أبناء عم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بينما نحن أبناؤه!

أما قول هارون: «أشـهد أنه أبوه حقاً»! فلأنه كان ناقش الإمام عليه السـلام عندما حبسه فى أول خلافته وأثبت له أن أبناء فاطمة عليها السـلام أبناء النبى صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن!

6- حبس هارون للإمام الكاظم عليه السلام - المرة الثانية

اتفقت المصادر على أن هارون حـج فى سـنة179، واعتقل الإمام الكاظم عليه السـلام، وتقـدم قول الذهبى وابن كثير أن سـبب ذلک قول الإمام عليه السلام أمام هارون: السلام عليک يا رسول الله، السلام عليک يا أبت!

ولكن السـبب الحقيقى برأيى هو تأثير الإمام عليه السـلام العميق والواسع على جمهور المسلمين وشخصيات الدولة، ومنهم وزراء هارون وخاصـته، فكان هارون يرى فيه خطراً كبيراً من جهـة، وكان يعرف أنه ليس من مذهبه ولا مذهب أبيه الصادق عليهما السـلام الخروج عليه والعمل لتسلم الخلافة، لكنه يحتمل أن يغير رأيه!

وقد حرص الإمام عليه السلام فى حبسه الأول ولقاءاته فى بغداد على طمأنة هارون وبلاطه بأنه لا يعمل للثورة وإسقاط النظام العباسى!

بل كان ذلک معروفاً عن الإمام الكاظم وأبيه الصادق عليهما السـلام من زمن المنصور، ففى مهـج الـدعوات/217: «لما قتل الحسين بن على صاحب فخ، وهو الحسين بن على بن الحسن بن الحسن وتفرق الناس عنه، حمل رأسه والأسرى من أصحابه إلى موسى بن المهدى... ثم أمر برجل من الأسرى فوبخه ثم قتله... وجعل ينال منهم إلى أن ذكر موسى بن جعفر عليه السلام فنال منه ثم قال: والله ما خرج حسين إلاـ عن أمره ولاـ اتبع إلاـ محبته، لأـنه صاحب الوصـية فى أهل هـذا البيت، قتلنى الله إن أبقيت عليه! فقال له أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضى وكان جريئاً عليه: يا أمير المؤمنين أقول أم أسكت؟ فقال: قتلنى الله إن عفوت عن موسى بن جعفر،

ولولا ماسمعت من المهدی فیما أخبر به المنصور ما کان به جعفر من الفضل المبرز عن أهله فی دینه وعمله وفضله، وما بلغنی من السفاح فیه من تعریضه وتفضیله، لنبشت قبره وأحرقته بالنار إحراقاً!

فقال أبو یوسف: نساؤه طوالق، وعتق جمیع ما یملک من الرقیق، وتصدق بجمیع ما یملک من المال وحبس دوابه، وعلیه المشی إلی بیت الله الحرام، إن کان مذهب موسی بن جعفر الخروج، ولا یذهب إلیه ولا مذهب أحد من ولده ولا ینبغی أن یکون هذا منهم»!

لکن مع ذلک، قرر هارون حبس الإمام الکاظم علیه السلام وحاول قتله، لأنه کان یعیش عقدة من تأثیره العجیب علی شخصیات المجتمع، وخاصة کبار وزرائه!

قال الکلینی قدس سره فی الکافی:1/476: «وکان هارون حمله من المدینة لعشر لیال بقین من شوال سنة تسع وسبعین ومائة، وقد قدم هارون المدینة منصرفه من عمرة شهر رمضان، ثم شخص هارون إلی الحج وحمله معه، ثم انصرف علی طریق البصرة فحبسه عند عیسی بن جعفر ثم أشخصه إلی بغداد، فحبسه عند السندی بن شاهک فتوفی علیه السلام فی حبسه ودفن ببغداد فی مقبرة قریش». والاحتجاج:2/165.

وفی غیبة الطوسی/23: «وحج الرشید فی تلک السنة فبدأ بقبر النبی صلی الله علیه وآله وسلم فقال: یا رسول الله إنی أعتذر إلیک من شیء أرید أن أفعله، أرید أن أحبس موسی بن جعفر، فإنه یرید التشتیت بأمتک وسفک دمائها، ثم أمر به فأخذ من المسجد فأدخل إلیه فقیده »!

وفی عیون أخبار الرضا علیه السلام:2/82: «عن علی بن محمد بن سلیمان النوفلی قال: سمعت أبی یقول: لما قبض الرشید علی موسی جعفر علیه السلام قبض علیه وهو عند رأس النبی صلی الله علیه وآله وسلم قائماً یصلی فقطع علیه صلاته،

وحُمـل وهو يبكى ويقول: أشـكو إليـک يا رسول الله ما ألقى! وأقبل الناس من كل جانب يبكون ويصـيحون، فلما حمل إلى يـدى الرشـيد شتمه وجفاه، فلما جن عليه الليل أمر ببيتين فهُيِّآ له، فحُمل موسـى بن جعفر عليه السـلام إلى أحدهما فى خفاء ودفعه إلى حسان السروى، وأمره بأن يصـير به فى قبـة إلى البصـرة فيسـلم إلى عيسـى بن جعفر بن أبى جعفر وهو أميرها، ووجه قبـة أخرى علانيةً نهاراً إلى الكوفة معها جماعة ليُعَمِّى على الناس أمر موسـى بن جعفر عليه السـلام. فقدم حسان البصـرة قبل التروية بيوم فدفعه إلى عيسى بن جعفر بن أبى جعفر نهاراً علانية حتى عرف ذلک وشاع خبره، فحبسه عيسـى بيت من بيوت المجلس الذى كان يجلس فيه وأقفل عليه، وشغله العيد عنه فكان لا يفتـح عنه الباب إلا حالتين حالـة يخرج فيها إلى الطهور وحالة يدخل فيها الطعام. قال أبى: فقال لى الفيض بن أبى صالح وكان نصـرانياً ثم أظهر الإسلام وكان زنديقاً، وكان يكتب لعيسى بن جعفر وكان بى خاصاً، فقال: يا أبا عبد الله لقد سمع هذا الرجل الصالح فى أيامه هذه فى هذه الدار التى هو فيها، من ضروب الفواحش والمناكير ما أعلم ولا أشک أنه لم يخطر بباله!

قال أبى: وسعى بى فى تلک الأيام إلى عيسى بن جعفر بن أبى جعفر على بن يعقوب بن عون بن العباس بن ربيعة، فى رقعه دفعها إليه أحمد بن أسـيد حاجب عيسـى قال: وكان على بن يعقوب من مشايخ بنى هاشم وكان أكبرهم سناً، وكان مع كبر سنه يشرب الشراب ويدعو أحمد بن أسيد إلى منزله، فيحتفل له ويأتيه بالمغنين والمغنيات، يطمع فى أن يذكره لعيسى، فكان فى رقعته التى رفعها إليه: إنک تقدم علينا محمد بن سليمان فى إذنک وإكرامک وتخصه بالمسک وفينا من هو أسن منه، وهو يدين بطاعة موسى بن جعفر المحبوس عندک!

قال أبى: فإنى لقائل يوم قايظ إذ حُركت حلقه الباب علىَّ فقلت: ما هـذا؟ قال لى الغلام: قعنب بن يحيى على الباب يقول: لا بـد من لقائک الساعة! فقلت: ما جاء

إلا لأمر ائـذنوا له فـدخل فخبرنی عن الفیض بن أبی صالح بهذه القصة والرقعة، قال: وقد کان قال لی الفیض بعد ما أخبرنی: لا تخبر أبا عبد الله فتحزنه، فإن الرافع عند الأمیر لم یجد فیه مساغاً وقد قلت للأمیر: أفی نفسک من هذا شـیء حتی أخبر أبا عبد الله فیأتیک ویحلف علی کـذبه؟ فقال: لا تخبره فتغمه فإن ابن عمه إنما حمله علی هـذا الحسـد له! فقلت له: یا أیها الأمیر أنت تعلم أنک تخلو بأحد خلواتک به فهل حملک علی أحد قط؟ قال: معاذ الله! قلت: فلو کان له مذهب یخالف فیه الناس لأحب أن یحملک علیه. قال: أجل ومعرفتی به أکثر.

قـال أبی: فـدعوت بـدابتی ورکبت إلی الفیض ساعتی فصـرت إلیه ومعی قعنب فی الظهیرة، فاسـتأذنت فأرسل إلیَّ وقال: جعلت فـداک قد جلست مجلسـاً أرفع قـدرک عنه، وإذا هو جـالس علی شـرابه فأرسـلت إلیه: والله لاـ بـد من لقائک فخرج إلیَّ فی قمیص رقیق وإزار مورَّد فـأخبرته بمـا بلغنی، فقـال لقعنب: لاجزیت خیراً ألم أتقـدم إلیک لا تخبر أبا عبـد الله فتغمه؟ ثم قال لی: لا بأس فلیس فی قلب الأمیر من ذلک شـیء. قال: فما مضت ذلک إلا أیام یسیره حتی حمل موسی بن جعفر سراً إلی بغداد وحبس ثم أطلق، ثم حبس ثم سلم إلی السندی بن شاهـک فحبسه وضـیق علیه، ثم بعث الرشـید بسم فی رطب وأمره أن یقـدمه إلیه، ویحتم علیه فی تنـاوله منه، ففعل فمات صـلوات الله علیه»!

أقول: تـدل هذه الروایة علی خوف هارون من ردة فعل الشـیعة، واحتمال أن یحاولوا تخلیص الإمام علیه السـلام من یده، ولذلک موَّه مکانه وأخفی مقصد إرساله.

کما تدل الروایة علی فساد الجهاز الإداری العباسی، ومنه بلاط حاکم البصرة، وهو حفید المنصور الدوانیقی.

کما تدل علی أن بقاء الإمام علیه السـلام فی سـجن البصرة کان أیاماً، لکن ورد أنه بقی فیها سنة، ففی غیبة الطوسی/23: «فحبسه عنده سنة، ثم کتب إلی الرشید أن

خذه منى وسلمه إلى من شئت وإلا خليت سبيله، فقد اجتهدت بأن أجد عليه حجة فلم أقدر على ذلک حتى أنى لأتسمع عليه إذا دعا لعله يدعو على أو عليک فما أسمعه يدعو إلا لنفسه يسأل الرحمة والمغفرة. فوجه من تسلمه منه»!

ويحتمل أن يكون هارون قد حبسه فى البصرة أكثر من مرة، فقد كان مرتبكاً فى أمر الإمام عليه السلام لما رأى من آياته! فقد حبسه مرات وأطلقه وأبقاه فى بغداد، ثم قتله بالسم! وهذا يشبه ارتباک جده المنصور عندما كان يستدعى الإمام الصادق عليه السلام ويحاول قتله!

7- فرض عليه هارون الإقامة الجبرية فى بغداد

استمر سجن الإمام والإقامة الجبرية فى هذه المرة أربع سنوات، ففى الكافى: 1/381: «عن مسافر قال: أمر أبو إبراهيم عليه السلام حين أخرج به، أبا الحسن عليه السلام أن ينام على بابه فى كل ليلة أبداً ما كان حياً إلى أن يأتيه خبره!

قال: فكنا فى كل ليلة نفرش لأبى الحسن فى الدهليز، ثم يأتى بعد العشاء فينام، فإذا أصبح انصرف إلى منزله! قال: فمكث على هذه الحال أربع سنين، فلما كان ليلة من الليالى أبطأ عنا وفرش له فلم يأت كما كان يأتى، فاستوحش العيال وذعروا، ودخلنا أمر عظيم من إبطائه، فلما كان من الغد أتى الدار ودخل إلى العيال، وقصد إلى أم أحمد فقال لها: هات التى أودعک أبى، فصرخت ولطمت وجهها وشقت جيبها، وقالت: مات والله سيدى، فكفها وقال لها لا تكلمى بشىء ولا تظهريه حتى يجيئ الخبر إلى الوالى، فأخرجت إليه سفطاً وألفى دينار أو أربعة آلاف دينار، فدفعت ذلک أجمع إليه دون غيره، وقالت: إنه قال لى فيما بينى وبينه وكانت أثيرة عنده: إحتفظى بهذه الوديعة عندک، لا تطلعى عليها أحداً حتى أموت، فإذا مضيت فمن أتاک من ولدى فطلبها منک، فادفعيها إليه واعلمى أنى قد متُّ. وقد جاء نى والله علامة سيدى. فقبض

ذلک منها وأمرهم بالإمساک جمیعاً إلی أن ورد الخبر، وانصرف فلم یعد لشیء من المبیت کما کان یفعل، فما لبثنا إلا أیاماً یسیرة حتی جاءت الخریطة بنعیه، فعددنا الأیام وتفقدنا الوقت فإذا هو قد مات فی الوقت الذی فعل أبو الحسن علیه السلام ما فعل، من تخلفه عن المبیت وقبضه لما قبض!».

وروی الطبری فی دلائل الإمامة/372: «فمکث علی هذه الحال نحو أربع سنین، وأبو إبراهیم علیه السلام مقیم فی ید السلطان ذاهباً جائیاً فی حال رفاهة وإکرام، وکان الرشید یرجع إلیه فی المسائل فیجیبه عنها! ثم کان من البرامکة ما کان فی السعی علی دمه والإغراء به، حتی حبسه فی ید السندی بن شاهک، وأمره الرشید بقتله فی السم. فلما کان فی لیلة من اللیالی وقد فرشنا لأبی الحسن الرضا علی عادته، أبطأ عنا فلم یأت کما کان یأتی، فاستوحش العیال وذعروا وداخلنا من إبطائه أمر عظیم، فلما أصبحنا أتی الدار، ودخل قاصداً إلیها من غیر إذن، ثم أتی أم حمید فقال لها: هات الذی أودعک أبی وسماه لها فصرخت ولطمت وشقت ثیابها وقالت: مات والله سیدی! فکفها وقال لها: لا تکلمی بهذا ولا تظهریه حتی یجئ الخبر إلی والی المدینة...».

أقول: لاحظ قوله: «وأبو إبراهیم علیه السلام مقیم فی ید السلطان ذاهباً جائیاً فی حال رفاهة وإکرام، وکان الرشید یرجع إلیه فی المسائل فیجیبه عنها..الخ.»!

وقد فرض علیه أن یحضر مجلسه کل یوم خمیس: «قال: فأطلق عنه وسلمه إلی الحاجب لیسلمه الدار ویکون معه، فصار موسی بن جعفر علیه السلام کریماً شریفاً عند هارون، وکان یدخل علیه فی کل خمیس، إلی أن حبسه الثانیة، فلم یطلق عنه حتی سلمه إلی السندی شاهک، وقتله بالسم» (أمالی الصدوق/461، والعیون:2/88).

وکان الإمام الکاظم علیه السلام یقضی وقته فی بغداد فی عبادة ربه عز وجل، ویلتقی بهارون ووزرائه وغیرهم، ویلتقی ببعض خاصته علناً أو سراً.

ففی رجال الطوسی:2/790: «عن محمد بن سالم قال: لما حُمل سیدی موسی بن جعفر علیه السلام إلی هارون، جاء إلیه هشام بن إبراهیم العباسی فقال له: یا سیدی قد کتبت لی صک إلی الفضل بن یونس فسله أن یروج أمری. قال فرکب إلیه أبو الحسن علیه السلام فدخل إلیه حاجبه فقال: یا سیدی أبو الحسن موسی بالباب، فقال: إن کنت صادقاً فأنت حرٌّ ولک کذا وکذا! فخرج الفضل بن یونس حافیاً یعدو حتی خرج إلیه فوقع علی قدمیه یقبلهما، ثم سأله أن یدخل، فدخل فقال له: إقض حاجة هشام فقضاها، ثم قال: یا سیدی قد حضر الغذاء فتکرمنی أن تتغدی عندی، فقال هات فجاء بالمائدة وعلیها البوارد، فأجال أبو الحسن علیه السلام یده فی البارد وقال: البارد تجال الید فیه، فلما رفعوا البارد وجاءوا بالحار، فقال أبو الحسن علیه السلام: الحار حمی».

وفی المحاسن:2/451: «عن الفضل بن یونس الکاتب قال: أتانی أبو الحسن موسی بن جعفر علیه السلام فی حاجة للحسین بن یزید، فقلت: إن طعامنا قد حضر، فأحب أن تتغدی عندی، قال: نحن نأکل طعام الفجاء، ثم نزل فجئته بغداء ووضعت منديلاً علی فخذیه فأخذه فنحاه ناحیة، ثم أکل».

فهذه الروایات تدل علی أنه علیه السلام کان طلیقاً نسبیاً فی بغداد، فی المرتین.

8- سکن الإمام علیه السلام فی بغداد فی بیت متواضع

اختار الإمام علیه السلام أن یسکن فی بیت متواضع، ففی عیون أخبار الرضا علیه السلام:2/75، عن الفضل بن الربیع قال: «کنت أحجب الرشید فأقبل علیَّ یوماً غضباناً وبیده سیف یقلبه فقال لی: یا فضل بقرابتی من رسول الله لئن لم تأتنی بابن عمی الآن لآخذن الذی فیه عیناک! فقلت: بمن أجیؤک؟ فقال: بهذا الحجازی. فقلت: وأی الحجازی؟ قال: موسی جعفر بن محمد بن علی بن الحسین بن علی بن

أبی طالب. قال الفضل: فخفت من الله عز وجل أن أجئ به إليه ثم فكرت فی النقمة فقلت له: أفعل. فقال: آتينی بسوطين وهسارين وجلادين!

قال:فأتيته بذلک ومضيت إلی منزل أبی إبراهيم موسی بن جعفرفأتيت إلی خربة فيها كوخ من جرايد النخل، فإذا أنا بغلام أسود فقلت له: إستأذن لی علی مولاک يرحمک الله، فقال لی: لُجْ فليس له حاجب ولا بواب، فولجت إليه فإذا أنا بغلام أسود بيده مقص يأخذ اللحم من جبينه وعرنين أنفه من كثرة سجوده! فقلت: له السلام عليک يا بن رسول الله، أجب الرشيد!

فقال: ما للرشيد وما لی، أما تشغله نعمته عنی؟ ثم وثب مسرعاً وهو يقول: لولا أنی سمعت فی خبر عن جدی رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم أن طاعة السلطان للتقية واجبة إذاً ما جئت! فقلت له:إستعد للعقوبة يا أبا إبراهيم رحمک الله! فقال عليه السلام: أليس معی من يملک الدنيا والآخرة؟! ولن يقدر اليوم علی سوء بی إن شاء الله تعالی! قال فضل بن الربيع: فرأيته وقد أدار يده عليه السلام يلوح بها علی رأسه ثلاث مرات، فدخلت علی الرشيد فإذا هو كأنه امرأة ثكلی قائم حيران! فلما رآنی قال لی: يا فضل، فقلت: لبيک. فقال جئتنی بابن عمی؟قلت: نعم. قال: لا تكون أزعجته. فقلت: لا، قال: لا تكون أعلمته أنی عليه غضبان فإنی قد هيجت علی نفسی ما لم أرده! إئذن له بالدخول فأذنت له فلما رآه وثب إليه قائماً وعانقه وقال له: مرحباً بابن عمی وأخی ووارث نعمتی، ثم أجلسه علی فخذيه فقال له: ما الذی قطعک عن زيارتنا؟ فقال سعة مملكتک وحبک للدنيا فقال: إيتونی بحُقّة الغالية، فأتیَ بها، فغلفه بيده ثم أمر أن يحمل بين يديه خلع وبدرتان دنانير، فقال موسی بن جعفر: والله لولا أنی أری من أزوجه بها من عزاب بنی أبی طالب لئلا ينقطع نسله أبداً ما قبلتها.ثم تولی عليه وهو يقول: الحمد لله رب العالمين. فقال الفضل: يا أمير المؤمنين أردت أن تعاقبه فخلعت عليه وأكرمته! فقال لی: يا فضل إنک لما مضيت لتجيئنی رأيت

أقواماً قـد أحـدقوا بـداری بأيـديهم حراب قـد غرسوها فی أصل الدار يقولون: إن آذی ابن رسول الله خسـفنا به! وان أحسن إليه انصـرفنا عنه وتركناه! فتبعته عليه السـلام فقلت له: ما الـذی قلت حتی كفيت أمر الرشـيد؟ فقال دعاء جدی علی بن أبی طالب، كان إذا دعا به ما برز إلی عسـكر إلاـ هزمه ولا إلی فارس إلا قهره، وهو دعاء كفايـة البلاء. قلت: وما هو؟ قال قلت: بک أساور وبک أحاول وبک أجاور، وبک أصول وبک أنتصـر وبک أموت وبک أحيا، أسـلمت نفسی إليک وفوضت أمری إليک، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلی العظيم. اللهم إنک خلقتنی ورزقتنی وسترتنی عن العباد بلطف ما خولتنی وأغنيتنی، وإذا هويت رددتنی، وإذا عثرت قومتنی وإذا مرضت شـفيتنی، وإذا دعوت أجبتنی. يا سيدی إرض عنی فقد أرضيتنی».

9- محاولات هارون الإستخفاف بالإمام عليه السلام وإهانته

«قـال علی بن يقطين قال: اسـتدعی الرشـيد رجلاً يبطل به أمر أبی الحسن عليه السـلام ويخجله فی المجلس، فانتـدب له رجل مُعَزِّم، فلما أحضـرت المائدة عمل ناموساً (سحراً) علی الخبز، فكان كلما رام خادم أبی الحسن تناول رغيف من الخبز طار من بين يديه! واستفز هارون الفرح والضـحک لذلک، فلم يلبث أبو الحسن أن رفع رأسه إلی أسد مصور علی بعض السـتور فقال له: يا أسد الله خذ عدو الله! قال فوثبت تلک الصورة كأعظم ما يكون من السـباع فافترس ذلک المعزم! فخرَّ هارون وندماؤه علی وجوههم مغشياً عليهم، وطارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوه! فلما أفاقوا من ذلک بعـد حين، قال هارون لأبی الحسن: أسألک بحقی عليک لما سألت الصورة أن ترد الرجل. فقال: إن كانت عصـا موسـی ردت ما ابتلعته من حبال القوم وعصـيهم فإن هـذه الصورة تردُّ ما ابتلعته من هـذا الرجل. فكان ذلک أعمل الأشـياء فی إفاقة نفسه»! (مناقب آل أبی طالب:3/417).

أقول: فی العبارة الأخیرة خلل، وروتها بعض المصادر بلفظ: أعمل الأشیاء فی إماتة نفسه (الحدائق:18/180)، أی أن هذه المعجزة کانت السبب فی قرار هارون بقتل الإمام علیه السلام. وکلا المعنیین غیر مقنع!

قال المحقق البحرانی رحمه الله فی الحدائق الناضرة:18/180: «ونحو ذلک روی فی کتاب الخرائج والجرایح عن الإمام الهادی علیه السلام مع المتوکل. وفی کتاب الثاقب فی المناقب عن الصادق علیه السلام مع المنصور.

ثم قال رحمه الله فی هامشه: وملخص الأول: أنه وقع رجل مشعبذ من ناحیة الهند إلی المتوکل فأمره أن یخجل الإمام الهادی علیه السلام وأحضر علی المائدة خبزاً رقاقاً فکان کلما مد الإمام یده إلی قرص من ذلک الخبز طیرها ذلک المشعبذ، فتضاحک الناس، وکان علی مستورة صورة أسد، فضرب الإمام علیه السلام یده علی تلک الصورة وقال: خذه. فوثبت تلک الصورة من المستورة فابتلعت الرجل، وعادت فی المستورة کما کانت، فتحیر الجمیع ونهض الإمام!فقال المتوکل: سألتک بالله إلا جلست ورددته فقال: والله لا یری بعدها، أتسلط أعداء الله علی أولیاء الله، وخرج من عندهم فلم یر الرجل بعدها. (مدینة المعاجز/ 548 حدیث 52).

وملخص الخبر الثانی: أن المنصور وجه إلی سبعین رجلاً من أهل بابل، فدعاهم وقال: إنکم ورثتم السحر من آبائکم من أیام موسی بن عمران، وإنکم لتفرقون بین المرء وزوجه، وأن أبا عبد الله جعفر بن محمد کاهن ساحر مثلکم، فاعملوا شیئاً من السحر فإنکم إن أبهتموه أعطیتکم الجائزة العظیمة! فقاموا إلی المجلس الذی فیه المنصور فصوروا سبعین صورة من السباع، وجلس کل واحد منهم جنب صاحبه، وجلس المنصور علی سریر ملکه ووضع التاج علی رأسه وقال لحاجبه إبعث إلی أبی عبد الله وأحضره الساعة، قال: فلما أحضره دخل علیه، فلما نظر إلی ما قد استعد له غضب

عليه السلام فقال: يا ويلكم أتعرفونى، أنا حجة الله الذى أبطل سحر آبائكم فى أيام موسى بن عمران، ثم نادى برفيع صوته: أيتها الصور الممثلة، ليأخذ كل واحد منكم صاحبه بإذن الله تعالى، فوثب كل سبع إلى صاحبه وافترسه وابتلعه فى مكانه، ووقع المنصور مغشياً عليه من سريره! فلما أفاق قال: الله الله يا أبا عبد الله، أقلنى، فإنى تبت توبة لا أعود إلى مثلها أبداً! فقال عليه السلام: قد عفوتک. ثم قال: يا سيدى قل السباع أن تردهم إلى ما كانوا، فقال: هيهات هيهات، إن أعادت عصى موسى سحرة فرعون فستعيد هذه السباع هذه السحرة. (مدينة المعاجز/362 حديث: 23). انتهى.

«وفى رواية أن الرشيد أمر حميد بن مهران الحاجب بالإستخفاف به عليه السلام فقال له إن القوم قد افتتنوا بک بلا حجة، فأريد أن يأكلنى هذان الأسدان المصوران على هذا المسند! فأشار عليه السلام إليهما وقال: خذا عدو الله، فأخذاه وأكلاه! ثم قالا: وما الأمر، أنأخذ الرشيد؟ قال: لا، عودا إلى مكانكما»! (مناقب آل أبى طالب:3/417).

الفصل العاشر: تصورات هارون لخطر الإمام الكاظم عليه السلام

اشارة

1- الخطر الأكبر برأى هارون على ملكه!

كان هارون يحكم أكبر دولة وأقوى دولة فى عصـره، فقد شملت الدولة الإسلامية يومها بلاد المشرق، من حدود الصين وروسيا إلى العراق والجزيرة واليمن وإفريقيا، والى سوريا وفلسطين ومصر وبلاد المغرب.

ولم تخرج عنها إلا تركيا التى كانت دولة روما الشرقية، وعاصمتها القسطنطينية التى سميت بعد ذلك إستانبول.

وكانت الدول المعاصـرة لها: مملكة الروم الشـرقية، وممالك الروم الغربية، ومملكة الهند، والصين، وروسيا، وممالك متفرقة فى مناطق من العالم، ولكن أياً منها لم تكن بقوة الدولة الإسلامية، ولا بتنوعها وسعتها.

ولم يزر هارون عواصم مناطق مملكته، بل اقتصـر على بغداد والبصرة فى العراق والرقة فى سوريا، ومكة والمدينة فى الحجاز، والرى وطوس فى إيران.

وكان يقول كما روى عنه عمر بن عباد المهلبى: «الدنيا أربعة منازل، قد نزلت ثلاثة منها: أحدها الرقة والآخر دمشق والآخر الرى فى وسـطه نهر وعن جنبتيه أشـجار ملتفة متصـلة وفيما بينها سوق. قال: والمنزل الرابع سمرقند، وهو الذى بقى علىَّ لم أنزله، وأرجو أن لا يحول الحول فى هذا الوقت حتى أحلَّ به. فما كان بين هذا وبين أن توفى إلا أربعة أشهر فقط. (تاريخ دمشق: 2/391).

ومع أن أدوات الدنيا وزخارفها كانت بيد هارون، لكن مشكلاته كانت كثيرة

فكان كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «صاحب السلطان كراكب الأسد، يُغبط بموقعه، وهو أعلم بموضعه».(نهج البلاغة:4/63)!

وتبدأ مشكلات هارون من قصره وزوجاته وأولاده، إلى وزرائه، إلى عماله ولاة البلاد، إلى الثائرين عليه فى عدة مناطق، وكان بعضهم أخطر عليه من الروم الذين ضعفت دولتهم وانحصرت رقعتها فى قسم من تركيا، وكانوا يحتاجون فى بقائهم إلى مساعدة روم أوروبا.

لكن أكبر خطر برأى هارون عليه، هو أبناء على عليه السلام الذين يعترف لخاصته بأن منهم الأئمة الربانيين، الذين هم أحق من بنى العباس بمنصب الخلافة!

قال ابنه المأمون، يصف رأى أبيه فى الإمام الكاظم عليه السلام: «وكنت أجرأ ولد أبى عليه فلما خلا المجلس قلت: يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذى قد أعظمته وأجللته وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته، وأقعدته فى صدر المجلس وجلست دونه، ثم أمرتنا بأخذ الركاب له؟! قال: هذا إمام الناس وحجة الله على خلقه وخليفته على عباده! فقلت: يا أمير المؤمنين أوليست هذه الصفات كلها لک وفيک؟ فقال: أنا إمام الجماعة فى الظاهر والغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق! والله يا بنى إنه لأحق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منى ومن الخلق جميعاً! ووالله لو نازعتنى هذا الأمر لأخذت الذى فيه عيناک، فإن الملک عقيم»! (عيون أخبار الرضا عليه السلام:1/84).

2- هارون يعتقد أن التعايش مع الإمام عليه السلام غير ممكن!

يتساءل الإنسان: ما دام الإمام الكاظم عليه السلام يزور هارون ويحترمه ويخاطبه بأمير المؤمنين، ولا يريد الخروج عليه، فماذا يريد هارون منه، ولماذا لا يتعايش معه، ولماذا يعمل على قتله؟!

وهذا سؤالٌ لكل الخلفاء العباسيين والأمويين الذين يعتقدون بالأئمة عليهم السلام، كما يعتقد هارون بالإمام الكاظم عليه السلام؟!

وكان جوابهم أنه يستحيل التعايش مع الإمام المعصوم عليهم السلام لسببين: قوة تأثيره على المسلمين، والخوف من أن يتغير رأيه بعدم الثورة عليهم فى المستقبل!

فقد قال هارون لابنه المأمون: «أسكت لا أم لك! فإنى لو أعطيت هذا ما ضمنته له ما كنت أمنته أن يضرب وجهى غداً بمائه ألف سيف من شيعته وموالیه! فقرُ هذا وأهل بيته أسلم لى ولكم من بسط أيديهم وأعينهم». (الإحتجاج:2/165).

ولما رأى معجزات الإمام عليه السلام قال لوزيره البرمكى:«أما ترى ما نحن فيه من هذه العجائب! ألا تدبر فى أمر هذا الرجل تدبيراً يريحنا من غمه»! (الغيبة للطوسى/24).

ولما سمع قوة حجة هشام بن الحكم، تلميذ الإمام الكاظم عليه السلام، قال:«مثل هذا حيٌّ ويبقى لى ملكى ساعة واحدة؟! فوالله للسان هذا أبلغ فى قلوب الناس من مائة ألف سيف»! (كمال الدين/362).

هكذا كان يفكر هارون وقبله خلفاء بنى العباس وأمية، ولا يجب أن يكون تفكيرهم صحيحاً، لكنه هو الذى حكم مجرى التاريخ!

3- هارون يحضر مناظرات تلميذ الإمام الكاظم عليه السلام!

كان هشام بن الحكم رحمه الله من تلاميذ الإمام الصادق ثم الإمام الكاظم عليهما السلام ، ونبغ فى المناظرة واشتهر فى بغداد، وكان علماء الأديان والمذاهب يحترمونه ويهابونه.

وقد حرص يحيى البرمكى رئيس وزراء هارون، على عقد مجالس مناظرة فى قصر الخلافة وأظهر أنه يتبنى هشام بن الحكم، وكان يدعو علماء اليهود والنصارى والمجوس

والدهريين الملحدين وأئمة المذاهب لمناظرته، وطلب منه هارون أن يكون خلف الستار فيسمع مناظرتهم!وكان هدفه أن يسمع من هشام عقيدته بإمامة الكاظم عليه السلام!

روى الطوسى فى رجاله:2/530: «عن يونس بن عبد الرحمن قال: كان يحيى بن خالد البرمكى قد وجد على هشام بن الحكم شيئاً من طعنه على الفلاسفة، وأحب أن يغرى به هارون ويُضريه على القتل! قال: وكان هارون لما بلغه عن هشام مال إليه وذلک أن هشاماً تكلم يوماً بكلام عند يحيى بن خالد فى إرث النبى صلى الله عليه وآله وسلم فنقل إلى هارون فأعجبه، وقد كان قبل ذلک يحيى يشرف أمره عند هارون ويرده عن أشياء كان يعزم عليها من أذاه، فكان ميل هارون إلى هشام أحد ما غير قلب يحيى على هشام فشيعه عنده، وقال له: يا أمير المؤمنين إنى قد استبطنت أمر هشام فإذا هو يزعم أن لله فى أرضه إماماً غيرک مفروض الطاعة، قال: سبحان الله! قال: نعم، ويزعم أنه لو أمره بالخروج لخرج، وإنما كنا نرى أنه ممن يرى الإلباد بالأرض! فقال هارون ليحيى: فاجمع عندک المتكلمين وأكون أنا من وراء الستر بينى وبينهم لا يفطنون بى،ولا يمتنع كل واحد منهم أن يأتى بأصله لهيبتى.

قال: فوجه يحيى فشحن المجلس من المتكلمين، وكان فيهم ضرار بن عمرو، وسليمان بن جرير، وعبد الله بن يزيد الأباضى، وموبذان موبذ، ورأس الجالوت، قال فتساءلوا وتكافوا وتناظروا، وتناهوا إلى شاذ من مشاذ الكلام كل يقول لصاحبه لم تجب ويقول قد أجبت، وكان ذلک من يحيى حيلة على هشام إذ لم يعلم بذلک المجلس، واغتنم ذلک لعلة كان أصابها هشام بن الحكم، فلما أن تناهوا إلى هذا الموضع قال لهم يحيى بن خالد: ترضون فيما بينكم هشاماً حكماً؟ قالوا: قد رضينا أيها الوزير فأنى لنا به وهو عليل؟ قال يحيى: فأنا أوجه إليه فأسأله أن يتجشم المجئ، فوجه إليه فأخبره بحضورهم وأنه إنما منعه أن يحضره أول المجلس اتقاء عليه من العلة، فإن القوم قد اختلفوا فى المسائل والأجوبة، وتراضوا بک حكماً بينهم، فإن رأيت أن تتفضل وتحمل

على نفسک فافعل!فلما صار الرسول إلى هشام قال لى: يا يونس قلبى ينكر هـذا القول، ولست آمن أن يكون هاهنا أمر لا أقف عليه، لأن هذا الملعون يحيى بن خالـد قد تغير علىَّ لأمور شتى، وقد كنت عزمت إن من الله علىَّ بالخروج من هذه العلة، أن أشـخص إلى الكوفة وأحرِّم الكلام بتـةً وألزم المسـجد، ليقطع عنى مشاهـدة هـذا الملعون، يعنى يحيى بن خالد! قال فقلت: جعلت فداک لا يكون إلا خيراً، فتحرز ما أمكنـک، فقـال لى: يا يونس أترى أتحرز من أمر يريـد الله إظهاره على لسانى أن يكون ذلک، ولكن قم بنا على حول الله وقوته، فركب هشام بغلاً كان مع رسوله، وركبت أنا حماراً كان لهشام، قال: فدخلنا المجلس فإذا هو مشحون بالمتكلمين.

قال: فمضـى هشام نحو يحيى فسـلم عليه وسـلم على القوم وجلس قريباً منه، وجلست أنا حيث انتهى بى المجلس، قال: فأقبل يحيى على هشام بعـد ساعة فقال: إن القوم حضـروا وكنا مع حضورهم نحب أن تحضـر، لا لأن تناظر بل لأن نأنس بحضورک إذ كانت العلة تقطعک عن المناظرة، وأنت بحمد الله صالح ليست علتک بقاطعة عن المناظرة، وهؤلاء القوم قد تراضوا بک حكماً بينهم. قال: فقال هشام للقوم: ما الموضـع الـذى تنـاهيتم به فى المنـاظرة؟ فـأخبره كـل فريق منهم بموضع مقطعه، فكـان من ذلـک أن حكم لبعض على بعض، فكـان من المحكومين عليه سـليمان بن جرير فحقـدها على هشام! قال: ثم إن يحيى بن خالـد قال لهشام: إنا قـد غرضـنا من المناظرة والمجادلـة منذ اليوم، ولكن إن رأيت أن تبين عن فساد اختيار الناس لإمام ، وأن الإمامة فى آل الرسول دون غيرهم؟

قـال هشـام: أيها الوزير العلـة تقطعنى عن ذلک، ولعل معترضاً يعترض فيكتسب المناظر الخصومـة! فقال: إن اعترض معترض قبل أن تبلغ مرادک وغرضک فليس ذلک له، بل عليه أن يتحفظ المواضع التى له فيها مطعن فيقفها إلى فراغک، ولا يقطع عليک كلامک.

فبـدأ هشام وساق الـذكر لذلک وأطال واختصـرنا منه موضع الحاجة، فلما فرغ مما قد ابتدأ فيه من الكلام فی فساد اختيار الناس للإمام، قال يحيى لسليمان بن جرير: سل أبا محمد عن شیء من هذا الباب، فقال سليمان لهشام: أخبرنی عن علی بن أبی طالب مفروض الطاعة؟ فقال هشام: نعم، قال: فإن أمرک الذی بعده بالخروج بالسيف معه تفعل وتطيعه؟ فقال هشام: لا يأمرنی. قال: ولم إذا كانت طاعته مفروضه عليک وعليک أن تطيعه؟ قال هشام: عد عن هذا فقد تبين فيه الجواب. قال سليمان: فلم يأمرک فی حال تطيعه وفی حال لا تطيعه؟

فقـال هشـام:ويحـک لم أقل لک أنی لا أطيعه فتقول إن طاعته مفروضـة، إنما قلت لک لا يأمرنی! قال سـليمان: ليس أسألک إلا علی سبيل سلطـان الجـدل، ليس علی الواجب أنه لاـ يأمرک.فقال هشام: كم تحول حول الحمی، هل هو إلا أن أقول لک إن أمرنی فعلت فتنقطع أقبح الإنقطاع، ولا يكون عندک زيادة، وأنا أعلم بما تحت قولی وما إليه يؤول جوابی! قال: فتمعر هارون، وقال: قد أفصح!

وقام الناس، واغتنمها هشام فخرج علی وجهه إلی المدائن! قال: فبلغنا أن هارون قال ليحيى: شُدَّ يدک بهذا وأصحابه!

وبعث إلی أبی الحسن موسـی عليه السـلام فحبسه، فكان هذا سـبب حبسه مع غيره من الأسـباب، وإنما أراد يحيى أن يهرب هشام فيموت مختفياً ما دام لهارون سلطان!

قـال: ثم صار هشام إلی الكوفـة وهو بعقب علته ومات فی دار ابن شـرف بالكوفـة رحمه الله ! قال: فبلغ هـذا المجلس محمـد بن سـليمان النوفلی وابن ميثم، وهما فی حبس هارون، فقال النوفلی: ترى هشاماً ما استطاع أن يعتل...الخ.».

ورواه الصدوق رحمه الله فی كمال الدين/362، بتفصيل، وذكر فيه لزوم اختيار الإمام من النبی بأمر الله تعالی، وذكر صفات الإمام، وجاء فيه: «فعند ذلک قال

ضرار: فمن هذا بهذه الصفة فی هذا الوقت؟ فقال: صاحب القصر أمیر المؤمنین! وکان هارون الرشید قد سمع الکلام کله فقال عند ذلک: أعطانا والله من جراب النورة!(أی اتَّقَانَا وتکلم بدون مستند) ویحک یا جعفر، وکان جعفر بن یحیی جالساً معه فی الستر: من یعنی بهذا؟ فقال: یا أمیر المؤمنین یعنی به موسی بن جعفر! قال: ما عنی بها غیر أهلها! ثم عض علی شفتیه وقال: مثل هذا حیٌّ ویبقی لی ملکی ساعة واحدة؟! فوالله للسان هذا أبلغ فی قلوب الناس من مائة ألف سیف!

وعلم یحیی أن هشاماً قد أُتیَ (أی قرر هارون قتله) فدخل الستر فقال: یا عباسی ویحک من هذا الرجل؟فقال: یا أمیر المؤمنین حسبک، تکفی تکفی! (أی أنا أقتله).

ثم خرج إلی هشام فغمزه، فعلم هشام أنه قد أتیَ، فقام یریهم أنه یبول أو یقضی حاجة، فلبس نعلیه وانسل، ومرَّ ببیته وأمرهم بالتواری، وهرب ومرَّ من فوره نحو الکوفة، فوافی الکوفة ونزل علی بشیر النبال، وکان من حملة الحدیث من أصحاب أبی عبد الله علیه السلام فأخبره الخبر، ثم اعتل علة شدیدة فقال له بشیر: آتیک بطبیب؟ قال: لا أنا میت فلما حضره الموت قال لبشیر: إذا فرغت من جهازی فاحملنی فی جوف اللیل وضعنی بالکناسة واکتب رقعة وقل: هذا هشام بن الحکم الذی یطلبه أمیر المؤمنین، مات حتف أنفه! وکان هارون قد بعث إلی إخوانه وأصحابه فأخذ الخلق به، فلما أصبح أهل الکوفة رأوه، وحضر القاضی وصاحب المعونة والعامل والمعدلون بالکوفة، وکتب إلی الرشید بذلک فقال: الحمد لله الذی کفانا أمره فخلی عمن کان أُخذ به»!

ملاحظات:

1- بلغ من اهتمام هارون بعقیدة الإمامة، أنه أمر وزیره بعقد مجالس مناظرة فی قصره، وغرضه أن یسمع کلمة یستحل بها دم هشام ودم الإمام الکاظم علیه السلام!

2- يرى هارون أن مجرد اعتقاد أحد بوجود إمام غيره فرض الله طاعته، يحلل له دم القائل به، حتى لو يقم بأى عمل ضده!

لـذا حركه وزيره البرمكى ضـد هشام بقوله: «يا أمير المؤمنين إنى قد اسـتبطنت أمر هشام فإذا هو يزعـم أن لله فى أرضه إماماً غيرک مفروض الطاعة، قال: سبحان الله! قال: نعم، ويزعـم أنه لو أمره بالخروج لخرج»!

ولو كان هارون عقلانياً لقال لوزيره: فليزعم هشام أن موسى بن جعفر إمام من الله، فلا شغل لنا به مادام لـم يخرج علينا!

3- حاول بعض الرواة أن يبرئ يحيى البرمكى من التحريض على هشام رحمه الله أو على الإمام الكاظم عليه السلام، لكن الصحيح أنه قام بـذلک للإيقاع بالإمام وشـيعته، خاصـة بوزيره جعفر بن الأشـعث، الـذى جعل هارون ولده وولى عهده الأمين فى حجره، وقد نصت على ذلک مصادرنا.

4- ممـا يـدل على التـأثير القوى لمنـاظرات هشام، وحساسـية الخلافـة منها، أن الإمام الكاظم عليه السـلام أمر هشام بن الحكم فى زمن المهـدى والـد هـارون، بأن يمتنع عن المناظرة لخطورة الظرف! «عن يونس قال: قلت لهشام: إنهم يزعمون أن أبا الحسن عليه السـلام بعث إليک عبد الرحمن بن الحجاج يأمرک أن تسـكت ولا تتكلم، فأبيت أن تقبل رسالته فأخبرنى كيف كان سـبب هذا، وهل أرسل إليک ينهاک عن الكلام أو لا، وهل تكلمت بعـد نهيه إياک؟ فقال هشام: إنه لما كان أيام المهـدى شـدد على أصـحاب الأهواء، وكتب له ابن المفضـل صنوف الفرق صـنفاً صنفاً، ثم قرأ الكتاب على الناس فقال يونس: قد سمعت الكتاب يقرأ على الناس على باب الذهب بالمدينة، ومرة أخرى بمدينة الوضاح فقال: إن ابن المفضل صنف لهم صنوف الفرق فرقة فرقة حتى قال فى كتابه: وفرقة يقال لهم الزرارية، وفرقة يقال لهم العمارية أصحاب عمار

الساباطی، وفرقة یقال لهم الیعفوریة، ومنهم فرقة أصحاب سلیمان الأقطع، وفرقة یقال له الجوالیقیة.

قال یونس: ولم یذکر یومئذ هشام بن الحکم ولا أصحابه، فزعم هشام لیونس أن أبا الحسن علیه السلام بعث إلیه فقال له: کفَّ هذه الأیام عن الکلام، فإن الأمر شدید! قال هشام: فکففت عن الکلام حتی مات المهدی وسکن الأمر، فهذا الأمر الذی کان من أمره وانتهائی إلی قوله».(معجم السید الخوئی:20/305).

5- اشتهر حدیث الإمام الکاظم علیه السلام مع هشام حول مکانة العقل وقیمة الشخصیة العقلانیة. کما رویت لهشام مناظرات کثیرة مهمة، ومن نماذجها:

«دخل ضرار بن عمرو الضبی علی یحیی بن خالد البرمکی فقال له: یا أبا عمرو هل لک فی مناظرة رجل هو رکن الشیعة؟ فقال ضرار: هلم من شئت، فبعث إلی هشام بن الحکم فأحضره فقال له: یا أبا محمد هذا ضرار وهو من قد علمت فی الکلام والخلاف لک، فکلمه فی الإمامة، فقال له: نعم، ثم أقبل علی ضرار، فقال: یا أبا عمرو خبرنی علی ما تجب الولایة والبراءة أعلی الظاهر أم علی الباطن؟ فقال ضرار: بل علی الظاهر فإن الباطن لا یدرک إلا بالوحی.

قال هشام: صدقت، فأخبرنی الآن أی الرجلین کان أذب عن وجه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بالسیف وأقتل لأعداء الله بین یدیه، وأکثر آثاراً فی الجهاد، أعلی بن أبی طالب أو أبو بکر؟ فقال: بل علی بن أبی طالب، ولکن أبا بکر کان أشد یقیناً!

فقال هشام: هذا هو الباطن الذی قد ترکنا الکلام فیه، وقد اعترفت لعلی علیه السلام بظاهر عمله من الولایة وأنه یستحق بها من الولایة ما لم یجب لأبی بکر!

فقال ضرار: هذا هو الظاهر نعم. ثم قال له هشام: أفلیس إذا کان الباطن مع

الظاهر فهو الفضل الـذى لا يدفع؟فقال له ضـرار: بلى، فقال له هشام: ألست تعلم أن رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم قال لعلى: أنت منى بمنزلة هارون من موسـى إلا أنه لا نبى بعدى؟ قال ضرار: نعم. قال هشام: أفيجوز أن يقول له هذا القول إلا وهو عنده فى الباطن مؤمن؟ قـال: لاـ قـال هشـام: فقـد صـح لعلى عليه السـلام ظـاهره وبـاطنه ولـم يصـح لصاحبـک لاـ ظـاهر ولاـ بـاطن، والحمـد لله». (الفصول المختارة/28).

6- يقصد بكلام هشام فى العباس الذى أعجب هارون، ما رواه الشريف المرتضى فى الفصول المختارة/49، قال: «أخبرنى الشيخ أدام الله عزه قال: سأل يحيى بن خالـد البرمكى بحضـرة هارون هشام بن الحكم رحمه الله فقال له: أخبرنى يا هشام عن الحق هل يكون فى جهتين مختلفتين؟ قال هشام: لا، قال فخبرنى عن نفسـين اختصما فى حكم فى الدين وتنازعا واختلفا، هل يخلوان من أن يكونا محقين أو مبطلين، أو يكون أحـدهما مبطلاً والآخر محقاً؟ فقال له هشام: لا يخلوان من ذلک وليس يجوز أن يكونا محقين على ما قـدمت من الجواب. قال له يحيى بن خالـد: فخبرنى عن على والعبـاس لما اختصـما إلى أبى بكر فى الميراث أيهما كان المحق من المبطل، إذ كنت لا تقول إنهما كانا محقين ولا مبطلين؟

قـال هشام:فنظرت فإذا إننى إن قلت بأن علياً عليه السـلام كان مبطلاً كفرت وخرجت عن مـذهبى، وإن قلت إن العباس كان مبطلاً ضـرب الرشـيد عنقى! ووردت على مسألة لم أكن سـئلت عنها قبل ذلک الوقت، ولا أعددت لها جواباً، فذكرت قول أبى عبد الله عليه السـلام وهو يقول لى: يا هشام لا تزال مؤيـداً بروح القـدس ما نصـرتنا بلسانک، فعلمت أنى لا أخذل وعنَّ لى الجواب فى الحال، فقلت له: لم يكن من أحدهما خطأ وكانا جميعاً محقين، ولهذا نظير قد نطق به القرآن فى قصة داود عليه السلام حيث يقول الله جل اسمه:

((وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ..)).

فأى الملكين كان مخطئاً وأيهما كان مصيباً، أم تقول إنهما كانا مخطئين، فجوابک فى ذلک جوابى بعينه! فقال يحيى: لست أقول إن الملكين أخطآ بل أقول إنهما أصابا وذلک أنهما لم يختصما فى الحقيقة ولا اختلفا فى الحكم، وإنما أظهرا ذلک لينبها داود عليه السلام على الخطيئة ويعرفاه الحكم ويوقفاه عليه! قال فقلت له: كذلک على والعباس لم يختلفا فى الحكم ولا اختصما فى الحقيقة، وإنما أظهرا الإختلاف والخصومة لينبها أبا بكر على غلطه ويوقفاه على خطئه ويدلاه على ظلمه لهما فى الميراث، ولم يكونا فى ريب من أمرهما وإنما كان ذلک منهما على حد ما كان من الملكين! فلم يحر جواباً، واستحسن ذلک الرشيد ».

4- محاولات هارون قتل الإمام الكاظم عليه السلام

تصل محاولات هارون لقتل الإمام الكاظم عليه السلام إلى عشر مرات، وفى كل مرة كانت تظهر له كرامات الإمام عليه السلام وآياته فيتراجع، لكنه كان يعود ويكرر محاولته!

وقد مرَّ بعضها فى الموضوعات المتقدمة، وهذا عدد آخر:

1- قال الفضل بن الربيع: «كنت أحجب الرشيد فأقبل علىَّ يوماً غضباناً وبيده سيف يقلبه فقال لى: يا فضل بقرابتى من رسول الله لئن لم تأتنى بابن عمى الآن لآخذن الذى فيه عيناک! فقلت: بمن أجيؤک؟فقال: بهذا الحجازى! فقلت: وأى حجازى؟ قال: موسى جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب..الى أن قال: فقلت له: استعد للعقوبة يا أبا إبراهيم فقال عليه السلام: أليس معى من يملک الدنيا

والآخرة! لن يقدر اليوم على سوء بى إن شاء الله تعالى! قال فضل بن الربيع فرأيته وقد أدار يده عليه السلام يلوح بها على رأسه ثلاث مرات، فدخلت على الرشيد فإذا هو كأنه امرأة ثكلى... فلما رآه وثب إليه قائماً وعانقه وقال له: مرحباً بابن عمى وأخى...ثم أكرمه، وذكر الدعاء الذى دعا به عليه السلام».

2- «ومن ذلک الدعاء الذى علمه النبى صلى الله عليه وآله وسلم لموسى بن جعفر عليه السلام فى السجن بإسناد صحيح عن عبد الله بن مالک الخزاعى قال: دعانى هارون الرشيد فقال: يا أبا عبد الله كيف أنت وموضع السر منک؟ فقلت: يا أمير المؤمنين ما أنا الا عبد من عبيدک، فقال: إمض إلى تلک الحجرة وخذ من فيها واحتفظ به إلى أن أسئلک عنه، قال: فدخلت فوجدت موسى بن جعفرفلما رآنى سلمت عليه وحملته على دابتى إلى منزلى، فأدخلته دارى وجعلته على حرمى، وقفلت عليه والمفتاح معى وكنت أتولى خدمته. ومضت الأيام، فلم أشعر إلا برسول الرشيد يقول: أجب أمير المؤمنين فنهضت ودخلت عليه، وهو جالس وعن يمينه فراش وعن يساره فراش فسلمت عليه فلم يرد غير أنه قال: ما فعلت بالوديعة؟ فكأنى لم أفهم ما قال فقال: ما فعل صاحبک؟ فقلت: صالح، فقال: إمض إليه وادفع إليه ثلاثة آلاف درهم واصرفه إلى منزله وأهله، فقمت وهممت بالإنصراف فقال: أتدرى ما السبب فى ذلک وما هو؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين قال: نمت على الفراش الذى عن يمينى، فرأيت فى منامى قائلاً يقول لى: يا هارون أطلق موسى بن جعفر، فانتبهت فقلت لعلها لما فى نفسى منه، فقمت إلى هذا الفراش الآخر فرأيت ذلک الشخص بعينه وهو يقول: يا هارون أمرتک أن تطلق موسى بن جعفر فلم تفعل؟ فانتبهت وتعوذت من الشيطان ثم قمت إلى هذا الفراش الذى أنا عليه وإذا بذلک الشخص بعينه، وبيده حربة كأن أولها بالمشرق وآخرها بالمغرب، وقد أومأ إلى وهو يقول: والله يا هارون لئن لم تطلق موسى بن جعفر لأضعن هذه الحربة فى صدرک وأطلعها من ظهرک، فأرسلت إليک فامض

فیما أمرتک به ولا تظهره إلی أحد فأقتلک فانظر لنفسک! قال: فرجعت إلی منزلی وفتحت الحجرة ودخلت علی موسی بن جعفر فوجدته قد نام فی سجوده فجلست حتی استیقظ ورفع رأسه، وقال: یا أبا عبد الله إفعل ما أمرت به، فقلت له: یا مولای سألتک بالله وبحق جدک رسول الله هل دعوت الله عز وجل فی یومک هذا بالفرج؟ فقال: أجل إنی صلیت المفروضة وسجدت وغفوت فی سجودی فرأیت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فقال: یا موسی أتحب أن تطلق؟ فقلت: نعم یا رسول الله صلی الله علیک، فقال: ادع بهذا الدعاء: یا سابغ النعم، یا دافع النقم یا بارئ النسم، یا مجلی الهمم، یا مغشی الظلم، یا کاشف الضر والألم، یا ذا الجود والکرم، ویا سامع کل صوت، وما مدرک کل فوت، ویا محیی العظام وهی رمیم، ومنشئها بعد الموت، صل علی محمد وآل محمد واجعل لی من أمری فرجاً ومخرجاً یا ذا الجلال والإکرام. فلقد دعوت به ورسول الله یلقننیه حتی سمعتک. فقلت: قد استجاب الله فیک، ثم قلت له ما أمرنی به الرشید وأعطیته ذلک». (بحار الأنوار: 91/331، عن مهج الدعوات).

3- قال علی بن یقطین: «کنت واقفاً علی رأس هارون الرشید إذ دعا موسی بن جعفر علیه السلام وهو یتلظی علیه! فلما دخل حرک شفتیه بشیء فأقبل هارون علیه ولاطفه وبره وأذن له فی الرجوع! فقلت له: یا ابن رسول الله جعلنی الله فداک، إنک دخلت علی هارون وهو یتلظی علیک فلم أشک إلا أنه یأمر بقتلک فسلمک الله منه! فما الذی کنت تحرک به شفتیک؟ فقال علیه السلام: إنی دعوت بدعائین أحدهما خاص والآخر عام فصرف الله شره عنی، فقلت: ماهما یا ابن رسول الله؟ فقال: أما الخاص: اللهم إنک حفظت الغلامین لصلاح أبویهما فاحفظنی لصلاح آبائی، وأما العام: اللهم إنک تکفی من کل أحد ولا یکفی منک أحد، فاکفنیه بما شئت وکیف شئت أنی شئت، فکفانی الله شره». (البحار: 91/339، ومهج الدعوات/36).

4- «لما همَّ هارون الرشید بقتل موسی بن جعفر علیه السلام دعا الفضل بن

الربيع وقال له: قـد وقعت لی إليک حاجـة أسألک أن تقضـيها ولک مائة ألف درهم قال: فخرَّ الفضل عند ذلک ساجداً وقال: أمر أم مسألة؟ قال: بل مسألـة، ثم قال: أمرت بأن تحمل إلی دارک فی هـذه الساعـة مائـة ألف درهم، وأسالک أن تصـير إلی دار موسـی بن جعفر وتأتينی برأسه! قال الفضل: فذهبت إلی ذلک البيت فرأيت فيه موسی بن جعفر وهو قائم يصلی فجلست حتی قضی صلاته، وأقبل إلی وتبسم وقال: عرفت لمـاذا حضـرت أمهلنی حتی أصـلی ركعتين. قـال: فـأمهلته فقـام وتوضأ فأسـبغ الوضوء وصـلی ركعتين وأتم الصـلاة بحسن ركوعها وسجودها، وقرأ خلف صلاته بهذا الحرز فاندرس وساخ فی مكانه! فلا أدری أأرض ابتلعته أم السماء اختطفته! فذهبت إلی هارون وقصصت عليه القصة قال فبكی هارون ثم قال: قد أجاره الله منی» (البحار:91/332، عن مهج الدعوات).

5- «لمـا أمر هـارون موسـی بن جعفر عليه السـلام أن يحمل إليه أدخل عليه وعلی بن يقطين علی رأسه متوكئ علی سـيفه، فجعل يلاحظ موسـی عليه السـلام ليأمره فيضـرب به هارون ففطن له هارون فقال: قد رأيت ذلک! فقال: يا أمير المؤمنين سـللت من سـيفی شبراً رجاء أن تأمرنی فيه بأمرک!فنجا منه بهذه المقالة». (مناقب آل أبی طالب:3/423).

6- «وروی أن الرشـيد فكر فی قتل موسـی عليه السـلام فدعا برطب فأكل منه، ثم أخذ صينية فوضع فيها عشرين رطبة وأخذ سلكاً فتركه فی السم، وأدخله فی الخياط وأخذ رطبة من ذلک الرطب وأقبل يردد السـلک المسـموم بذلک الخيط من رأس الرطبة إلی آخرها، حتی علم أن السم قد تمكن فيها. واسـتكثر منه ثم ردها فی الرطب وقال لخادم له:إحمل هذه الصـينية إلی موسی وقل له: إن أمير المؤمنين أكل من هذا الرطب وتنغص لـک(اختـار) وهو يقسم عليـک بحقه إلاـ ما أكلته عن آخره فإنی اخترتها لک بيـدی، ولا تتركه حتی لا يبقی منه شـيئاً، ولا يطعم منه أحداً، فأتاه بها الخادم وأبلغه

الرسالـة فقال له: إئتنى بخلالـة فناوله خلالـة، وقام بإزائه وهو يأكل الرطب، وكان للرشـيد كلبـة أعز عليه من كل ما كان فى مملكته، فجرت نفسـها وخرجت بسـلاسل ذهب وفضـة كانت فى عنقها حتى حاذت موسـى بن جعفر عليه السـلام، فبادر بالخلالة إلى الرطبة المسـمومة فغرزها ورمى بها إلى الكلبة فأكلتها، فلم تلبث الكلبة أن ضربت بنفسها الأرض وعوت حتى تقطعت قطعاً قطعاً، واستوفى عليه السلام باقى الرطب!

وحمل الغلام الصـينية إلى الرشـيد فقال له: أكل الرطب عن آخره؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فكيف رأيته؟ قال: ما أنكرت منه شيئاً يا أمير المؤمنين!

قال: ثم ورد خبر الكلبـة وأنها قـد تهرأت وماتت، فقلق الرشـيد لـذلک قلقاً شديداً واسـتعظمه، ومر على الكلبة فوجدها متهرئة بالسم، فدعا الخـادم ودعـا بالسـيف والنطع، قـال لتصـدقنى عن خبر الرطب وإلا قتلتک! فقال: يا أمير المؤمنين إنى حملت الرطب إليه وأبلغته رسالتک وقمت بإزائه فطلب خلالـة فدفعت إليه خلالة، فأقبل يغرز الرطبة بعد الرطبة يأكلها، حتى مرت به الكلبة فغرز رطبة من ذلک الرطب ورمى بها إلى الكلبـة فأكلتها وأكل باقى الرطب فكان ما ترى! فقال الرشـيد: ما ربحنا من موسـى إلا أنا أطعمناه جيد الرطب وضـيعنا سُمَّنا وقتلنا كلبتنا»! (دلائل الإمامة للطبرى/316، والهداية الكبرى/264).

7- «قال إبراهيم بن سـعد:أدخل إلى موسى بن جعفر عليه السلام سباع لتأكله فجعلت تلوذ به وتبصبص له وتدعو له بالإمامة، وتعوذ به من شر الرشيد، فلما بلغ ذلک الرشيد أطلق عنه وقال: أخاف أن يفتننى ويفتن الناس ومن معى»!

8- «عن الأعمش قال: رأيت الكاظم عليه السـلام عنـد الرشـيد وقـد خضع له فقال له عيسـى بن أبان: يا أمير المؤمنين لم تخضع له؟ قال: رأيت من ورائه أفعى تضرب بنابها وتقول: أجبه بالطاعة وإلا بلعتک ففزعت منها». (نوادر المعجزات/163).

9- «كان يتقدم الرشيد إلى خدمه إذا خرج موسى بن جعفر من عنده أن يقتلوه فكانوا يهمون به فيتداخلهم من الهيبة والزمع! فلما طال ذلک أمر بتمثال من خشب وجعل له وجهاً مثل موسى بن جعفر وكانوا إذا سكروا أمرهم أن يذبحوه بالسكاكين، فكانوا يفعلون ذلک أبداً، فلما كان فى بعض الأيام جمعهم فى الموضع وهم سكارى، وأخرج سيدى إليهم فلما بصروا به هموا به على رسم الصورة، فلما علم منهم ما يريدون كلمهم بالخزرية والتركية، فرموا من أيديهم السكاكين ووثبوا إلى قدميه فقبلوها..» (مناقب آل أبى طالب:3/418).

الفصل الحادى عشر: إصرار هارون على قتل الإمام الكاظم عليه السلام

اشارة

1- حبسه فی البصرة سنة ثم نقله إلی بغداد

حبسه فی البصـرة عند والیها عیسـی بن أبی جعفر بن المنصور سـنة «ثم کتب إلی الرشـید أن خذه منی وسـلمه إلی من شـئت وإلا خَلَّیْتُ سبیله، فقد اجتهدت بأن أجد علیه حجة، فما أقدر علی ذلک حتی أنی لأتسـمع علیه إذا دعا لعله یدعو علیَّ أو علیک، فما أسـمعه یدعو إلا لنفسه یسأل الرحمة والمغفرة. فوجه من تسلمه منه». (غیبة الطوسی/23).

وفی روضة الواعظین/219: «وکتب الرشـید فی دمه، فاسـتدعی عیسـی بن جعفر المنصور بعض خاصـته وثقاته، فاسـتشارهم فیما کتب به الرشـید، فأشاروا علیه بالتوقف عن ذلک والإستعفاء منه. وکتب عیسی بن جعفر إلی الرشید یقول له: قد طال أمر موسی بن جعفر ومقامه فی حبسـی، وقد اختبرت حاله ووضـعت من یسـمع منه ما یقول فی دعائه، فما دعا علیک ولا علیَّ وما ذکرنا بسوء، وما یدعو لنفسه إلا بالمغفرة والرحمة، وإن أنفذت إلی من یتسلمه منی وإلا خلیت سبیله فإننی متحرجٌ من حبسه»!

«فحبسه عنده سـنة ثم کتب إلیه الرشـید فی دمه فاسـتعفی عیسـی منه، فوجه الرشـید من تسلمه منه، وصیره إلی بغداد وسُلِّمَ إلی الفضل بن الربیع، وبقی عنده مدة طویلة، ثم أراده الرشید علی شیء من أمره فأبی! فأمر بتسلیمه إلی الفضل بن یحیی فجعله فی بعض دوره ووضع علیه الرصد، فکان علیه السلام مشغولاً بالعبادة یُحیی اللیل کله صلاة وقراءةً للقرآن، ویصوم النهار فی أکثر الأیام ولا یصرف وجهه عن

المحراب، فوسع عليه الفضل بن يحيى وأكرمه، فبلغ ذلک الرشيد وهو بالرقة فكتب إليه يأمره بقتله فتوقف عن ذلک! فاغتاظ الرشيد لذلک وتغير عليه». (إعلام الورى:2/33، ومقاتل الطالبيين/334).

«وكان تولى حبسه عيسى بن جعفر، ثم الفضل بن الربيع، ثم الفضل بن يحيى البرمكى، ثم السندى بن شاهک، وسقاه سماً فى رطب أو طعام آخر، ولبث ثلاثاً بعده موعوكاً، ثم مات فى اليوم الثالث، وكانت وفاته فى مسجد هارون الرشيد وهو المعروف بمسجد المسيب، وهو فى الجانب الغربى من باب الكوفة، لأنه نقل إليه من دار تعرف بدار عمرويه».(مناقب آل أبى طالب:3/438).

2- لماذا لم يعاقب هارون عيسى بن جعفر والفضل بن الربيع؟

فقد رفض عيسى والى البصرة قتل الإمام الكاظم عليه السلام لأنه «تحرج من حبسه»! وطلب من هارون نقله من عنده وإلا أطلقه! فقبل هارون ولم يغضب عليه!

وكذلک فعل حاجبه الفضل بن الربيع، فنقله هارون من عنده ولم يغضب عليه!

بينما غضب على رئيس وزرائه يحيى بن خالد، لأنه وسع على الإمام عليه السلام فى حبسه، ثم رفض أن يقتله!

والسبب أن والى البصرة عيسى بن جعفر بن المنصور، أخ زبيدة زوجة هارون (النهاية:10/228) وخال ولده الأمين ووالد زوجته العباسة (الوافى:16/383).

وكان من كبار شخصيات العباسيين، وكان لفترة والى مكة وأمير الحج (تاريخ بغداد:11/158).وكان عزيزاً عند هارون حتى أنه لما سمن وكثر لحمه، أرسل له هارون طبيبه وعالجه حتى نقص وزنه! (طبقات الأطباء/217).

ومن تناقض عيسى بن جعفر، أنه كان يتأثم من قتل الإمام الكاظم عليه السلام،

لكنه كان يحث هارون على قتل ابنه الإمام الرضا عليه السلام لأنه ادعى الإمامة بعده!

فقد روى الصدوق فى عيون أخبار الرضا عليه السلام:1/246، أن عيسى بن جعفر قال لهارون: «حيث توجه من الرقة إلى مكة: أذكر يمينك التى حلفت بها فى آل أبى طالب، فإنک حلفت إن ادعى أحد بعد موسى الإمامة ضربت عنقه صبراً وهذا على ابنه يدعى هذا الأمر، ويقال فيه ما يقال فى أبيه! فنظر إليه مغضباً فقال: وما ترى، تريد أن أقتلهم كلهم! قال موسى بن مهران: فلما سمعت ذلک صرت إليه (الإمام الرضا عليه السلام)فأخبرته فقال: ما لى ولهم لا يقدرون إلى على شىء»!

أما وزيره الآخر الفضل بن الربيع، فأبوه الربيع بن يونس غلامٌ اشتراه جده المنصور، بإشارة عيسى بن أبان، لما شكى له المنصور ضعف حجابه فقال له: «إستخدم قوماً وقاحاً! قال: ومن هم؟ قال: إشتر قوماً من اليمامة فإنهم يربون الملاقيط (اللقطاء الذين لا آباء لهم)! فاشتراهم وجعل حجابه إليهم، منهم الربيع الحاجب». (فهرست ابن النديم/285).

وفى تاريخ بغداد:8/412، و413: «هو الربيع بن يونس بن محمد بن أبى فروة، قال واسم أبى فروة كيسان.. ذكروا أنه لم يُرَ فى الحجابة أعرق من ربيع وولده، وكان ربيع حاجب أبى جعفر ومولاه، ثم صار وزيره، ثم حجب المهدى، وهو الذى بايع المهدى وخلع عيسى بن موسى. ومن ولده الفضل، حجب هارون ومحمداً المخلوع.. ابن عياش كان يطعن فى نسب الربيع طعناً قبيحاً، ويقول للربيع: فيک شبه من المسيح»! يقصد بلا أب، فاستلقى المنصور من الضحک!

«كان الغالب على الرشيد يحيى بن خالد بن برمک وجعفر والفضل ابناه، صدراً من خلافته حتى ما كان له معهم أمر ولا نهى! فأقاموا على تلک الحال وأمور المملكة إليهم سبع عشرة سنة!ثم كان الفضل يغلب عليه» (اليعقوبى:2/429).

فهذا هو الربيع وابنه الفضل، اللذان حكما الدولة الإسلامية مع الخليفة!

لذا كان هارون يعتبر الفضل ابنه ولا يخاف من تعاطفه مع الإمام الكاظم عليه السلام، بل يفهم تخوفه من مباشرة قتله على أنه خوف من أن يلحقه ضرر بقتل ولى كتحرج ابن عمه عيسى، لذا قبل منه ونقل الإمام عليه السلام من عهدته إلى عهدة وزيره الفضل بن يحيى، وأمره أن يضيق عليه فلم يفعل، ثم أمره أن يقتله فامتنع، فغضب عليه ولعنه، ثم توسط له أبوه يحيى وضمن لهارون أن ينفذ أمره بقتل الإمام عليه السلام، فرفع عنه اللعن ورضى عنه!

وجاء أبوه يحيى من الرقة إلى بغداد على البريد أى الخيل السريعة ، ونفذ أمر هارون، ودبر قتل الإمام عليه السلام بالسم!

وفى الغيبة للطوسى/29، ومقاتل الطلبيين /336:«فكتب بتسليمه إلى الفضل بن يحيى فتسلمه منه، وأراد ذلک منه (أن يقتله) فلم يفعل، وبلغه أنه عنده فى رفاهية وسعة، وهو حينئذ بالرقة، فأنفذ مسروراً الخادم إلى بغداد على البريد، وأمره أن يدخل من فوره إلى موسى بن جعفر عليه السلام فيعرف خبره، فإن كان الأمر على ما بلغه، أوصل كتاباً منه إلى العباس بن محمد وأمره بامتثاله، وأوصل كتاباً منه آخر إلى السندى بن شاهک يأمره بطاعة العباس، فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى لايدرى أحد ما يريد، ثم دخل على موسى بن جعفر عليه السلام فوجده على ما بلغ الرشيد، فمضى من فوره إلى العباس بن محمد والسندى فأوصل الكتابين إليهما، فلم يلبث الناس أن خرج الرسول يركض إلى الفضل بن يحيى فركب معه وخرج مشدوهاً دهشاً حتى دخل العباس فدعا بسياط وعقابين(خشبة يربط بها لجلده) فوجه ذلک إلى السندى وأمر بالفضل فجرد ثم ضربه مائة سوط، وخرج متغير اللون خلاف ما دخل، فأذهبت نخوته فجعل يسلم على الناس يميناً وشمالاً!

وكتب مسرور بالخبر إلى الرشيد فأمر بتسليم موسى عليه السلام إلى السندى بن شاهک وجلس مجلساً حافلاً، وقال: أيها الناس إن الفضل بن يحيى قد عصانى وخالف طاعتى ورأيت أن ألعنه فالعنوه! فلعنه الناس من كل ناحية حتى ارتج البيت والدار بلعنه! وبلغ يحيى بن خالد فركب إلى الرشيد ودخل من غير الباب الذى يدخل الناس منه حتى جاءه من خلفه وهو لا يشعر، ثم قال له: التفت إلى يا أمير المؤمنين! فأصغى إليه فزعاً، فقال له: إن الفضل حدث وأنا أكفيک ما تريد! فانطلق وجهه وسُرَّ. فقال له يحيى: يا أمير المؤمنين قد غضضت من الفضل بلعنک إياه فشرفه بإزالة ذلک، فأقبل على الناس فقال: إن الفضل قد عصانى فى شىء فلعنته وقد تاب وأناب إلى طاعتى فتولوه. فقالوا نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت وقد توليناه! ثم خرج يحيى بن خالد بنفسه على البريد حتى أتى بغداد، فماج الناس وأرجفوا بكل شىء فأظهر أنه ورد لتعديل السواد والنظر فى أمر العمال، وتشاغل ببعض ذلک، ودعا السندى فأمره فيه بأمره، فامتثله»!

3- لماذا غضب هارون على وزيره الفضل بن يحيى؟

كان هارون يرى أن تعاطف وزيره الفضل بن يحيى مع الإمام الكاظم عليه السلام وامتناعه عن تنفيذ أمره فى التضييق عليه ثم بقتله، أمر خطير، بل خيانة عظمى للنظام العباسى وشخص الخليفة! وذلک بعكس مخالفة ابن عمه والى البصرة وبعكس مخالفة غلامه الفضل بن الربيع!

والسبب أن البرامكة بنفوذهم فى الدولة، بإمكانهم أن يقوموا بانقلاب ويقتلوا هاروناً، ويبايعوا لموسى بن جعفر عليه السلام، أو لأى عباسى، أو علوى!

ومما زاد غضب هارون على الفضل، أن أباه وأخاه جعفر كانا عدوين لدودين للإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وما زالا يحركان هارون ضده ويعملان لقتله!

ولم يشفع للفضل أنه أخ هارون بالرضاعة، فقد نشآ فی بيت يحيی البرمكی، وكان هارون يخاطب يحيی بن خالد: يا أبت، ويخاطب ولده الفضل: يا أخی»(1).

ولم تشفع له مكانته السياسية وتاريخه الذی قال عنه فی تاريخ بغداد:12/332: «الفضل بن يحيی بن خالد البرمكی، أخو جعفر وكان رضيع هارون الرشيد، وولاه الرشيد أعمالاً جليلة بخراسان وغيرها، وكان أندی كفاً من أخيه جعفر، إلا أنه كان فيه كبر شديد، وكان جعفر أطلق وجهاً وأظهر بشراً».

وفی تاريخ بغداد:12/332:«عن العتابی قال: كنا بباب الفضل بن يحيی البرمكی أربعة آلاف، ما بين شاعر وزائر». (تاريخ بغداد:12/334).

«ولما غضب هارون علی البرامكة وقتل جعفراً، وخلَّدَ الفضل فی الحبس مع أبيه يحيی فلم يزالا محبوسين حتی ماتا فی حبسهما». تاريخ بغداد:12/332، والطبری:6/441.

ومات يحيی وعمره 45 سنة، قبل هارون بخمسة أشهر. (الطبری:6/524).

والسؤال هنا: لماذا رفض الفضل بن يحيی البرمكی أمر هارون له بالتضييق علی الإمام الكاظم عليه السلام ثم بقتله؟ وهل كان غضب هارون عليه بسبب ذلک؟

والجواب: أنه لاتفسير لمخالفة الفضل لهارون، إلا أنه رأی كرامات الإمام عليه السلام فتشيع أو لم يتشيع لكنه تحرَّج من تنفيذ أمر هارون، وتحمل أن يُعَرِّض نفسه لغضبه!

ويوجد مؤشر علی أن الفضل كان ترک شرب الخمر مع هارون، توبةً أو أنفةً لأنه ينقص من مروءته! ففی تاريخ الطبری:6/489: «كان الرشيد قد عتب علی الفضل بن يحيی وثقل مكانه عليه لتركه الشرب معه، فكان الفضل يقول: لو علمت أن الماء ينقص من مروتی ما شربته»!

1- وفيات الأعيان:4/27، وتاريخ بغداد:12/332، والطبری:6/441

والسؤال الثانی:هل یمکن القول إن سبب نقمة هارون علی البرامکة، أنهم فکروا بانقلاب علی العباسیین لمصلحة العلویین، أو أنهم تعاطفوا مع الإمام الکاظم علیه السلام فی أواخر أیام سجنه، وهل یؤید ذلک أن هارون تعمد إبقاء سبب نقمته علیهم سراً، و ما رواه الطوسی فی الغیبة/25: «وکان یحیی یتولاه، وهارون لا یعلم ذلک»؟

والجواب: أن هذا الإحتمال لاینهض مقابل ما یعارضه، فقد روت مصادرنا عمل یحیی بن خالد البرمکی لقتل الإمام الکاظم علیه السلام وسعیه به إلی هارون، وتوظیفه بعض أقارب الإمام علیه السلام واستقدامهم لیشهدوا علیه عند هارون!

ولا ینهض مقابل أن الإمام الرضا علیه السلام کان یدعو علیهم فی عرفات لأنهم سعوا فی قتل أبیه، قال علیه السلام: «إنی کنت أدعو الله تعالی علی البرامکة بما فعلوا بأبی، فاستجاب الله لی الیوم فیهم! فلما انصرف لم یلبث إلا یسیراً حتی بُطش بجعفر ویحیی، وتغیرت أحوالهم» (عیون أخبار الرضا علیه السلام:1/245).

فالیقین فی أمرهم: إن الذی سعی بقتل الإمام الکاظم علیه السلام هو یحیی کما نصت أحادیثنا، ویشیر الحدیث إلی أن ابنه جعفر معه، لکن ابنه الفضل رفض إطاعة أوامر هارون، ومعناه أنه کان یمیل إلی الإمام ویعتقد بأنه ولی، أو إمام!

کما یظهر أن جعفرالبرمکی کان أحب إلی هارون من أخیه الفضل، لأنه أخذ الوزارة والخاتم من الفضل وأعطاه لجعفر، وذکر فی شرح النهج(18/105) أن هارونا کان «یحلف بالله أن جعفراً أفصح من قس بن ساعدة، وأشجع من عامر بن الطفیل، وأکتب من عبد الحمید بن یحیی، وأسوس من عمر بن الخطاب، وأحسن من مصعب بن الزبیر، وأنصح له من الحجاج لعبد الملک، وأسمح من عبد الله بن جعفر، وأعف من یوسف بن یعقوب...ولم یکن أحد یجسر أن یرد علی جعفر قولا ولا رأیاً»

ثم ذکر أن الفضل رد یوماً علی جعفر فاستنکر علیه عم هارون سلیمان بن

المنصور: «فغضب الرشيد لإنكار سليمان وقال: ما دخولک بين أخی ومولای؟ کالراضی بما کان من الفضل»!

أما لماذا قتله وصلبه واکتفی بسجن الفضل فلعله بسبب أن الفضل کان أخاه من الرضاعة دون جعفر، أو لم يبلغ ذنبه برأيه الجريمة التی ارتکبها أخوه جعفر!

4- العباس بن محمد الذی وکله هارون بجلد وزيره الفضل

قال ابن الجوزی فی کتابه المدهش/67: «ومن العجائب أنه سلم علی الرشيد بالخلافة عمه سليمان بن المنصور، وعم أبيه المهدی وهو العباس بن محمد، وعم جده المنصور وهو عبد الصمد بن علی! وقال له عبد الصمد يوماً: يا أمير المؤمنين هذا مجلس فيه أمير المؤمنين وعم أمير المؤمنين وعم عم أمير المؤمنين وعم عم عمه، وذلک أن سليمان بن أبی جعفر عم الرشيد، والعباس عم سليمان وعبد الصمد عم العباس»!

وقال ابن الجوزی فی المنتظم:9/124: «ولی العباس بن محمد الذی إليه العباسية الجزيرة وصار إلی الرقة وأمر الرشيد ففرش له فی قصر الإمارة له فيه الآلات وشحن بالرقيق وحمل إليه خمسة آلاف ألف درهم! وفی سنة ست ومائة توفی العباس ببغداد »وتاريخ بغداد:12/124، ومآثر الإنافة:3/357، وشذرات الذهب:1/274.

وفی شرح نهج البلاغة:19/351: «قيل لخديجة بنت الرشيد: رسل العباس بن محمد علی الباب، معهم زنبيل يحمله رجلان! فقالت: تراه بعث إلی باقلاء! فکشف الزنبيل عن جرة مملوءة غالية فيها مسحاة من ذهب، وإذا برقعة: هذه جرة أصيبت هی وأختها فی خزائن بنی أمية! فأما أختها فغلب عليها الخلفاء وأما هذه فلم أر أحداً أحق بها منک»!

وفی نهاية ابن کثير:10/232: «وکان ابن أبی مريم هو الذی يضحکه، وکان عنده فضيلة بأخبار الحجاز وغيرها، وکان الرشيد قد أنزله فی قصره وخلطه

بأهله...ودخل يوماً العباس بن محمد على الرشيد ومعه برنية من فضة فيها غالية من أحسن الطيب فجعل يمدحها ويزيد فى شكرها، وسأل من الرشيد أن يقبلها منه فقبلها فاستوهبها منه ابن أبى مريم فوهبها له، فقال له العباس: ويحک! جئت بشىء منعته نفسى وأهلى وآثرت به أمير المؤمنين سيدى فأخذته! فحلف ابن أبى مريم ليطيبن به استه! ثم أخذ منها شيئاً فطلى به إسته ودهن جوارحه كلها منها، والرشيد لا يتمالک نفسه من الضحک! ثم قال لخادم قائم عندهم يقال له خاقان: أطلب لى غلامى، فقال الرشيد: ادع له غلامه، فقال له: خذ هذه الغالية واذهب بها إلى ستک فمرها فلتطيب منها إستها حتى أرجع إليها ف...!فذهب الضحک بالرشيد كل مذهب، ثم أقبل ابن أبى مريم على العباس بن محمد فقال له: جئت بهذه الغالية تمدحها عند أمير المؤمنين، الذى ما تمطر السماء شيئاً ولا تنبت الأرض شيئاً إلا وهو تحت تصرفه وفى يده! وأعجب من هذا أن قيل لملک الموت: ما أمرک به هذا فأنفذه! وأنت تمدح هذه الغالية عنده كأنه بقال أو خباز أو طباخ أو تمار! فكاد الرشيد يهلک من شدة الضحک! ثم أمر لابن أبى مريم بمائة ألف درهم»!

5- السندى بن شاهک رئيس شرطة هارون

شكى المنصورلأحدهم ضعف حُجَّابه، فقال له: «إستخدم قوماً وِقَاحاً! قال: ومن هم؟ قال: إشتر قوماً من اليمامة فإنهم يربون الملاقيط(اللقطاء الذين لا آباء لهم)!

فاشترى المنصور حاجبه الربيع! والسندى بن شاهک من هذا النوع، مع فرق بينهما أن الربيع شرطى سياسى يحتاج إلى فهم اجتماعى ولباقة ولياقة، بينما السندى شرطى عسكرى يحتاج إلى شدة فى تنفيذ أوامر الخليفة بقسوة بدون رحمة حتى لو كانت على أقارب الخليفة وأولاده ووزرائه!

وهو لقيط عرف باسم أمه السندية شاهک: «وسبى ذراريهم (السند) فكان من

ذلک السبی مهرویه وخَلَد، وقرابتهما شاهک وکانت علی مائدة شهریار، وهی أم السندی بن شاهک، وکان منهم الحرث بن بسخنز، وجمیع هؤلاء الموالی الرازیین». (طبقات الأطباء/221، ونهایة الأرب/623).

وقد عرف بنسبته إلی أمه ولیس إلی أب! ورباه المنصور تربیة عباسیة غلیظة فکان السندی یتعجب من تفضیل المأمون علیاً علیه السلام علی العباس، فقال للفضل بن الربیع: «ما ظننت أنی أعیش حتی أسمع عباسیاً یقول هذا! فقال الفضل له: تعجب من هذا، هذا والله کان قول أبیه قبله»! (کتاب بغداد لطیفور/17).

وفی تذکرة ابن حمدون:2/364: أن السندی «أحضر رجلاً ادعیَ علیه الرفض فقال له: ما تقول فی أبی بکر؟ فأثنی علیه، قال: فعمر؟ قال: لا أحبه، فاخترط السندی سیفه وقال: لمَ ویلک؟ قال: لأنه جعل الشوری فی ستة من المهاجرین وأخرج العباس منهم، فشامَ سیفه ورضی عنه»!

وکان السند بن شاهک یکلف بالمهمات التی تحتاج إلی قمع وتجسس!

قال فی وفیات الأعیان:1/338: «ثم دعا (هارون الرشید) السندی بن شاهک فأمره بالمضی إلی بغداد والتوکل بالبرامکة وکتَّابهم وقراباتهم، وأن یکون ذلک سراً ففعل السندی ذلک».

لهذا السبب أمر هارون بنقل سجن الإمام الکاظم علیه السلام من عند الفضل بن یحیی إلی السندی بن شاهک، لأنه أشد وأقسی، وخالف بذلک العرف السیاسی بأن تسجن الشخصیات القرشیة والهاشمیة عند وزراء الخلیفة وشخصیات دولته، فقد حبس الإمام الکاظم علیه السلام أولاً عند عمه عیسی بن جعفر والی البصرة، ثم عند وزیره الفضل بن الربیع، ثم عند وزیره الفضل بن یحیی، فتأثموا أن یقتلوه فأمر بحبسه عند السندی بن شاهک الشرطی القاسی، وأمره أن یقتله!

وبعد قتل الإمام عليه السلام أعطى هارون للسندى جائزة فجعله والى دمشق!

قال عنه الذهبى فى تاريخه:14/185: «السندى بن شاهک. الأمير أبو نصر، مولى أبى جعفر المنصور، ولى إمرة دمشق للرشيد، ثم وليها بعد المائتين، وكان ذميم الخلق، سندياً يجعل القول قول المدعى»! أى يحكم له تصديقاً لقوله بدون بينة!

وقال المؤرخ البغدادى ابن الطقطقى فى الفخرى/137: «فحبسه عند السندى بن شاهک، وكان الرشيد بالرقة فأمر بقتله، فقتل قتلاً خفياً، ثم أدخلوا عليه جماعة من العدول بالكرخ ليشاهدوه، إظهاراً أنه مات حتف أنفه».

ونلاحظ أن الإمام الكاظم عليه السلام عبر عن السندى بالرجس، وأوصى أن لايتولى غسله وتكفينه! «دعا بالمسيب وذلک قبل وفاته بثلاثة أيام وكان موكلاً به، فقال له: يا مسيب إن هذا الرجس السندى شاهک سيزعم أنه يتولى غسلى ودفنى، هيهات هيهات أن يكون ذلک أبداً»! (عيون أخبار الرضا عليه السلام:2/95).

6- السندية بنت شاهک خير من أخيها!

روى فى تاريخ بغداد:13/32، عن عمار بن أبان قال: «حبس أبو الحسن موسى بن جعفر عند السندى بن شاهک، فسألته أخته أن تتولى حبسه، وكانت تتدين، ففعل، فكانت تلى خدمته، فحكىَ لنا أنها قالت: كان إذا صلى العتمة حمد الله ومجده ودعاه، فلم يزل كذلک حتى يزول الليل، فإذا زال الليل قام يصلى حتى يصلى الصبح، ثم يذكر قليلاً حتى تطلع الشمس، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى، ثم يتهيأ ويستاک ويأكل، ثم يرقد إلى قبل الزوال، ثم يتوضأ ويصلى حتى يصلى العصر، ثم يذكر فى القبلة حتى يصلى المغرب، ثم يصلى مابين المغرب والعتمة.فكان هذا دأبه!

فكانت أخت السندى إذا نظرت إليه قالت: خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل! وكان عبداً صالحاً» وسير الذهبى:6/273، وتاريخ أبى الفداء/293، ومصادر كثيرة.

7- سجن السندی أشد سجون الإمام الکاظم علیه السلام

استمر سجن الإمام علیه السلام فی المرة الثانیة نحو أربع سنوات، وتنقل فی أربعة سجون، أولها سجن البصرة وکان فی بیت الوالی عیسی بن جعفر بن المنصور والثانی فی بغداد عند وزیر الرشید الفضل بن الربیع، والثالث عند الوزیر الفضل بن یحیی البرمکی، والرابع عند رئیس شرطة الرشید السندی بن شاهک، وکان أصعب السجون علیه، فقد زادوا علیه القیود وشددوا علیه.

ففی عیون أخبار الرضا علیه السلام:2/82: «فحبسه عیسی بیت من بیوت المجلس الذی کان یجلس فیه وأقفل علیه، وشغله العید عنه فکان لا یفتح عنه الباب إلا حالتین حالة یخرج فیها إلی الطهور وحالة یدخل فیها الطعام».

«وصیره إلی بغداد وسُلِّمَ إلی الفضل بن الربیع، وبقی عنده مدة طویلة، ثم أراده الرشید علی شیء من أمره فأبی! فأمر بتسلیمه إلی الفضل بن یحیی فجعله فی بعض دوره ووضع علیه الرصد، فکان علیه السلام مشغولاً بالعبادة یُحیی اللیل کله صلاة وقراءةً للقرآن، ویصوم النهار فی أکثر الأیام، ولا یصرف وجهه عن المحراب، فوسع علیه الفضل بن یحیی وأکرمه، فبلغ ذلک الرشید وهو بالرقة فکتب إلیه یأمره بقتله فتوقف عن ذلک! فاغتاظ الرشید لذلک وتغیر علیه». (إعلام الوری:2/33، ومقاتل الطالبیین/334).

الفصل الثانى عشر: شهادة الإمام الكاظم عليه السلام ومراسم تشييعه

اشارة

1- أخبر الإمام عليه السلام بشهادته وأوصى بتجهيزه

1- فی عیون أخبار الرضا علیه السلام:2/95: «دعا بالمسیب، وذلک قبل وفاته بثلاثة أیام وکان موکلاً به، فقال له: یا مسیب، قال: لبیک یا مولای. قال: إنی ظاعنٌ هذه اللیلة إلی المدینة مدینة جدی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم لأعهد إلی علیٍّ ابنی ما عهده إلیَّ أبی، وأجعله وصیی وخلیفتی، وآمره أمری!

فقال لی: إرفع رأسک یا مسیب، واعلم أنی راحل إلی الله عز وجل فی ثالث هذا الیوم! قال: فبکیت، فقال لی: لا تبک یا مسیب، فإن علیاً ابنی هو إمامک ومولاک بعدی فاستمسک بولایته، فإنک لن تضل ما لزمته. فقلت: الحمد لله.

قال: ثم إن سیدی دعانی فی لیلة الیوم الثالث فقال لی: إنی علی ما عرفتک من الرحیل إلی الله عز وجل، فإذا دعوت بشربة من ماء فشربتها ورأیتنی قد انتفخت وارتفع بطنی واصّفَرَّ لونی واحْمَرَّ واخْضَرَّ وتلون ألواناً، فخبر الطاغیة بوفاتی، فإذا رأیت بی هذا الحدث فإیاک أن تظهر علیه أحداً ولا من عندی إلا بعد وفاتی!

قال المسیب بن زهیر: فلم أزل أرقب وعده، حتی دعا بالشربة فشربها، ثم دعانی فقال لی:یامسیب إن هذا الرجس السندی شاهک سیزعم أنه یتولی غسلی ودفنی، هیهات هیهات أن یکون ذلک أبداً! فإذا حملت إلی المقبرة المعروفة بمقابر قریش فألحدونی بها، ولا ترفعوا قبری فوق أربع أصابع مفرجات، ولا تأخذوا من تربتی شیئاً لتتبرکوا به،

فإن كل تربة لنا محرمة إلا تربة جدى الحسين بن على، فإن الله تعالى جعلها شفاءً لشيعتنا وأوليائنا.

قال: ثم رأيت شخصاً أشبه الأشخاص به جالساً إلى جانبه، وكان عهدى بسيدى الرضا عليه السلام وهو غلام، فأردت سؤاله فصاح بى سيدى موسى عليه السلام فقال: أليس قد نهيتک يا مسيب؟! فلم أزل صابراً حتى مضى وغاب الشخص!

ثم أنهيت الخبر إلى الرشيد، فوافى السندى بن شاهک، فوالله لقد رأيتهم بعينى وهم يظنون أنهم يغسلونه فلا تصل أيديهم إليه، ويظنون أنهم يحنطونه ويكفنونه وأراهم لا يصنعون به شيئاً! ورأيت ذلک الشخص يتولى غسله وتحنيطه وتكفينه وهو يظهر المعاونة لهم وهم لا يعرفونه!

فلما فرغ من أمره قال لى ذلک الشخص: يا مسيب مهما شککت فيه فلا تشكن فىَّ فإنى أمامک ومولاک وحجة الله عليک بعد أبى، يا مسيب مثلى مثل يوسف الصديق، ومثلهم مثل إخوته حين دخلوا فعرفهم وهم له منكرون!

ثم حمُل عليه السلام حتى دفن فى مقابر قريش، ولم يرفع قبره أكثر مما أمر به، ثم رفعوا قبره بعد ذلک، وبنوا عليه».

ملاحظات:

أ. قال فى تاريخ بغداد عن المسيب بن زهير (13/138):«كان من رجالات الدولة العباسية، وولى شرطة بغداد فى أيام المنصور والمهدى والرشيد، وقد كان ولى خراسان أيام المهدى».

وفى معارف ابن قتيبة/413: «هو من ولد ضرار بن عمرو الضبى، وبنو ضرار من سادة ضبة، وكان على شُرَط أبى جعفر وولاه المهدى خراسان، وولى شرطة موسى. وابنه عبد الله بن المسيب ولى مصر وفارس والجزيرة، ومحمد بن المسيب ولى

شرطة محمد الأمين، والعباس بن المسيب ولى شرطة المأمون، وزهير بن المسيب ولى كرمان لهارون، وكان للمسيب بن زهير أخ يقال له عمرو بن زهير ولى لأبى جعفر الكوفة».وتاريخ خليفة/380، وابن خلدون:3/212.

وقال الطبرى (6/302) إنه كان صديقاً ليحيى بن خالد البرمكى، لكن المسيب كان يميل إلى العلويين ويتصف بالجرأة! ففى مروج الذهب (1/480): «ذكر أن المنصور قال يوماً لجلسائه بعد قتل محمد وإبراهيم (الحسنيين): تاللّه ما رأيتُ رجلاً أنصح من الحجاج لبنى مروان! فقام المسيب بن زهير الضبى فقال: يا أمير المؤمنين ما سبقَنَا الحجاج بأمر تخلَّفْنَا عنه، والله ما خلق الله على جديد الأرض خلقاً أعز علينا من نبينا، وقد أمرتَنَا بقتل أولاده فأطعناك وفعلنا ذلك فهل نصحناك أم لا؟ فقال له المنصور: أجلس لاجلست»!

نلاحظ أن كلمة المسيب لو قالها غيره لكان جزاؤه القتل، لكن المنصور اكتفى بالغضب والدعاء عليه بسبب دوره التاريخى وولائه للعباسيين! ورووا عنه من موضوعات العباسيين أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بالخلافة لعمه العباس لكن روى عنه الحاكم (3/142) والخوارزمى (المناقب/361) أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «النظر إلى وجه على عبادة»، وهو يؤكد ميله إلى العلويين.

وكان المسيب مسؤولاً عن سجن الإمام الكاظم عليه السلام ويظهر أن ذلك فى حبسه الأول سنة سبعين ومائة، فهداه الله على يده. وكان مسؤولاً فى المرة الأخيرة بنحو ما مع مسؤولية السندى المباشرة.وكان عند شهادة الإمام عليه السلام كبير السن، فأحضره لإيمانه ومكانته فى الدولة ليخبر هارون وحاشيته بما قاله له عليه السلام.

وذكر فى تاريخ بغداد (13/139) أنه توفى سنة ست وسبعين ومائة، وهو ابن ست وسبعين سنة، وبما أن شهادة الإمام الكاظم عليه السلام كانت سنة ثلاث وثمانين

ومائـة، فالظاهر أن وفاة المسـيب فی ست وتسـعين، ووقع تصـحيف بين السـبع والتسع وهو كثير، أو يكون الـذی دعاه الإمام عليه السـلام وأوصاه ابنه محمد بن المسيب، ففی تاريخ بغداد:4/65، أنه: «ولی الشرطة للرشيد والأمين، ومات ببغداد».

ب- نلفت إلى شـهادة المسـيب بأن الذی غسل الإمام عليه السلام وكفنه وصلى عليه ابنه الإمام الرضا عليه السلام على قاعدة أن المعصوم لايغسله إلا معصوم، وهو يدل على قدم المسيب الراسخ فی التشيع.

وروی فی الكافی:1/384 «عن أحمد بن عمر الحلال عن الرضا عليه السـلام:قلت له: إنهم يحاجونا يقولون إن الإمام لا يغسـله إلا الإمام! قال فقال عليه السـلام: ما يدريهم من غسـله، فما قلت لهم؟ قال: فقلت: جعلت فداک قلت لهم: إن قال مولای إنه غسـله تحت عرش ربی فقد صدق، وإن قال غسـله فی تخوم الأرض فقد صدق، قال: لا هكذا، فقلت: فما أقول لهم؟ قال: قل لهم إنی غسـلته، فقلت: أقول لهم إنک غسـلته؟ فقال: نعم...عن طلحة قال قلت للرضا عليه السـلام: إن الإمام لا يغسـله إلا الامام؟ فقال: أما تدرون من حضر لغسله؟ قد حضره خير ممن غاب عنه: الذين حضروا يوسف فی الجب حين غاب عنه أبواه وأهل بيته».

وفی الخرائج:1/264، عن الإمـام البـاقر عليه السـلام قـال: «كان فيما أوصـی به إلى أبی على بن الحسـين أن قال: يا بنی إذا أنا مت فلا يلی غسلی غيرک، فإن الإمام لا يغسله إلا إمام مثله» وبمعناه الكافی:1/459، و:3/159، ومناقب آل أبی طالب:3 /351 و480.

ج- قوله عليه السـلام: «ولا تأخذوا من تربتی شـيئاً لتتبركوا به، فإن كل تربة لنا محرمة إلا تربة جدی الحسـين بن على عليه السلام، فإن الله تعالى جعلها شفاءً لشيعتنا وأوليائنا».

يدل على أنه يعرف إيمان شيعته به، وأنهم سيزورون قبره، وربما أخذوا من ترابه للتبرک، فأراد أن يحافظ على الخصوصية الشرعية لتربة جده الحسين عليه السلام.

وقد بحث الفقهاء هذه المسألة، وأفتوا بحرمة أكل التراب باستثناء شيء يسير من تربة الإمام الحسين عليه السلام. قال الشيخ الطوسى فى النهاية/590: «ولا يجوز أكل شيء من الطين على اختلاف أجناسه، إلا طين قبر الحسين بن على عليهما السلام ، فإنه يجوز أن يؤكل منه اليسير للإستشفاء به، ولا يجوز الإكثار منه على حال».

وقال صاحب الجواهر (36/368): «وعلى كل حال فظاهر الفتاوى الإقتصار على استثناء قبر الحسين من بين قبورهم عليهم السلام حتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم. بل المعروف كون ذلک من خواصه عليه السلام كما ورد به بعض النصوص»

وفى صحيح إسحاق بن عمار رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن لموضع قبر الحسين بن على حرمة معلومة من عرفها واستجار بها أجير. قلت: فصف لى موضعها جعلت فداک. قال: إمسح من موضع قبره اليوم فامسح خمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رجليه وخمسة وعشرين ذراعاً من خلفه، وخمسة وعشرين ذراعاً مما يلى وجهه، وخمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رأسه، وموضع قبره منذ يوم دفن روضة من رياض الجنة، ومنه معراج يعرج فيه بأعمال زواره إلى السماء، فليس ملک ولا نبى فى السماوات إلا وهم يسألون الله أن يأذن لهم فى زيارة قبر الحسين، ففوج ينزل وفوج يعرج». (الكافى:4/588).

د- تقدم أن يحيى بن خالد الأب الرضاعى لهارون، كان معه فى الرقة وشاهد غضب هارون على ابنه الفضل بن يحيى حتى أمر الناس بلعنه لأنه عصاه ولم يقتل الإمام الكاظم عليه السلام ، فهدأه يحيى وتكفل له بأنه يعالج أمر ابنه وينفذ أمره، فجاء إلى بغداد على البريد بسرعة ورتب أمر سُمِّ الإمام الكاظم عليه السلام!

وقال المفيد فی الإرشاد:2/243: «ثم خرج یحیی بن خالد علی البرید حتی وافی بغداد، فماج الناس وأرجفوا بکل شیء، وأظهر أنه ورد لتعدیل السواد والنظر فی أمر العمال، وتشاغل ببعض ذلک أیاماً، ثم دعا السندی فأمره فیه بأمره فامتثله، وکان الذی تولی به السندی قتله علیه السلام سُمّاً جعله فی طعام قدمه إلیه، ویقال إنه جعله فی رطب أکل منه فأحس بالسم، ولبث ثلاثاً بعده موعوکاً منه، ثم مات فی الیوم الثالث». «وکانت وفاته علیه السلام فی مسجد هارون الرشید وهو المعروف بمسجد المسیب، وهو فی الجانب الغربی من باب الکوفة، لأنه نقل إلیه من دار تعرف بدار عمرویه».ومناقب آل أبی طالب:3/438.

«وروی: أنه علیه السلام لما حضرته الوفاة، سأل السندی بن شاهک أن یحضره مولی له مدنیاً ینزل عند دار العباس بن محمد فی مشرعة القصب لیتولی غسله وتکفینه، ففعل ذلک. قال السندی بن شاهک: وکنت أسأله فی الإذن لی فی أن أکفنه فأبی وقال: إنا أهل بیت مهور نسائنا وحج صرورتنا وأکفان موتانا من طاهر أموالنا، وعندی کفن وأرید أن یتولی غسلی وجهازی مولای فلان، فتولی ذلک منه». (الإرشاد:2/243، والفقیه:1/189).

2- المکان الذی استشهد فیه الإمام علیه السلام

عرف السجن الذی کان فیه الإمام علیه السلام باسم حبس المسیب، لأن المسیب بن زهیر کان رئیس الشرطة قبل السندی، قال فی دلائل الامامة/305: «وکانت وفاته علیه السلام فی حبس المسیب، وهو المسجد الذی بباب الکوفة الذی فیه السدرة».

وفی عیون أخبار الرضا علیه السلام:2/92: «عن جماعه من مشایخ أهل المدینة قالوا لما مضی خمسة عشر سنة من ملک الرشید استشهد ولی الله موسی بن جعفر

عليهما السلام مسموماً، سمه السندى بن شاهک بأمر الرشيد فى الحبس المعروف بدار المسيب بباب الكوفة وفيه السدرة. ومضى إلى رضوان الله تعالى وكرامته يوم الجمعة لخمس خلون من رجب سنه ثلاث وثمانين ومائه من الهجرة، وقد تم عمره أربعاً وخمسين سنه، وتربته بمدينة السلام فى الجانب الغربى بباب التبن فى المقبرة المعروفة بمقابر قريش».

وفى عيون المعجزات/91: «عن أحمد بن محمد بن السمط قال:سمعت من أصحاب الحديث والرواة المذكورين، أن موسى بن جعفر عليه السلام كان فى حبس هارون الرشيد وهو فى المسجد المعروف بمسجد المسيب من جانب الغربى بباب الكوفة، لأنه قد نقل الموضع إليه من دار السندى بن شاهک، وهى الدار المعروفة بدار أبى عمرويه».

وفى المستجاد من الإرشاد/213، والثاقب فى المناقب/512: «وقد روى أكثر الناس أنه لما توجه أبو جعفر عليه السلام من بغداد منصرفاً من عند المأمون، ومعه أم الفضل ابنة المأمون قاصداً بها المدينة، صار إلى شارع باب الكوفة ومعه الناس يشيعونه فانتهى إلى دار المسيب عند مغيب الشمس فنزل ودخل المسجد وكان فى صحنه نبقة لم تحمل بعد، فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ فى أصل النبقة وقام وصلى بالناس صلاة المغرب فقرأ فى الأولى منها الحمد وإذا جاء نصر الله، وقرأ فى الثانية الحمد وقل هو الله، وقنت قبل ركوعه فيها وصل الثالثة وتشهد وسلم، ثم جلس هنيهة يذكر الله جل اسمه، وقام من غير أن يعقب فصلى النوافل أربع ركعات وعقب تعقيبها، وسجد سجدتى الشكر ثم خرج، فلما انتهى إلى النبقة رآها الناس وقد حملت حملاً حسناً! فتعجبوا من ذلک وأكلوا منها فوجدوها نبقاً حلواً لا عجم له! وودعوه ومضى من وقته إلى المدينة».

3- إهانة هارون لجنازة الإمام عليه السلام وتكريم عمه لها

قال الطبرسی فی إعلام الوری:2/34:«ولما استشهد صلوات الله علیه أدخل السندی علیه الفقهاء ووجوه الناس من أهل بغداد وفیهم الهیثم بن عدی، فنظروا إلیه لا أثر به من جراح ولا خنق، ثم وضعه علی الجسر ببغداد، وأمر یحیی بن خالد فنودی: هذا موسی بن جعفر الذی تزعم الرافضة أنه لا یموت، قد مات فانظروا إلیه، فجعل الناس یتفرسون فی وجهه وهو میت، ثم حمل فدفن فی مقابر قریش، وکانت هذه المقبرة لبنی هاشم والأشراف من الناس قدیماً».

وروی الصدوق رحمه الله فی کمال الدین/38: «عن الحسن بن عبد الله الصیرفی عن أبیه قال: توفی موسی بن جعفر علیهما السلام فی ید السندی بن شاهک فحمل علی نعش ونودی علیه: هذا إمام الرافضة فاعرفوه! فلما أتیَ به مجلس الشرطة، أقام أربعة نفر فنادوا: ألا من أراد أن ینظر إلی الخبیث بن الخبیث موسی بن جعفر فلیخرج! فخرج سلیمان بن أبی جعفر من قصره إلی الشط فسمع الصیاح والضوضاء فقال لولده وغلمانه: ما هذا؟ قالوا: السندی بن شاهک ینادی علی موسی بن جعفر علی نعش، فقال لولده وغلمانه: یوشک أن یفعل به هذا فی الجانب الغربی، فإذا عبر به فأنزلوا مع غلمانکم فخذوه من أیدیهم فإن مانعوکم فاضربوهم وخرقوا ما علیهم من السواد! قال: فلما عبروا به نزلوا إلیهم فأخذوه من أیدیهم وضربوهم وخرقوا علیهم سوادهم ووضعوه فی مفرق أربع طرق، وأقام المنادین ینادون: ألا مَن أراد أن ینظر إلی الطیب بن الطیب موسی بن جعفر فلیخرج! وحضر الخلق وغسله وحنطه بحنوط وکفنه بکفن فیه حبرة استعملت له بألفی وخمس مائة دینار مکتوباً علیها القرآن کله! واحتفی(خلع نعلیه) ومشی فی جنازته متسلباً مشقوق الجیب، إلی مقابر قریش فدفنه هناک. وکتب بخبره إلی الرشید فکتب إلی سلیمان بن أبی جعفر:وصلت رحمک یا عم، وأحسن الله جزاک والله ما فعل السندی بن شاهک لعنه الله ما فعله عن أمرنا»! والعیون:2/93.

وفی الغیبة للطوسی/23:«فروی یونس بن عبد الرحمن قال: حضر الحسین بن علی الرواسی جنازة أبی إبراهیم علیه السلام فما وضع علی شفیر القبر إذا رسول من سندی بن شاهک قد أتی أبا المضا خلیفته وکان مع الجنازة، أن أکشف وجهه للناس قبل أن تدفنه حتی یروه صحیحاً، لم یحدث به حدث قال: وکشف عن وجه مولای حتی رأیته وعرفته ثم غطی وجهه وأدخل قبره صلی الله علیه».

وفی عیون أخبار الرضا علیه السلام:2/96: «عن سلیمان بن حفص المروزی قال: إن هارون الرشید قبض علی موسی بن جعفر علیه السلام سنه تسع وسبعین ومائة وتوفی فی حبسه ببغداد لخمس لیال بقین من رجب سنه ثلاث وثمانین ومائة وهو ابن سبع وأربعین سنة، ودفن فی مقابر قریش، وکانت إمامته خمساً وثلاثین سنة وأشهراً وأمه أم ولد، یقال لها: حمیدة وهی أم أخویه إسحاق ومحمد ابنی جعفر بن محمد علیهما السلام ونص علی ابنه علی بن موسی الرضا علیه السلام بالإمامة بعده».

وفی مناقب آل أبی طالب:3/441: «قال القاضی:

وهارونکم أردی بغیر جریرة

نجوم تُقَیً مثل النجوم الکواکب

ومأمونکم سم الرضا بعد بیعة

فآدت له شم الجبال الرواسب..

وقال الناشی:

ببغداد وإن ملئت قصورا

قبور أغشت الآفاق نورا

ضریح السابع المعصوم موسی

إمام یحتوی مجداً وخیرا

بأکناف المقابر من قریش

له جدث غدا بهجاً نضیرا

وقبر محمد فی ظهر موسی

یغشی نور بهجته الحضورا

هما بحران من علم وحلم

تجاوز فى نفاستها البحورا

إذا غارت جواهر كل بحر

فجوهرها ينزه أن يغورا

يلوح على السواحل من بغاه

تحصل كفه الدر الخطيرا».

4- سليمان بن أبى جعفر عم هارون

قال عنه فى تاريخ بغداد:9/25: «سـليمان بن أبى جعفر المنصور، وهو عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، يكنى أبا أيوب، حدث عن أبيه روت عنه ابنته زينب وإليه ينسب درب سـليمان ببغداد.». ثم ذكر أنه مات سـنة تسع وتسعين وعمره خمسون سنة، فعمره قريب من عمر هارون.

وتزوج هارون العباسة بنت سليمان سنة187، وتزوج عزيزة مطلقة سليمان وهى بنت خال هارون. (الطبرى:6/540).

وكان سـليمان وبنته زينب يرويان أن جدهم ابن عباس قال لابنه:«يا بنى إذا أفضـى هذا الأمر إلى ولدك فسكنوا السواد ولبسوا السواد، وكان شيعتهم أهل خراسان لم يخرج هذا الأمر منهم إلا إلى عيسى بن مريم»! (تاريخ بغداد:14/435، وتاريخ دمشق:22/336).

وكان سـليمان أحد القادة الثلاثة الذين أرسلهم موسى الهادى لقمع ثورة العلويين فى مكة بقيادة الحسين بن على صاحب فخ رحمه الله ، والآخران: العباس بن محمد بن على، وموسى بن عيسى (تاريخ اليعقوبى:2/404، والوافى:12/282).

وهجا أبو سماعة سليمان فأمر هارون بحلق رأسه ولحيته! (تاريخ دمشق:16 /8).

وكان سـليمان والياً على الكوفة عندما خرج محمد بن إبراهيم بن طباطبا وأبو السـرايا فهزموا جيش الدولة وملكوا الكوفة، ثم عاود العباسيون حملتهم لما مات ابن طباطبا، واسترجعوا الكوفة سنة199. (الطبرى:7/117).

كما كان سـليمان: «أمير دمشق، وليها للرشيد ثم للأمين مرتين، وولى إمرة البصرة مرتين أيضاً». (الأعلام:3/128). وفى عهد ولايته للشام خرج شخص من ذرية يزيد وادَّعى أنه السفيانى: «وكان بنو أمية يروون فيه الروايات ويذكرون أن فيه علامات السفيانى.. وطرد عنها سليمان بن أبى جعفر بعد حصره إياه بدمشق فلم يفلت منهم إلا

بعد اليأس ولحقه الغوغاء والرعاع ونهبوا أواخر عسكره» (تاريخ دمشق:43/29).

وقال فی الأعلام:4/303، عن هذا السفیانی: «کان من أهل العلم والروایة یقول حین یفاخر: أنا ابن شیخیْ صفین! لأن أمه حفیدة علی بن أبی طالب، وأباه حفید معاویة، ویلقبه خصومه بأبی العمیطر وهو الحرذون...فدعا إلی نفسه وطرد عامل الأمین علی دمشق الأمیر سلیمان بن أبی جعفر المنصور، وامتلکها سنة195وبویع بالخلافة وهو ابن تسعین سنة، وکان أصحابه یجولون فی أسواق دمشق ویقولون للناس: قوموا بایعوا مهدی الله»!

و«کان الرکیبی یأخذ البیعة لأبی العمیطر علی الناس فی الأسواق، وکان یدور علی منازل أهل دمشق فمن خرج إلیه أخذ علیه البیعة، ومن لم یخرج یقول: یا غلام سَمِّر بابه وأشمت به جاره»! (تاریخ دمشق:21/97)

وذکر فی الأعلام أنه خرج بعده مسلمة المروانی وزعم أنه السفیانی وقبض علی السفیانی العمیطر وحبسه! ثم هاجم القیسیة مسلمة فهرب فی ثیاب النساء، وبایع أهل الشام للمأمون.

وکان سلیمان المذکور مع الأمین فی حربه مع أخیه المأمون، ولما ضعف أمره راسل سلیمان المأمون! «وکان محمد قد حبس سلیمان بن أبی جعفر وإبراهیم بن المهدی لأمر بلغه، فلما صار هرثمة علی باب بغداد أخرجهما من الحبس، ووجه بهما مع جماعة» (الیعقوبی:2/441)(1).

أقول: یدل تاریخ سلیمان بن أبی جعفر المنصور، علی أنه قام بتکریم جنازة الإمام الکاظم علیه السلام لمصلحة العباسیین، حتی لاتتفاقم علیهم نقمة الناس، خاصة وأن العلویین کانوا ثائرین فی عدة مناطق.

1- راجع فی حیاته: الیعقوبی:2/409 1، وتاریخ خلیفة/366، وتاریخ بغداد:1/105، و107، والوافی:16/383 وتاریخ دمشق:22/337، و:38/117، و:43/27، و:48/236، و:60/352، والطبری:6/485، و:7/25، و50،و:7/77).

5- صار قبر الإمام عليه السلام مزاراً ومشهداً من أول يوم

قال الذهبی فی سیر أعلام النبلاء:6/273: «قلت: له مشـهد عظیم مشهور ببغداد، دفن معه فیه حفیده الجواد. ولولده علی بن موسی مشهد عظیم بطوس. وکانت وفاة موسی الکاظم فی رجب سنة ثلاث وثمانین ومئة. عاش خمساً وخمسین سنة»

وقال أبو الفداء/283: «وتوفی فی هذه السنة أعنی سنة ثلاث وثمانین ومائة، لخمس بقین من رجب ببغداد، وقبره مشهور هناک، وعلیه مشهد عظیم فی الجانب الغربی من بغداد».

وقال السمعانی فی الأنساب:5/405: «الموسوی: بضم المیم والسین المهملة المفتوحة بین الواوین، هذه النسبة لجماعة من السادة العلویة ینتسـبون إلی موسـی الکـاظم، وهو موسـی بن جعفر بن محمـد بن علی بن الحسـین بن علی بن أبی طـالب رضـی الله عنه، وفیهم کـثرة.. ومشهده ببغداد مشهور یزار، یقال له مشهد باب التبن ویقال له مقابر قریش أیضاً، زرته غیر مرة، مع ابن ابنه محمد بن الرضا».

وقـال فی وفیات الأعیان:5/310: «قـال الخطیب:توفی فی الحبس ودفن فی مقـابر الشونیزیین خارج القبـة، وقبره هناک مشـهور یزار وعلیه مشهد عظیم فیه قنادیل الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش ما لا یحد، وهو فی الجانب الغربی».

«قـال الرضـا علیه السـلام: من زار قبر أبی ببغـداد کمن زار قبر رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم وقبر أمیر المؤمنین علیه السـلام إلا أن لرسول الله ولأمیر المؤمنین صلوات الله علیهما فضلهما» (الکافی:4/583).

الفصل الثالث عشر: هارون يقتل الإمام عليه السلام وينكر قتله!

اشارة

1- لما رأى هارون معجزات الإمام عليه السلام قرر قتله!

فى غيبة الطوسى/24: «عن محمد بن عباد المهلبى قال: لما حبس هارون الرشـيد أبا إبراهيم موسى عليه السلام وأظهر الدلائل والمعجزات وهو فى الحبس، تحير الرشـيد فـدعا يحيى بن خالـد البرمكى فقال له: يا أبا على أما ترى ما نحن فيه من هذه العجائب، ألا تدبر فى أمر هذا الرجل تدبيراً يريحنا من غمه؟!

فقال له يحيى بن خالد البرمكى: الذى أراه لک يا أمير المؤمنين أن تمنن عليه وتصل رحمه، فقد والله أفسد علينا قلوب شـيعتنا، وكان يحيى يتولاه وهارون لا يعلم ذلک. فقال هارون: إنطلق إليه وأطلق عنه الحديد، وأبلغه عنى السـلام وقل له: يقول لک ابن عمک: إنه قد سـبق منى فيک يمين أنى لا أخليک حتى تقر لى بالإساءة، وتسألنى العفو عما سلف منک، وليس عليک فى إقرارک عار، ولا فى مسألتک إياى منقصة، وهذا يحيى بن خالد ثقتى ووزيرى وصاحب أمرى فسله بقدر ما أخرج من يمينى، وانصرف راشداً!

قال محمد بن عباد: فأخبرنى موسى بن يحيى بن خالد: أن أبا إبراهيم عليه السلام قال ليحيى: يا أبا على أنا ميت، وإنما بقى من أجلى أسبوع، أكتم موتى وائتنى يوم الجمعـة عند الزوال وصل على أنت وأوليائى فرادى، وانظر إذا سار هذا الطاغية إلى الرقة وعاد إلى العراق، لا يراک ولا تراه لنفسک، فإنى رأيت فى نجمک ونجم ولدک ونجمه، أنه يأتى عليكم فاحذروه! ثم قال: يا أبا على أبلغه عنى: يقول لک موسى بن

جعفر: رسولی یأتیک یوم الجمعة فیخبرک بما تری وستعلم غداً إذا جاثیتک بین یدی الله من الظالم والمعتدی علی صاحبه، والسلام!

فخرج یحیی من عنده، واحمرت عیناه من البکاء حتی دخل علی هارون فأخبره بقصته وما رد علیه، فقال هارون: إن لم یدع النبوة بعد أیام فما أحسن حالنا!

فلما کان یوم الجمعة توفی أبو إبراهیم علیه السلام وقد خرج هارون إلی الرقة قبل ذلک فأُخرج إلی الناس حتی نظروا إلیه ثم دفن علیه السلام ، ورجع الناس فافترقوا فرقتین: فرقة تقول: مات، وفرقة تقول لم یمت»!

ملاحظات:

1- تدل الروایة علی أن هارون کان متخوفاً من معجزات الإمام علیه السلام التی رآها منه فی سجنه الأول والثانی، فطلب من مستشاره یحیی البرمکی أن یقترح علیه عملاً یواجه به معجزات الإمام علیه السلام حتی لا یعتقد الناس بإمامته!

وقد کانت هذه المشکلة مطروحة بین هارون ویحیی من أول خلافته، فقد استقدم الإمام علیه السلام وناظره وحبسه ثم أطلقه، ثم اشتدت عندما حبسه بعد تسع سنوات. وقد یکون طرَح الموضوع مع یحیی قبل سفره إلی الرقة، وأصدر أمره إلی رئیس وزرائه الفضل بن یحیی بأن یقتل الإمام علیه السلام!

2- نصت الروایات علی أن هارون کان عند شهادة الإمام الکاظم علیه السلام فی الرقة وأن وزیره الفضل عصی أمره بقتل الإمام علیه السلام ووسع علیه فی سجنه، فغضب علیه هارون ولعنه، ثم أرسل أباه یحیی مسرعاً علی البرید لیعالج معصیة ابنه ویرتب قتل الإمام علیه السلام! وقد وقع لفظ المدائن بدل الرقة خطأ فی بعض الروایات.کما أن من البعید أن یکون الرشید عاد فی أیام قتله للإمام علیه السلام إلی بغداد «والطریق من بغداد إلی الرقة خمس عشرة مرحلة وطریق آخر من بغداد إلی الرقة

ويؤخذ فى عشر مراحل أو نحوها» (نزهة المشتاق:2/657).

كما أن الرواية تزعم أن يحيى بن خالد كان شيعياً يتولى الإمام الكاظم عليه السلام ويخفى ذلک عن هارون، مع أنه هو الذى سعى بالإمام وحرض هارون عليه! فلا بد من القول إن راويها محمد بن عباد المهلبى تخيل أن يحيى كان شيعياً. والمرجح أن موسى بن يحيى البرمكى هو الذى زعم ذلک لأبيه، بعد أن انتقم الله منه وإخوته! فقد كان موسى والياً على الشام وعزله هارون فى غضبه على البرامكة (تاريخ دمشق:61/232، والطبرى:6/457. وفى الأعلام (7/331) أن المأمون ولاه السند، وبقى أولاده فيها، ومعجم البلدان:1/510، واليعقوبى:2/479).

وقال فى عيون أخبار الرضا عليه السلام:2/82:«ثم سلم إلى السندى بن شاهک فحبسه وضيق عليه ثم بعث الرشيد بسم فى رطب، وأمره أن يقدمه إليه ويحتم عليه فى تناوله منه، ففعل فمات صلوات الله عليه»!

وقال المفيد فى الإرشاد:2/242: «ثم خرج يحيى بن خالد بنفسه على البريد حتى وافى بغداد فماج الناس وأرجفوا بكل شىء وأظهر أنه ورد لتعديل السواد والنظر فى أمر العمال، وتشاغل ببعض ذلک أياماً، ثم دعا السندى فأمره فيه بأمره فامتثله! وكان الذى تولى به السندى قتله سُمَّاً جعله فى طعام قدمه إليه، ويقال إنه جعله فى رطب أكل منه فأحس بالسم، ولبث ثلاثاً بعده موعوكاً منه، ثم مات فى اليوم الثالث».

وفى إعلام الورى:2/61: «فوسع عليه الفضل بن يحيى وأكرمه، فبلغ ذلک الرشيد وهو بالرقة فكتب إليه يأمره بقتله فتوقف عن ذلک، فاغتاظ الرشيد لذلک وتغير عليه وأمر به فأدخل على العباس بن محمد وجرد وضرب مائة سوط! وأمر بتسليم موسى بن جعفر عليهما السلام إلى السندى بن شاهک.وبلغ يحيى بن خالد الخبر ففزع إلى الرشيد وقال له: أنا أكفل بما تريد، ثم خرج إلى بغداد ودعا بالسندى وأمره فيه

بأمره، فامتثله وسمه فی طعام قدمه إليه ويقال إنه جعله فی رطب أكل منه فأحس بالسم ولبث بعده موعوكاً ثلاثة أيام ومات عليه السلام».

وفی تاريخ ابن خلدون:4/29: «وحبسه عند ابن شاهک، ويقال إن يحيى بن خالد سمه فی رطب فقتله وتوفی سنة ثلاث وثمانين ومائة. وزعم شيعتهم أن الإمام بعده ابنه علی الرضا وكان عظيماً فی بنی هاشم».

2- هارون يحاول إثبات براءته من دم الإمام عليه السلام

روی فی الكافی:1/258: «عن الحسن بن محمد بن بشار قال: حدثنی شيخ من أهل قطيعة الربيع من العامة ببغداد، ممن كان ينقل عنه، قال قال لی: قد رأيت بعض من يقولون بفضله من أهل هذا البيت، فما رأيت مثله قط فی فضله ونسكه! فقلت له: من وكيف رأيته؟ قال: جمعنا أيام السندی بن شاهک ثمانين رجلاً من الوجوه المنسوبين إلى الخير، فأدخلنا علی موسی بن جعفر فقال لنا السندی: يا هؤلاء أنظروا إلى هذا الرجل هل حدث به حدث؟ فإن الناس يزعمون أنه قد فعل به ويكثرون فی ذلک، وهذا منزله وفراشه موسع عليه غير مضيق، ولم يرد به أمير المؤمنين سوءً، وإنما ينتظر به أن يقدم فيناظر أمير المؤمنين! وهذا هو صحيح موسع عليه فی جميع أموره فسلوه.قال: ونحن ليس لنا هم إلا النظر إلى الرجل والی فضله وسمته، فقال موسی بن جعفر: أما ما ذكر من التوسعة وما أشبهها فهو علی ما ذكر، غير أنی أخبركم أيها النفر أنی قد سقيت السم فی سبع تمرات وأنا غداً أَخْضَرُّ، وبعد غد أموت قال: فنظرت إلى السندی بن شاهک يضطرب ويرتعد مثل السعفة»! ورواه أمالی الصدوق/213، وغيبة الطوسی/32، وقرب الإسناد/333، والعيون:2/91، وفيه:«قال الحسن: وكان هذا الشيخ من خيار العامة، شيخ صدوق مقبول القول، ثقة جداً عند الناس».

وفی عيون أخبار الرضا عليه السلام:2/91: «حدثنی عمر بن واقد قال: أرسل

السندی بن شاهک فی بعض اللیل وأنا ببغداد یستحضرنی، فخشیت أن یکون ذلک لسوء یریده بی.قال فأوصیت عیالی بما احتجت إلیه وقلت: إنا لله وانا إلیه راجعون،ثم رکبت إلیه فلما رآنی مقبلاً قال: یا أبا حفص لعلنا أرعبناک وأفزعناک؟ قلت: نعم قال: فلیس هناک إلا خیر. قلت: فرسول تبعثه إلی منزلی یخبرهم بخبری. قال: نعم ثم قال: یا أبا حفص أتدری لم أرسلت إلیک؟ فقلت: لا، قال: أتعرف موسی بن جعفر؟قلت: إی والله إنی لأعرفه وبینی وبینه صداقه منذ دهر، فقال: مَن هاهنا ببغداد یعرفه ممن یقبل قوله؟ فسمیت له أقواماً، ووقع فی نفسی أنه قد مات! قال: فبعث فجاء بهم کما جاء بی فقال: هل تعرفون قوماً یعرفون موسی بن جعفر؟ فسموا له قوماً فجاء بهم، فأصبحنا ونحن فی الدار نیف وخمسون رجلاً ممن یعرف موسی بن جعفروقد صحبه، قال ثم قام ودخل، وصلینا، فخرج کاتبه ومعه طومار وکتب أسماءنا ومنازلنا وأعمالنا وحلانا، ثم دخل إلی السندی قال: فخرج السندی فضرب یده فقال لی: قم یا أبا حفص فنهضت ونهض أصحابنا ودخلنا، فقال لی: یا أبا حفص إکشف الثوب عن وجه موسی بن جعفر فکشفته فرأیته میتاً، فبکیت واسترجعت، ثم قال للقوم: أنظروا إلیه فدنا واحد واحد فنظروا إلیه، ثم قال: تشهدون کلکم أن هذا موسی بن جعفر بن محمد؟قال قلنا: نعم نشهد أنه موسی بن جعفر بن محمد. ثم قال: یا غلام إطرح علی عورته منديلاً واکشفه، قال ففعل قال: أترون أثراً تنکرونه؟ فقلنا: لا ما نری به شیئاً ولا نراه إلا میتاً.قال: فلا تبرحوا حتی تغسلوه وتکفنوه قال: فلم نبرح حتی غسل وکفن وحمل إلی المصلی، فصلی علیه السندی بن شاهک، ودفناه ورجعنا».

وفی الإرشاد:2/243: «ولما مات موسی علیه السلام أدخل السندی بن شاهک علیه الفقهاء ووجوه أهل بغداد، وفیهم الهیثم بن عدی وغیره، فنظروا إلیه لا أثر به من جراح ولا خنق، وأشهدهم علی أنه مات حتف أنفه فشهدوا علی ذلک. وأخرج

ووضع على الجسر ببغداد، ونودى: هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا إليه، فجعل الناس يتفرسون فى وجهه وهو ميت» وإعلام الورى:2/34.

قال الطوسى فى الغيبة/23: «فروى يونس بن عبد الرحمن قال: حضر الحسين بن على الرواسى جنازة أبى إبراهيم عليه السلام فما وضع على شفير القبر، إذا رسول من سندى بن شاهک قد أتى أبا المضا خليفته وكان مع الجنازة أن اكشف وجهه للناس قبل أن تدفنه حتى يروه صحيحاً لم يحدث به حدث! قال: وكشف عن وجه مولاى حتى رأيته وعرفته، ثم غطى وجهه وأدخل قبره صلى الله عليه».

وفى عيون أخبار الرضا عليه السلام:1/96: «عن محمد بن صدقه العنبرى قال: لما توفى أبو إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام جمع هارون الرشيد شيوخ الطالبية وبنى العباس وساير أهل المملكة والحكام، وأحضر أبا إبراهيم موسى بن جعفر فقال: هذا موسى بن جعفر قد مات حتف أنفه، وما كان بينى وبينه ما أستغفر الله منه فى أمره يعنى فى قتله، فانظروا إليه فدخلوا عليه سبعون رجلاً من شيعته فنظروا إلى موسى بن جعفر عليه السلام وليس به أثر جراحه ولا خنق وكان فى رجله أثر الحناء فأخذه سليمان بن أبى جعفر فتولى غسله وتكفينه، وتحفى وتحسر فى جنازته».

أقول: كان هارون عند شهادة الإمام عليه السلام فى الرقة، ومن البعيد أنه جاء إلى بغداد فيكون السندى بن شاهک هو الذى جمعهم وأبلغهم كلام هارون هذا.

ومن الملاحظ أن هارون حاول بواسطة السندى أن يبعد التهمة عن نفسه، بأساليب متعددة، لكن كيف يمكنه ذلک والإمام عليه السلام فى سجنه، وقد غضب على وزيره لأنه لم يمتثل أمره فيه! ولعنه وهو فى الرقة، وبعث من يهينه ويضربه وبعث أباه لينفذ مالم ينفذه الإبن!

إن هذه النصوص كافية لإدانة هارون، فكيف إذا ضممنا اليها غيرها وهو كثير!

الفصل الرابع عشر: بعض أخبار الإمام الكاظم عليه السلام فى السجن

اشارة

1- كان عليه السلام يشكر الله لأنه فرغه لعبادته!

فی عیون أخبار الرضا علیه السلام:1/88 : ««حدثنا الثوبانی قال: کانت لأبی الحسن موسی بن جعفر بضع عشره سنة کل یوم سجدة انقضاضَ الشمس إلی وقت الزوال، فکان هارون ربما صعد سطحاً یشرف منه علی الحبس الذی حبس أبو الحسن، فکان یری أبا الحسن ساجداً فقال للربیع: یا ربیع ما ذاک الثوب الذی أراه کل یوم فی ذلک الموضع؟! فقال: یا أمیر المؤمنین ما ذاک بثوب، وإنما هو موسی بن جعفر، له کل یوم سجدة بعد طلوع الشمس إلی وقت الزوال!

قال الربیع: فقال لی هارون: أما إن هذا من رهبان بنی هاشم! قلت: فمالک قد ضیقت علیه الحبس؟ قال: هیهات لا بد من ذلک»!

أقول: یظهر أن ذلک کان فی حبسه علیه السلام أول خلافة الرشید، حیث کان حاجبه الربیع مسؤولاً عن حبس الإمام علیه السلام. أما الخبر التالی فهو عن حبسه آخر مرة، لأنه کان عند الفضل بن الربیع ثم عند الفضل بن یحیی، ثم عند السندی.

فی عیون أخبار الرضا علیه السلام:2/98، عن عبد الله الفروی قال: «دخلت علی الفضل بن الربیع وهو جالس علی سطح فقال لی: أدن فدنوت حتی حاذیته ثم قال لی: أشرف إلی بیت الدار فأشرفت فقال: ما تری فی البیت؟ فقلت: ثوباً مطروحاً! فقال: أنظر حسناً، فتأملت ونظرت فتیقنت فقلت: رجل ساجد! فقال لی: تعرفه؟ قلت: لا قال: مولاک! قلت: ومن مولای؟ فقال: تتجاهل علیَّ! فقلت: ما

أتجاهل ولكنى لا أعرف لى مولى، فقال: هـذا أبو الحسن موسـى بن جعفر! إنى أتفقده الليل والنهار فلا أجده فى وقت من الأوقات إلا على الحـال التى أخبرک بهـا، إنه يصـلى الفجر فيعقب ساعـة دبر الصـلاة إلى أن تطلع الشـمس، ثم يسـجد سـجدةً فلا يزال ساجـداً حتى تزول الشـمس، وقد وكل من يترصد له الزوال، فلست أدرى متى يقول الغلام: قد زالت الشمس، إذ يثب فيبتدئ الصلاة من غير أن يُحدث، فأعلم أنه لم ينم فى سـجوده ولا أغفى، ولا يزال إلى أن يفرغ من صـلاة العصر، فإذا صلى سجد سجدةً فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس، فإذا غابت الشـمس وثب من سـجدته فصـلى المغرب من غير أن يحدث حدثاً! ولا يزال صـلاته وتعقيبه إلى أن يصلى العتمة، فإذا صلى العتمة أفطر على شِوىً يؤتى به، ثم يجـدد الوضوء، ثم يسـجد ثم يرفع رأسه فينام نومته خفيفه ثم يقوم فيجـدد الوضوء، ثم يقوم فلا يزال يصـلى فى جوف الليل حتى يطلع الفجر. فلست أدرى متى يقول الغلام إن الفجر قد طلع؟! إذ قد وثب هو لصـلاة الفجر! فهذا دأبه منذ حول إلى الآن! فقلت: إتق الله ولا تحـدثن فى أمره حـدثاً يكون فيه زوال النعمـة، فقد تعلم أنه لم يفعل أحد بأحد منهم سوءً إلا كانت نعمته زائلة! فقال: قد أرسلوا إلىَّ غير مرة يأمرونى بقتله فلم أجبهم إلى ذلک، وأعلمتهم أنى لا أفعل ذلک، ولو قتلونى ما أجبتهم إلى ما سألونى!

فلما كان بعد ذلک، حُوِّلَ إلى الفضل بن يحيى البرمكى فحبس عنده أياماً، فكان الفضل بن الربيع يبعث إليه فى كل يوم مائدة، حتى مضـى ثلاثـة أيام ولياليها، فلما كانت الليلـة الرابعة قدمت مائدة للفضل بن يحيى فرفع عليه السـلام يده إلى السـماء فقال: يا رب إنک تعلم أنى لو أكلت قبل اليوم كنت قد أعنت على نفسـى! فأكل فمرض فلما كان الغد جاءه الطبيب فعرض عليه خضـرة فى بطن راحته، وكان السم الذى سُمَّ به قـد اجتمع فى ذلـک الموضع، فانصـرف الطبيب إليهم فقـال: والله لهو أعلم بما فعلتم به منكم، ثم توفى عليه السـلام»! ونحوه أمالى الصدوق/210

وفی مناقب آل أبی طالب:3/440: «وقال أحمد بن عبد الله: لما نقل الكاظم علیه السلام من دار الفضل بن الربیع إلی الفضل بن یحیی البرمكی كان ابن الربیع یبعث إلیه فی كل لیلة مائدة ومنع أن یدخل من عند غیره حتی مضی ثلاثة أیام، فلما كانت اللیلة الرابعة قدمت إلیه مائدة البرمكی قال: فرفع رأسه إلی السماء فقال: یا رب أنک تعلم أنی لو أكلت قبل الیوم كنت أعنت علی نفسی! قال فأكل فمرض، فلما كان من الغد بعث إلیه بالطبیب فقال علیه السلام: هذه علتی، وكانت خضرة فی وسط راحته تدل علی أنه سم، فانصرف إلیهم وقال: والله لهو أعلم بما فعلتم به منكم»!

وفی تاریخ أبی الفداء/293: «ثم دخلت سنة ثلاث وثمانین ومائة، فیها توفی موسی الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علی زین العابدین بن الحسین بن علی بن أبی طالب، ببغداد فی حبس الرشید وحبسه عند السندی بن شاهک... وكان یلقب الكاظم: لأنه كان یحسن إلی من یسیء إلیه... وتوفی فی هذه السنة أعنی سنة ثلاث وثمانین ومائة، لخمس بقین من رجب ببغداد وقبره مشهور هناک، وعلیه مشهد عظیم فی الجانب الغربی من بغداد».

أقول: یفهم من قوله علیه السلام:«یا رب إنک تعلم أنی لو أكلت قبل الیوم كنت قد أعنت علی نفسی»! أن السم قدم له مرات قبل ذلک وعرفه الله إیاه فتجنبه، وكان تناوله علیه حراماً، أما فی هذه المرة فكان مأموراً بتناوله!

كما لایتنافی مع ماروا‌ه فی رجال الطوسی(2/863): «عن عبد الله بن طاووس، قال: سألت أبا الحسن الرضا علیه السلام...إن یحیی بن خالد سم أباک موسی بن جعفر صلوات الله علیه؟ قال: نعم سمه فی ثلاثین رطبة، قلت له: فما كان یعلم أنها مسمومة؟ قال: غاب عنه المحدث. قلت: ومن المحدث؟ قال: ملک أعظم من جبریل وMیكائیل كان مع رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وهو مع الأئمة صلوات الله

عليهم وليس كل ما طلب وجـد»! فإنها تـدل على غياب روح القـدس عنـد تناوله الطعام، فكأنه عليه السـلام أمره إن غاب عنه، أن يأكل ما يقدمونه له!

ولا يرد الإشكال: كيف يأذن أو يأمر الله تعالى عبده بأن يتناول السم؟ لأن تكليف المعصوم عليه السلام غير تكليفنا، ولأن الله تعالى:

((لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)).

2- رسالة الإمام عليه السلام إلى هارون الرشيد

روت عامة المصادر أن الإمام الكاظم عليه السلام أرسل من سجنه إلى هارون الرشيد رسالة مختصرة، لابد أنها هزت الرشيد ونغصت عليه عيشه، وهذا نصها:

«إنـه لن ينقضـى عنى يـوم من البلاـء إلاـ انقضـى عنـک معه يـوم من الرخـاء، حـتى نقضـى جميعـاً إلى يـوم ليس له انقضـاء، يخسـر فيه المبطلون»![(1)](#).

3- رسالة الإمام عليه السلام إلى يحيى بن خالد البرمكى

روى الطوسى فى الغيبة/51، عن «داود بن زربى قال: بعث إلى العبـد الصالـح عليه السـلام وهو فى الحبس فقال: إئت هـذا الرجل، يعنى يحيى بن خالـد فقل له: يقول لک أبو فلان: ما حملک على ما صـنعت؟ أخرجتنى من بلادى، وفرقت بينى وبين عيالى! فأتيته وأخبرته فقال: زبيـدة طـالق وعليه أغلـظ الأيمان، لوددت أنه غرم الساعـة ألفى ألف وأنت خرجت، فرجعت إليه فأبلغته فقال:إرجع إليه فقل له: يقول لک: والله لتخرجنى أو لأخرجن»!

أقول: يبدو أن هذه الرسالة فى الحبس الأول للإمام عليه السلام ففيها دعا

1- تاريخ بغداد:13/32، وتهذيب الكمال:29/50، وسير الذهبى:6/273، وكامل ابن الأثير:6/164، وتاريخ الذهبى:12/417، والفصول المهمة:2/958، وصفة الصفوة:2/187، والمنتظم:9/88

بالدعاء الذی تقدم:«فقال: یا سیدی نجنی من حبس هارون، وخلصنی من یده. یا مخلص الشجر من بین رمل وطین، ویا مخلص اللبن من بین فرث ودم، ویا مخلص الولد من بین مشیمة ورحم، ویا مخلص النار من الحدید والحجر، ویا مخلص الروح من بین الأحشاء والأمعاء، خلصنی من ید هارون»

ویظهر أن یحیی البرمکی هو الذی کان سعی به وأمر الرشید بإحضاره وحبسه وذلک فی أول خلافة هارون، وقد کانت کل أمور هارون بید یحیی!

4- عاهرة الرشید صارت عابدة!

قال فی مناقب آل أبی طالب:3/415: «فی کتاب الأنوار، قال العامری: إن هارون الرشید أنفذ إلی موسی بن جعفر جاریة حصیفة لها جمال ووضاءة، لتخدمه فی السجن، فقال علیه السلام: قل له:

((بَلْ أَنتُم بِهَدِیَّتِکُمْ تَفْرَحُونَ))،

لاحاجة لی فی هذه ولا فی أمثالها! قال: فاستطار هارون غضباً وقال: إرجع إلیه وقل له: لیس برضاک حبسناک، ولا برضاک أخدمناک، واترک الجاریة عنده وانصرف!

قال فمضی ورجع، ثم قام هارون عن مجلسه. وأنفذ الخادم إلیه لیتفحص عن حالها فرآها ساجدة لربها لا ترفع رأسها تقول: قدوس سبحانک سبحانک، فقال هارون: سحرها والله موسی بن جعفر بسحره، علیَّ بها! فأتیَ بها وهی ترتعد شاخصة نحو السماء بصرها، فقال: ما شأنک؟ قالت: شأنی الشأن البدیع إنی کنت عنده واقفة وهو قائم یصلی لیله ونهاره، فلما انصرف من صلاته بوجهه وهو یسبح الله ویقدسه قلت: یا سیدی هل لک حاجة أعطیکها؟ قال: وما حاجتی إلیک! قلت: إنی أدخلت علیک لحوائجک، قال: فما بال هؤلاء قالت: فالتفتُّ فإذا روضةٌ مزهرة لا أبلغ آخرها

من أولها بنظرى، ولا أولها من آخرها، فيها مجالس مفروشة بالوشى والديباج، وعليها وصفاء ووصايف، لم أر مثل وجوههم حسناً، ولا مثل لباسهم لباساً، عليهم الحرير الأخضر والأكاليل والدر والياقوت، وفى أيديهم الأباريق والمناديل، ومن كل الطعام، فخررت ساجدة حتى أقامنى هذا الخادم، فرأيت نفسى حيث كنت!

قال فقال هارون: يا خبيثة لعلک سجدت فنمت، فرأيت هذا فى منامک!

قالت: لا والله يا سيدى إلا قبل سجودى رأيت، فسجدت من أجل ذلک!

فقال الرشيد: إقبض هذه الخبيثة إليک، فلا يسمع هذا منها أحد!

فأقبلت فى الصلاة، فإذا قيل لها فى ذلک قالت: هكذا رأيت العبد الصالح، فسئلت عن قولها؟ قالت: إنى لما عاينت من الأمر نادتنى الجوارى يا فلانة إبعدى عن العبد الصالح حتى ندخل عليه، فنحن له دونک!

فما زالت كذلک حتى ماتت! وذلک قبل موت موسى عليه السلام بأيام يسيرة»!

5- فقهاء السلطة يزورون الإمام عليه السلام فى السجن

التقى الإمام عليه السلام فى سجنه وسفره بكثيرين، وهدى الله بعضهم على يده، كالمسيب بن زهير، وغلام السندى بن شاهک، والجارية التى بعثها الرشيد!

فى الخرائج:1/322: «عن إسحاق بن عمار قال: لما حبس هارون أبا الحسن موسى دخل عليه أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبى حنيفة، فقال أحدهما للآخر: نحن على أحد أمرين إما أن نساويه، وإما أن نشاكله، فجلسا بين يديه، فجاء رجل كان موكلاً به من قبل السندى بن شاهک فقال: إن نوبتى قد انقضت وأنا على الإنصراف، فإن كانت لک حاجة أمرتنى حتى آتيک بها فى الوقت الذى تلحقنى النوبة؟فقال له: ما لى حاجة. فلما أن خرج قال لأبى يوسف ومحمد بن الحسن: ما

أعجب هـذا يسألنى أن أكلفه حاجـة من حوائجى ليرجع، وهو ميت فى هذه الليلة! قال فغمز أبو يوسف محمد بن الحسن للقيام فقاما، فقال أحدهما للآخر: إنا جئنا لنسأله عن الفرض والسنة وهو الآن جاء بشىء آخر كأنه من علم الغيب! ثم بعثا برجل مع الرجل فقالا: إذهب حتى تلزمه وتنتظر ما يكون من أمره فى هـذه الليلة وتأتينا بخبره من الغد! فمضـى الرجل فنام فى مسـجد عند باب داره فلما أصـبح سـمع الواعية ورأى الناس يـدخلون داره، فقال: ما هـذا؟ قالوا: قـد مات فلان فى هـذه الليلـة فجأة من غير علـة! فانصـرف الرجل إلى أبى يوسف ومحمد وأخبرهمـا الخبر، فأتيـا أبا الحسن عليه السـلام فقالا: قـد علمنا أنک قـد أدركت العلم فى الحلال والحرام، فمن أين أدركت أمر هـذا الرجل الموكل بک أنه يموت فى هذه الليلة؟ قال: من الباب الذى أخبر بعلمه رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم على بن أبى طالب عليه السلام! فلما أورد عليهما هذا بقيا لا يحيران جواباً»!

أقول: يقصد الإمام عليه السـلام ما أخرجه الطبرانى فى الأوسط (2 / 213) عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم قال فى مرضه: أدعوا لى أخى فدعوا له أبا بكر فأعرض عنه، ثم قال:أدعوا لى أخى، فدعوا له عمر فأعرض عنه، ثم قال:أدعوا لى أخى، فدعوا له عثمـان فـأعرض عنه،ثم قـال: أدعوا لى أخى، فـدعى له على بن أبى طـالب فستره بثوب وأكب عليه، فلمـا خرج من عنـده قيـل له: مـا قال؟ قال:علمنى ألف باب يفتح كل باب إلى ألف باب»! وتاريخ دمشق:42/385.

وفى بصائر الدرجات/326: «عن الأصـبغ بن نباته قال أمرنا أمير المؤمنين عليه السـلام بالمسـير إلى المداين من الكوفة، فسـرنا يوم الأحد وتخلف عمرو بن حريث فى سـبعة نفر فخرجوا إلى مكان بالحيرة تسـمى الخورنق قالوا نتنزه فإذا كان يوم الأربعاء لحقنا علياً قبل أن يُجَمِّع. فبينـا هم يتغـذون إذ خرج عليهم ضب فصـادوه فأخـذه عمرو بن حريث فبسـط كفاً فقال: بايعوه هـذا أمير المؤمنين! فبايعه السـبعة وعمرو ثامنهم!

وارتحلوا ليلة الأربعاء فقدموا المداين يوم الجمعة وأمير المؤمنين على المنبر يخطب، ولم يفارق بعضهم بعضاً وكانوا جميعاً حتى نزلوا باب المسجد، فلما دخلوا نظر إليهم أمير المؤمنين فقال: يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسرَّ إليَّ الف حديث، فى كل حديث ألف باب، لكل باب مفتاح، وإنى سمعت الله يقول:

((يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ))،

وإنى أقسم لكم بالله ليبعثن ثمانية نفر إمامهم الضب، ولو شئت أن أسميهم فعلت! قال: فلو رأيت عمرو بن حريث ينتفض كما تنتفض السعفة»!

6- كان عليه السلام يجيب من السجن على بعض الرسائل

فقد رويت إجاباته عليه السلام لمحمد بن أبى عمير وعلى بن سويد السائى، نسبة إلى الساية قرية قرب المدينة (النجاسى/276) وهما من كبار شخصيات شيعته.

ففى الكافى:8/124: «عن على بن سويد قال: كتبت إلى أبى الحسن موسى عليه السلام وهو فى الحبس كتاباً أسأله عن حاله وعن مسائل كثيرة، فاحتبس الجواب على أشهر، ثم أجابنى بجواب هذه نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله العلى العظيم الذى بعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من فى السماوات ومن فى الأرض إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة، والأديان المتضادة، فمصيب ومخطئ، وضال ومهتدى، وسميع، وأصم وبصير، وأعمى حيران.فالحمد لله الذى عرف ووصف دينه محمد صلى الله عليه وآله وسلم.أما بعد فإنک أمرؤ أنزلک الله من آل محمد بمنزلة خاصة وحفظ مودة ما استرعاک من دينه، وما ألهمک من رشدک وبصرک من أمر دينک، بتفضيلک إياهم وبردک الأمور إليهم.

كتبت تسألنى عن أمور كنت منها فى تقية، ومن كتمانها فى سعة، فلما انقضى

سلطان الجبابرة، وجاء سلطان ذى السلطان العظيم بفراق الدنيا المذمومة إلى أهلها، العتاة على خالقهم، رأيت أن أفسر لک ما سألتنى عنه، مخافة أن تدخل الحيرة على ضعفاء شيعتنا من قبل جهالتهم، فاتق الله عز ذكره وخص بذلک الأمر أهله، واحذر أن تكون سبب بلية على الأوصياء أو حارشاً عليهم بإفشاء ما استودعتک، وإظهار ما استكتمتک، ولن تفعل إن شاء الله.

إن أول ما أنهى إليک أنى أنعى إليک نفسى فى ليالَّى هذه، غير جازع ولا نادم ولا شاک فيما هو كائن، مما قد قضى الله عز وجل وحتم، فاستمسک بعروة الدين، آل محمد والعروة الوثقى الوصى بعد الوصى، والمسالمة لهم والرضا بما قالوا، ولا تلتمس دين من ليس من شيعتک، ولا تحبن دينهم فإنهم الخائنون الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أماناتهم! وتدرى ما خانوا أماناتهم؟ ائتمنوا على كتاب الله فحرفوه وبدلوه، ودلوا على ولاة الأمر منهم فانصرفوا عنهم، فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون!

وسألت عن رجلين اغتصبا رجلاً مالاً كان ينفقه على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل وفى سبيل الله، فلما اغتصباه ذلک لم يرضيا حيث غصباه حتى حملاه إياه كرهاً فوق رقبته إلى منازلهما، فلما أحرزاه توليا إنفاقه، أيبلغان بذلک كفراً؟ فلعمرى لقد نافقا قبل ذلک وردا على الله عز وجل كلامه، وهزئا برسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهما الكافران عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

والله ما دخل قلب أحد منهما شىء من الإيمان منذ خروجهما من حالتيها، وما ازدادا إلا شكاً! كانا خداعين مرتابين منافقين حتى توفتهما ملائكة العذاب إلى محل الخزى فى دار المقام! وسألت عمن حضر ذلک الرجل وهو يغصب ماله ويوضع على رقبته؟ منهم عارف ومنكر، فأولئک أهل الردة الأولى من هذه الأمة فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وسألت عن مبلغ علمنا وهو على ثلاثة وجوه: ماض وغابر وحادث، فأما الماضى فمفسر، وأما الغابر فمزبور، وأما الحادث فقذف فى القلوب ونقر فى الأسماع وهو أفضل علمنا، ولا نبى بعد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وسألت عن أمهات أولادهم وعن نكاحهم وعن طلاقهم، فأما أمهات أولادهم فهن عواهر إلى يوم القيامة، نكاح بغير ولى وطلاق فى غير عدة.

وأما من دخل فى دعوتنا فقد هدم إيمانه ضلاله ويقينه شكه.

وسألت عن الزكاة فيهم، فما كان من الزكاة فأنتم أحق به، لأنا قد أحللنا ذلک لكم، من كان منكم وأين كان.

وسألت عن الضعفاء فالضعيف من لم ترفع إليه حجة ولم يعرف الإختلاف، فإذا عرف الإختلاف فليس بضعيف.

وسألت عن الشهادات لهم فأقم الشهادة لله عز وجل ولو على نفسک والوالدين والأقربين، فيما بينک وبينهم فإن خفت على أخيک ضيماً فلا.

وادع إلى شرائط الله عز ذكره بمعرفتنا من رجوت إجابته، ولا تحصن بحصن رياء. ووال آل محمد ولا تقل لما بلغک عنا ونسب إلينا هذا باطل وإن كنت تعرف منا خلافه، فإنک لا تدرى لمَ قلناه وعلى أى وجه وصفناه!

آمن بما أخبرک ولا تفش ما استكتمناک من خبرک، إن واجب حق أخيک أن لا تكتمه شيئاً تنفعه به لأمر دنياه وآخرته، ولا تحقد عليه وإن أساء، وأجب دعوته إذا دعاک، ولا تخل بينه وبين عدوه من الناس وإن كان أقرب إليه منک. وعده فى مرضه، ليس من أخلاق المؤمنين الغش ولا الأذى ولا الخيانة ولا الكبر ولا الخنا ولا الفحش ولا الأمر به. فإذا رأيت المشوه الاعرابى فى جحفل جرار فانتظر فرجک ولشيعتک المؤمنين، وإذا انكسفت الشمس فارفع بصرک إلى السماء وانظر ما فعل الله عز وجل بالمجرمين. فقد فسرت لک جملا مجملا وصلى الله على محمد وآله الأخيار». ورجال الطوسى:2/754.

7- غلام السندی بن شاهک یتشیع!

فی رجال الطوسی:2/737: «عن بشار مولی السندی بن شاهک قال: کنت من أشد الناس بغضاً لآل أبی طالب، فدعانی السندی بن شاهک یوماً فقال لی: یا بشار إنی أریـد أن أئتمنک علی ما ائتمننی علیه هارون، قلت: إذن لا أبقی فیه غایـة فقال: هـذا موسـی بن جعفر قد دفعه إلی وقـد وکلتـک بحفظه، فجعله فی دار دون حرمه ووکلنی علیه، فکنت أقفل علیه عـدة أقفال، فإذا مضـیت فی حاجـة وکلت امرأتی بالباب فلا تفارقه حتی أرجع!

قال بشار: فحول الله ما کان فی قلبی من البغض حباً! قال: فدعانی علیه السـلام یوماً فقال: یا بشار إمض إلی سـجن القنطرة فادع لی هند بن الحجاج وقل له: أبو الحسن یأمرک بالمصـیر إلیه، فإنه سـینهرک ویصـیح علیک، فإذا فعل ذلک فقل له: أنا قـد قلت لک وأبلغت رسالته، فإن شئت فافعـل مـا أمرنی وإن شـئت فلاـ تفعل، واترکه وانصـرف! قال: ففعلت ما أمرنی وأقفلت الأبواب کما کنت أقفل وأقعـدت امرأتی علی الباب وقلت لها: لا تبرحی حتی آتیک! وقصـدت إلی سـجن القنطرة فـدخلت إلی هنـد بن الحجاج فقلت: أبو الحسن یأمرک بالمصـیر إلیه قال: فصاح علی وانتهرنی فقلت له: أنا قد أبلغتک وقلت لک فإن شـئت فافعل وإن شئت فلا تفعل، وانصرفت وترکته وجئت إلی أبی الحسن علیه السـلام فوجـدت امرأتی قاعـدة علی الباب والأبواب مغلقـة، فلم أزل أفتـح واحداً واحداً منها حتی انتهیت إلیه فوجدته وأعلمته الخبر، فقال: نعم قـد جاءنی وانصـرف، فخرجت إلی امرأتی فقلت لها: جاء أحـد بعـدی فـدخل هـذا الباب؟ فقالت: لا والله ما فارقت الباب ولا فتحت الأقفال حتی جئت.

قال: وروانی علی بن محمد بن الحسن الأنباری أخو صندل قال: بلغنی من جهة أخری أنه لما صار إلیه هند بن الحجاج قال له العبد الصالح عند انصرافه: إن شئت رجعت إلی موضعک ولک الجنة، وإن شئت انصرفت إلی منزلک! فقال: أرجع إلی موضعی إلی السجن».

8- كان الإمام عليه السلام يخرج من السجن بنحو الإعجاز

ذكرت الروايات أن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام كان يخرج من سجنه أو من إقامته الجبرية بنحو الإعجاز، ويرجع إلى بغداد ، أو إلى سجنه وقيوده!

1- ففى مناقب آل أبى طالب:3/420، أنه عليه السلام: «دعا بالمسيب وذلک قبل وفاته بثلاثة أيام وكان موكلاً به فقال له: يا مسيب إنى ظاعن فى هذه الليلة إلى المدينة مدينة جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأعهد إلى على ابنى ما عهده إلىَّ أبى وأجعله وصيى وخليفتى وآمره بأمرى! فقال المسيب: كيف تأمرنى أن أفتح لک الأبواب وعليها أقفالها والحرس معى على الأبواب؟!

فقال: يا مسيب ضعف يقينک فى الله عز وجل وفينا؟ قلت: لا يا سيدى، قال: فسمعته يدعو ثم فقدته عن مصلاه فلم أزل قائماً على قدمى حتى رأيته قد عاد إلى مكانه، وأعاد الحديد إلى رجليه، فخررت لله ساجداً شاكراً على ما أنعم علىَّ به من معرفته، فقال لى: إرفع رأسک يا مسيب واعلم أنى راحل إلى الله عز وجل فى ثالث هذا اليوم! لا تبک يا مسيب فإن علياً ابنى هو إمامک ومولاک بعدى فأئته فتمسک بولايته فإنک لن تضل ما لزمته»!

2- روى فى مناقب آل أبى طالب:3/414، عن البرجمى: «جمعنى مسجد بإزاء دار السندى بن شاهک وابن السكيت، فتفاوضنا فى العربية ومعنا رجل لا نعرفه، فقال: يا هؤلاء أنتم إلى إقامة دينكم أحوج منكم إلى إقامة ألسنتكم وساق الكلام إلى إمام الوقت، وقال: ليس بينكم وبينه غير هذا الجدار!

قلنا: تعنى هذا المحبوس موسى؟ قال: نعم، قلنا: سترنا عليک فقم من عندنا خيفة أن يراک أحد جليسنا فنؤخذ بک! قال: والله لا يفعلون ذلک أبداً والله ما قلت لكم إلا بأمره وإنه ليرانا ويسمع كلامنا، ولو شاء أن يكون معنا لكان! قلنا: فقد شئنا

فادعه الينا! فإذا قد أقبل رجل من باب المسجد داخلاً كادت لرؤيته العقول أن تذهل، فعلمنا أنه موسى بن جعفر عليه السلام، ثم قال: أنا هذا الرجل، وتركنا وخرجنا من المسجد مبادراً فسمعنا وجيباً شديداً، وإذا السندى بن شاهک يعدو داخلاً إلى المسجد معه جماعة فقلنا: كان معنا رجل فدعانا إلى كذا وكذا دخل هذا الرجل المصلى وخرج ذاک الرجل ولم نره، فأمر بنا فأمسكنا، ثم تقدم إلى موسى وهو قائم فى المحراب فأتاه من قبل وجهه ونحن نسمع فقال: يا ويحک كم تخرج بسحرک هذا وحيلتک من وراء الأبواب والأغلاق والأقفال وأردک، فلو كنت هربت كان أحب إلىَّ من وقوفک هاهنا، أتريد يا موسى ان يقتلنى الخليفة؟! قال فقال موسى ونحن نسمع كلامه: كيف أهرب ولله فى أيديكم موقت لى يسوق إليها أقداره وكرامتى على أيديكم..فى كلام له!

قال: فأخذ السندى بيده ومشى ثم قال للقوم: دعوا هذين وأخرجوا إلى الطريق فامنعوا أحداً يمر من الناس حتى أتم أنا وهذا إلى الدار»!

أقول: هذا يعنى أن ابن السكيت رحمه الله كان شاباً، لأنه قتل شهيداً على تشيعه بيد المتوكل بعد نحو خمسين سنة.

كما تدل الرواية على أن الإمام عليه السلام كان يخرج من سجنه كثيراً، وكان السندى يعلم بذلک، ويضطرب خوفاً من أن يتهمه هارون بأنه أطلقه!

3- فى تاريخ اليعقوبى:2/414: «قيل لموسى بن جعفر وهو فى الحبس: لو كتبت إلى فلان يكلم فيک الرشيد؟ فقال: حدثنى أبى عن آبائه أن الله عز وجل أوحى إلى داود: يا داود، إنه ما اعتصم عبد من عبادى بأحد من خلقى دونى، عرفت ذلک منه، إلا وقطعت عنه أسباب السماء وأسخت الأرض من تحته»!

أقول: نلاحظ أن الإمام عليه السلام كان فى الحبس الأول يدعو بالخلاص من السجن، بينما لم يؤثر عنه ذلک فى الحبس الثانى، فكأن ذلک يحتاج إلى إذن من ربه عز وجل!

وكذا أن يطلب من هارون أن يطلق سراحه، أو يوسط أحداً عنده.

4- تقدم من الكافى:1/381: «عن مسافر قال: أمر أبو إبراهيم عليه السلام حين أخرج به، أبا الحسن عليه السلام أن ينام على بابه فى كل ليلة أبـداً ما كان حياً إلى أن يأتيه خبره! قال: فكنا فى كل ليلـة نفرش لأبى الحسن فى الدهليز، ثم يأتى بعد العشاء فينام، فإذا أصـبح انصـرف إلى منزله! قال: فمكث على هذه الحال أربع سنين، فلما كان ليلة من الليالى أبطأ عنا وفرش له فلم يأت كما كان يأتى، فاستوحش العيال وذعروا، ودخلنا أمر عظيم من إبطائه، فلما كان من الغد أتى الدار ودخل إلى العيال...».

وذكرت الرواية أن الإمام الرضا أخبرهم بشـهادة أبيه عليهما السـلام وبعد أيام جاء بريد إلى الوالى بالخبر كما أخبر عليه السلام. وقد ذهب الإمام الرضا عليه السـلام فى تلك الليلة بنحو الإعجاز لمراسم تغسـيل أبيه والصـلاة عليه،كما نصت عليه رواية المسـيب.وهذا أمر بسـيط بالنسبة للأئمة عليهم السلام، وقد ادعى الآخرون كرامة طى الأرض وأنواعاً من الكرامات لكثير من أئمتهم ورجالهم العاديين.

ويظهرأن غرض الكاظم عليه السلام من أمره إياه أن ينام فى ممر داره، أنه كان يأتى اليه ويلتقى به، أو أن الرضا عليه السلام كان يذهب اليه.

الفصل الخامس عشر: الإمام الكاظم عليه السلام وعلماء النصارى

اشارة

1- إسلام الراهب بُرَيْهَة على يده عليه السلام

روى فى الكافى:1/227، وبصائر الدرجات/156والصدوق فى كتابه التوحيد/270، بسنده: «عن هشام بن الحكم، عن جاثليق من جثالقة النصارى يقال له بريهة، قد مكث جاثليق النصرانية سبعين سنة وكان يطلب الإسلام، و يطلب من يحتج عليه ممن يقرأ كتبه ويعرف المسيح بصفاته ودلائله وآياته، قال: وعرف بذلک حتى اشتهر فى النصارى والمسلمين واليهود والمجوس، حتى افتخرت به النصارى وقالت: لو لم يكن فى دين النصرانية إلا بريهة لأجزأنا، وكان طالباً للحق والإسلام مع ذلک وكانت معه امرأة تخدمه طال مكثها معه، وكان يسر إليها ضعف النصرانية وضعف حجتهاقال: فعرفت ذلک منه فضرب بريهة الأمر ظهراً لبطن وأقبل يسأل فرق المسلمين والمختلفين فى الإسلام من أعلمكم؟

وأقبل يسأل عن أئمة المسلمين وعن صلحائهم وعلمائهم، وأهل الحجى منهم وكان يستقرئ فرقة فرقة لا يجد عند القوم شيئاً، وقال: لو كانت أئمتكم أئمة على الحق لكان عندكم بعض الحق، فوصفت له الشيعة ووصف له هشام بن الحكم، فقال يونس بن عبد الرحمن: فقال لى هشام: بينما أنا على دكانى على باب الكرخ جالس، وعندى قوم يقرؤون علىَّ القرآن، فإذا أنا بفوج النصارى معه ما بين القسيسين إلى غيرهم نحو من مائة رجل عليهم السواد والبرانس، والجاثليق الأكبر فيهم بريهة، حتى نزلوا حول دكانى، وجعل لبريهة كرسى يجلس عليه فقامت الأساقفة والرهابنة على

عصـيهم وعلى رؤوسهم برانسهم، فقال بريهة: ما بقى من المسلمين أحد ممن يذكر بالعلم بالكلام إلا وقد ناظرته فى النصرانية، فما عندهم شىء، وقد جئت أناظرك فى الإسـلام، قال: فضحک هشام فقال: يا بريهة إن كنت تريد منى آيات كآيات المسيح فليس أنا بالمسيح ولا مثله ولا أدانيه، ذاک روح طيبة خميصة مرتفعة، آياته ظاهرة، وعلاماته قائمة.

قال بريهة: فأعجبنى الكلام والوصف. قال هشام: إن أردت الحجاج فهاهنا، قال بريهة: نعم فإنى أسألک ما نسـبة نبيكم هذا من المسيح نسبة الأبدان؟

قال هشام: ابن عم جـده لأمه، لأنه من ولد إسـحاق ومحمد من ولد إسـماعيل، قال بريهة، وكيف تنسـبه إلى أبيه؟قال هشام: إن أردت نسـبه عندكم أخبرتک، وإن أردت نسـبه عندنا أخبرتک. قال بريهة: أريد نسبه عندنا وظننت أنه إذا نسبه نسبتنا أغلبه، قلت: فانسبه بالنسبة التى ننسبه بها.

قال هشام: نعم، تقولون: إنه قديم من قديم، فأيهما الأب وأيهما الإبن؟

قال بريهة: الذى نزل إلى الأرض الإبن! قال هشام: الذى نزل إلى الأرض الأب! قال بريهة: الإبن رسول الأب.قال هشام: إن الأب أحكم من الإبن لأن الخلق خلق الأب. قال بريهة: إن الخلق خلق الأب وخلق الإبن. قال هشام: ما منعهما أن ينزلا جميعاً كما خلقا إذا اشتركا؟!

قال بريهة: كيف يشتركان وهما شىء واحد إنما يفترقان بالإسم!

قال هشام: إنما يجتمعان بالإسم! قال بريهـة: جهل هـذا الكلام! قال هشام: عرف هذا الكلام! قال بريهة: إن الإبن متصل بالأب! قال هشام: إن الابن منفصـل من الأب! قال بريهـة: هـذا خلاف ما يعقله الناس! قال هشام: إن كان ما يعقله الناس شاهـداً لنا وعلينا، فقـد غلبتک لأن الأب كان ولم يكن الإبن فتقول: هكذا يا بريهة؟

قال: ما أقول هكذا! قال: فلم استشهدت قوما لا تقبل شهادتهم لنفسک! قال بريهة: إن الأب اسم والإبن اسم يقدر به القديم.

قال هشام: الإسمان قديمان كقدم الأب والإبن؟ قال بريهة: لا ولكن الأسماء محدثة. قال: فقد جعلت الأب ابناً والابن أباً، إن كان الإبن أحدث هذه الأسماء دون الأب فهو الأب، وإن كان الأب أحدث هذه الأسماء دون الابن فهو الأب والابن أب وليس هاهنا ابن!

قال بريهة: إن الإبن إسم للروح حين نزلت إلى الأرض، قال هشام: فحين لم تنزل إلى الأرض فإسمها ما هو؟ قال بريهة: فاسمها ابن نزلت أو لم تنزل. قال هشام: فقبل النزول هذه الروح كلها واحدة واسمها اثنان؟

قال بريهة: هى كلها واحدة روح واحدة. قال: قد رضيت أن تجعل بعضها ابناً وبعضها أباً. قال بريهة: لا لأن إسم الأب وإسم الإبن واحد.

قال هشام: فالإبن أبو الأب والأب أبو الإبن، والابن واحد؟

قالت الأساقفة بلسانها لبريهة: ما مر بک مثل ذا قط تقوم؟

فتحير بريهة وذهب ليقوم فتعلق به هشام، قال: ما يمنعک من الإسلام؟أفى قلبک حزازة؟ فقلها وإلا سألتک عن النصرانية مسألة واحدة تبيت عليها ليلک هذا فتصبح وليس لک همة غيرى، قالت الأساقفة: لا ترد هذه المسألة لعلها تشككک، قال بريهة: قلها يا أبا الحكم. قال هشام: أفرأيتک الإبن يعلم ما عند الأب؟ قال: نعم. قال: أفرأيتک الأب يعلم كل ما عند الإبن؟ قال: نعم. قال: أفرأيتک تخبر عن الإبن أيقدر على حمل كل ما يقدر عليه الأب؟قال: نعم. قال: أفرأيتک تخبر عن الأب أيقدر على كل ما يقدر عليه الإبن؟ قال: نعم.قال هشام: فكيف يكون واحد منهما ابن صاحبه وهما متساويان، وكيف يظلم كل واحد منهما صاحبه؟! قال بريهة: ليس منهما ظلم! قال هشام: من الحق بينهما أن يكون الإبن أب الأب والأب ابن الإبن! بِتْ عليها يا بريهة!

وافترق النصارى وهم يتمنون أن لا يكونوا رأوا هشاماً ولا أصحابه!

قال: فرجع بريهة مغتما مهتما حتى صار إلى منزله فقالت امرأته التى تخدمه: ما لى أراك مهتماً مغتماً، فحكى لها الكلام الذى كان بينه وبين هشام، فقالت لبريهة: ويحك أتريد أن تكون على حق أو على باطل؟! فقال بريهة: بل على الحق، فقالت له: أينما وجدت الحق فمل إليه، وإياك واللجاجة، فإن اللجاجة شك والشك شؤم وأهله فى النار، قال: فصوب قولها وعزم على الغدو على هشام!

قال: فغدا عليه وليس معه أحد من أصحابه، فقال: يا هشام ألك من تصدر عن رأيه وترجع إلى قوله وتدين بطاعته؟ قال هشام: نعم يا بريهة، قال: وما صفته؟ قال هشام: فى نسبه أو فى دينه؟ قال: فيهما جميعاً صفة نسبه وصفة دينه، قال هشام: أما النسب خير الأنساب: رأس العرب وصفوة قريش وفاضل بنى هاشم، كل من نازعه فى نسبه وجده أفضل منه، لأن قريشاً أفضل العرب وبنى هاشم أفضل قريش، وأفضل بنى هاشم خاصهم ودينهم وسيدهم، وكذلك ولد السيد أفضل من ولد غيره، وهذا من ولد السيد.

قال: فصف دينه، قال هشام: شرائعه أو صفة بدنه وطهارته؟

قال: صفة بدنه وطهارته. قال هشام: معصوم فلا يعصى، و سخى فلا يبخل، شجاع فلا يجبن، وما استودع من العلم فلا يجهل، حافظ للدين قائم بما فرض عليه، من عترة الأنبياء، وجامع علم الأنبياء، يحلم عند الغضب، وينصف عند الظلم، ويعين عند الرضا، وينصف من الولى والعدو، ولا يسأل شططاً فى عدوه، ولا يمنع إفادة وليه، يعمل بالكتاب ويحدث بالأعجوبات، من أهل الطهارات، يحكى قول الأئمة الأصفياء، لم تنقض له حجة، ولم يجهل مسألة، يفتى فى كل سنَّة، ويجلو كل مدلهمة.

قال بريهة: وصفت المسيح فى صفاته وأثبته بحججه وآياته، إلا أن الشخص بائن

عن شخصه والوصف قائم بوصفه، فإن يصدق الوصف نؤمن بالشخص، قال هشام: إن تؤمن ترشد وإن تتبع الحق لا تؤنب.

ثم قال هشام: يا بريهـة ما من حجـة أقامها الله على أول خلقه إلا أقامها على وسط خلقه وآخر خلقه فلا تبطل الحجـج، ولا تذهب الملل، ولا تذهب السنن!

قال بريهة: ما أشبه هذا بالحق وأقربه من الصدق، وهذه صفة الحكماء يقيمون من الحجة ما ينفون به الشبهة.

قال هشام: نعم، فارتحلا حتى أتيا المدينة والمرأة معهما وهما يريدان أبا عبد الله عليه السـلام فلقيا موسـى بن جعفر عليه السـلام فحكى له هشام الحكاية، فلما فرغ قال موسـى بن جعفر عليه السلام: يا بريهة كيف علمک بكتابک؟ قال: أنا به عالم، قال: كيف ثقتک بتأويله؟ قال: ما أوثقنى بعلمى فيه.قال: فابتـدأ موسـى بن جعفر عليه السـلام بقراءة الإنجيل، قال بريهـة: والمسـيح لقد كان يقرأ هكذا وما قرأ هذه القراءة إلا المسـيح! ثم قال بريهـة: إياک كنت أطلب منـذ خمسـين سـنة أو مثلک! قال: فآمن وحسن إيمانه وآمنت المرأة وحسن إيمانها.قال: فـدخل هشام وبريهة والمرأة على أبى عبد الله عليه السـلام، وحكى هشام الحكاية والكلام الذى جرى بين موسى عليه السلام وبريهة، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

((ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)).

فقال بريهـة: جعلت فداک أنى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء؟ قال: هى عندنا وراثة من عندهم نقرؤها كما قرؤوها ونقولها كما قالوها، إن الله لا يجعل حجة فى أرضه يسأل عن شـىء فيقول: لا أدرى. فلزم بريهة أبا عبد الله عليه السـلام حتى مات أبو عبد الله عليه السلام، ثم لزم موسـى بن جعفر عليه السـلام حتى مات فى زمانه فغسله بيده وكفنه بيده ولحده بيده، وقال: هذا حوارى من حواريى المسيح يعرف حق الله عليه، قال: فتمنى أكثر أصحابه أن يكونوا مثله»

2- إسلام راهب آخر قصد الإمام عليه السلام من الشام

وروى فى الكافى:1/478، إسـلام راهب آخر: «عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم قال:كنت عند أبى الحسن موسـى عليه السلام إذ أتاه رجل نصـرانى ونحن معه بالعريض، فقال له النصـرانى: أتيتک من بلد بعيد وسـفر شاق، وسألت ربى منذ ثلاثين سنة أن يرشدنى إلى خير الأديان وإلى خير العبـاد وأعلمهم، وأتـانى آت فى النوم فوصف لى رجلاً بعَلْيَا دمشق فانطلقت حتى أتيته فكلمته، فقال: أنا أعلم أهل دينى وغيرى أعلم منى فقلت: أرشدنى إلى من هو أعلم منک فإنى لا أسـتعظم السفر ولا تبعد على الشقة، ولقد قرأت الإنجيل كلها ومزامير داود، وقرأت أربعـة أسـفار من التوراة، وقرأت ظاهر القرآن حتى اسـتوعبته كله، فقال لى العالم: إن كنت تريد علم النصـرانية فأنا اعلم العرب والعجم بها وإن كنت تريد علم اليهود فباطى بن شرحبيل السامرى أعلم الناس بها اليوم، وإن كنت تريد علم الإسلام وعلم التوراة وعلم الإنجيل وعلم الزبور وكتـاب هود وكلما أنزل على نبى من الأنبياء فى دهرک ودهر غيرک، وما أنزل من السـماء من خبر فعلمه أحـد أو لم يعلم به أحـد فيه تبيان كل شـىء وشـفاء للعالمين، وروح لمن استروح إليه، وبصـيرة لمن أراد الله به خيراً، وأنس إلى الحق، فأرشدک إليه، فأته ولو مشياً على رجليک، فإن لم تقدر فحبواً على ركبتيک، فإن لم تقدر فزحفاً على إسـتک، فإن لم تقدر فعلى وجهک.فقلت: لا بل أنا أقدر على المسير فى البدن والمال، قال: فانطلق من فورک حتى تأتى يثرب، فقلت: لا أعرف يثرب، قال: فانطلق حتى تأتى مدينة النبى صـلى الله عليه وآله وسلم الذى بعث فى العرب، وهو النبى العربى الهاشـمى، فإذا دخلتها فسل عن بنى غنم بن مالک بن النجار، وهو عند باب مسـجدها، وأظهر بزة النصـرانية وحليتها، فإن واليها يتشدد عليهم والخليفة أشد، ثم تسأل عن بنى عمرو بن مبذول وهو ببقيع الزبير، ثم تسأل عن موسى بن جعفر وأين منزله وأين هو، مسافر أم حاضر؟ فإن كان مسافراً فالحقه فإن سفره أقرب مما ضربت إليه، ثم أعلمه أن مطران

علیـا الغوطـة غوطـة دمشق هو الـذی أرشـدنی إلیک، وهو یقرؤک السـلام کثیراً ویقول لک: إنی لأکثر مناجاة ربی أن یجعل إسـلامی علی یدیک، فقص هذه القصة وهو قائم معتمد علی عصاه، ثم قال: إن أذنت لی یا سیدی کفَّرت لک وجلست!

فقال علیه السـلام: آذن لک أن تجلس ولا آذن لک أن تکفر، فجلس ثم ألقی عنه برنسه ثم قال: جعلت فـداک تأذن لی فی الکلام؟ قال: نعم ما جئت إلا له، فقال له النصرانی: أردد علی صاحبی السلام أو ما ترد السلام، فقال أبو الحسن علیه السلام: علی صاحبک إن هداه الله، فأما التسلیم فذاک إذا صار فی دیننا.

فقال النصـرانی: إنی أسألک أصلحک الله، قال: سل، قال: أخبرنی عن کتاب الله تعالی الذی أنزل علی محمد ونطق به، ثم وصفه بما وصفه به فقال:

((حم (1) وَالْکِتَابِ الْمُبِینِ (2) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِی لَیْلَةٍ مُّبَارَکَةٍ إِنَّا کُنَّا مُنذِرِینَ (3) فِیهَا یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ)).

ما تفسیرها فی الباطن؟ فقال: أما حم فهو محمد صلی الله علیه وآله وسلم، وهو فی کتاب هود الذی أنزل علیه، وهو منقوص الحروف. وأما الکتـاب المبین فهو أمیر المؤمنین علی وأمـا اللیلـة ففاطمـة وأمـا قوله: فیها یفرق کل أمر حکیم، یقول: یخرج منها خیر کثیر، فرجل حکیم ورجل حکیم، فقال الرجل: صف لی الأول والآخر من هؤلاء الرجال، فقال: إن الصـفات تشتبه ولکن الثالث من القوم أصف لک ما یخرج من نسله، وإنه عندکم لفی الکتب التی نزلت علیکم، إن لم تغیروا وتحرفوا وتکفروا وقدیماً ما فعلتم!

قال له النصـرانی: إنی لا أستر عنک ما علمت ولا أکـذبک، وأنت تعلم ما أقول فی صـدق ما أقول وکـذبه، والله لقـد أعطاک الله من فضـله، وقسم علیک من نعمه ما لا یخطره الخاطرون ولا یستره الساترون، ولا یکـذب فیه من کـذب، فقولی لک فی ذلک الحق کما ذکرت فهو کما ذکرت.

فقـال له أبو إبراهيم عليه السـلام: أعجلک أيضاً خبراً لا يعرفه إلا قليل ممن قرأ الكتب، أخبرنى ما اسم أم مريم وأى يوم نفخت فيه مريم وكم من ساعة من النهار؟

وأى يوم وضعت مريم فيه عيسى عليه السلام ولكم من ساعة من النهار؟

فقال النصرانى: لا أدرى. فقال أبو إبراهيم عليه السلام: أما أم مريم فاسمها مرثا وهى وهيبة بالعربية، وأما اليوم الذى حملت فيه مريم فهو يوم الجمعة للزوال، وهو اليوم الذى هبط فيه الروح الأمين، وليس للمسـلمين عيد كان أولى منه، عظمه الله تبارک وتعالى وعظمه محمد صلى الله عليه وآله وسـلم، فأمر أن يجعله عيدا فهو يوم الجمعة وأما اليوم الذى ولدت فيه مريم فهو يوم الثلاثاء، لأربع ساعات ونصف من النهار. والنهر الـذى ولدت عليه مريم عيسـى عليه السـلام هل تعرفه؟ قال: لا، قال: هو الفرات، وعليه شـجر النخل والكرم، وليس يساوى بالفرات شىء للكروم والنخيل، فأما اليوم الـذى حجبت فيه لسانها ونادى قيدوس ولده وأشـياعه فأعانوه و أخرجوا آل عمران لينظروا إلى مريم، فقالوا لها ما قص الله عليک فى كتابه وعلينا فى كتابه، فهل فهمته؟

قال: نعم وقرأته اليوم الأحدث، قال: إذن لا تقوم من مجلسک حتى يهديک الله قال النصرانى: ما كان اسم أمى بالسريانية وبالعربية؟

فقال: كان اسم أمک بالسـريانية عنقالية، وعنقورة كان اسم جدتک لأبيک، وأما اسم أمک بالعربية فهو مية، وأما اسم أبيک فعبد المسيح وهو عبد الله بالعربية، وليس للمسيح عبد.قال: صدقت وبررت، فما كان اسم جدى؟

قال: كان اسم جـدک جبرئيل وهو عبـد الرحمن سـميته فى مجلسـى هذا. قال: أما إنه كان مسـلماً؟ قال أبو إبراهيم عليه السـلام: نعم وقتل شهيداً، دخلت عليه أجناد فقتلوه فى منزله غيلة والأجناد من أهل الشام قال: فما كان اسمى قبل كنيتى؟ قال: كان

اسـمک عبد الصـلیب، قال: فما تسـمینی؟ قال أسمیک عبد الله، قال: فإنی آمنت بالله العظیم وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له فرداً صـمداً، لیس کما تصـفه النصاری، ولیس کما تصفه الیهود ولا جنس من أجناس الشرک، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق فأبان به لأهله وعمی المبطلون وأنه کان رسول الله إلی الناس کافة، إلی الأحمر والأسود کل فیه مشترک، فأبصر من أبصر واهتدی من اهتدی وعمی المبطلون، وضل عنهم ما کانوا یدعون، وأشـهد أن ولیه نطق بحکمته، وأن من کان قبله من الأنبیاء نطقوا بالحکمة البالغة وتوازوا علی الطاعـة لله وفارقوا الباطل وأهله والرجس وأهله، وهجروا سبیل الضـلالة ونصـرهم الله بالطاعة له، وعصـمهم من المعصـیة، فهم لله أولیاء وللدین أنصار، یحثون علی الخیر ویأمرون به، آمنت بالصغیر منهم والکبیر، ومن ذکرت منهم ومن لم أذکر، وآمنت بالله تبارک وتعالی رب العالمین.

ثم قطع زناره وقطع صلیباً کان فی عنقه من ذهب، ثم قال: مرنی حتی أضع صدقتی حیث تأمرنی. فقال: هاهنا أخ لک کان علی مثل دینک، وهو رجل من قومک من قیس بن ثعلبة، وهو فی نعمة کنعمتک فتواسیا وتجاورا، ولست أدع أن أورد علیکما حقکما فی الإسلام.

فقال: والله أصـلحک الله إنی لغنی، ولقـد ترکت ثلاث مائـة طروق بین فرس وفرسة، وترکت ألف بعیر، فحقک فیها أوفر من حقی، فقال له: أنت مولی الله ورسوله صلی الله علیه وآله وسلم وأنت فی حد نسبک علی حالک.

فحسن إسـلامه وتزوج امرأة من بنی فهر وأصدقها أبو إبراهیم علیه السـلام خمسـین دیناراً من صدقة علی بن أبی طالب علیه السلام وأخدمه وبوأه، وأقام حتی أخرج أبو إبراهیم علیه السلام فمات بعد مخرجه بثمان وعشرین لیلة».

الفصل السادس عشر: آيات الإمام الكاظم عليه السلام من طفولته

اشارة

1- كان أبوه الإمام الصادق عليه السلام يحدثه وهو فى المهد!

«دخلت على أبى عبد الله عليه السلام وهو واقف على رأس أبى الحسن موسى وهو فى المهد، فجعل يساره طويلاً! فجلست حتى فرغ، فقمت إليه فقال لى: أدن من مولاک فسلم، فدنوت فسلمت عليه، فرد على السلام بلسان فصيح»! (الكافى:1/310، ودلائل الإمامة/326).

2- كان عليه السلام صبياً وأفحم أبا حنيفة!

«قال أبو حنيفة: حججت فى أيام أبى عبد الله الصادق، فلما أتيت المدينة دخلت داره فجلست فى الدهليز أنتظر إذنه، إذ خرج صبى يدرج، فقلت: يا غلام أين يضع الغريب الغائط من بلدكم؟ قال: على رسلک، ثم قال: توق شطوط الأنهار ومساقط الثمار، وأفنية المساجد، وقارعة الطريق، وتوار خلف جدار، وشل ثوبک، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها، وضع حيث شئت!

فأعجبنى ما سمعت من الصبى فقلت له: ما اسمک؟ فقال: أنا موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب. فقلت له: يا غلام ممن المعصية؟ فقال: إن السيئات لا تخلو من إحدى ثلاث: إما أن تكون من الله وليست منه، فلا ينبغى للرب أن يعذب العبد على ما لا يرتكب. وإما أن تكون منه ومن العبد وليست كذلک، فلا ينبغى للشريک القوى أن يظلم الشريک الضعيف. وإما أن تكون من العبد وهى منه، فإن عفا فبكرمه وجوده، وإن عاقب فبذنب العبد وجريرته! قال أبو حنيفة: فانصرفت ولم ألق أبا عبد الله واستغنيت بما سمعت»! تحف العقول لا بن شعبة الحرانى/411، والتوحيد للصدوق/96.

3- حديث الإمام الكاظم عليه السلام فى معجزات النبى صلى الله عليه وآله وسلم

قال الإمام الكاظم عليه السلام: «كنت عند أبى عبد الله عليه السلام ذات يوم وأنا طفل خماسى، إذ دخل عليه نفر من اليهود فقالوا: أنت ابن محمد نبى هذه الأمة والحجة على أهل الأرض؟قال لهم: نعم. قالوا: إنا نجد فى التوراة أن الله تبارک وتعالى آتى إبراهيم عليه السلام وولده الكتاب والحكم والنبوة، وجعل لهم الملک والإمامة، وهكذا وجدنا ذرية الأنبياء لاتتعداهم النبوة والخلافة والوصية، فما بالكم قد تعداكم ذلک، وثبت فى غيركم، ونلقاكم مستضعفين مقهورين، لا تُرقب فيكم ذمة نبيكم؟! فدمعت عينا أبى عبدالله عليه السلام ثم قال: نعم لم تزل أمناء الله مضطهدة مقهورة مقتولة بغير حق، والظلمة غالبة، وقليل من عباد الله الشكور.

قالوا: فإن الأنبياء وأولادهم عُلِّموا من غير تعليم، وأوتوا العلم تلقيناً، وكذلک ينبغى لأئمتهم وخلفائهم وأوصيائهم، فهل أوتيتم ذلک؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: أدن يا موسى فدنوت، فمسح يده على صدرى ثم قال: اللهم أيده بنصرک بحق محمد وآله، ثم قال: سلوه عما بدا لكم.

قالوا: وكيف نسأل طفلاً لا يفقه؟ قلت: سلونى تفقهاً، ودعوا العنت!

قالوا: أخبرنا عن الآيات التسع التى أوتيها موسى بن عمران.

قلت: العصا، وإخراجه يده من جيبه بيضاء، والجراد، والقمَّل، والضفادع، والدم، ورفع الطور، والمن والسلوى آية واحدة، وفلق البحر.

قالوا: صدقت، فما أعطى نبيكم من الآيات اللاتى نفت الشک عن قلوب من أرسل إليه؟ قلت: آيات كثيرة، أعدها إن شاء الله، فاسمعوا وعوا وافقهوا:

1. أما أول ذلک: أنتم تقرون أن الجن كانوا يسترقون السمع قبل مبعثه،

فمنعت فی أوان رسالته بالرجوم وانقضاض النجوم، وبطلان الکهنة والسحرة.

2. ومن ذلک: کلام الـذئب یخبر بنبوته، واجتماع العـدو والولی علی صـدق لهجته وصدق أمانته، وعدم جهله أیام طفولته وحین أیفع وفتی وکهلاً. لا یعرف له شکل ولا یوازیه مثل.

3. ومن ذلک: أن سـیف بن ذی یزن حین ظفر بالحبشـة، وفـد علیه وفـد قریش فیهم عبد المطلب، فسألهم عنه ووصف لهم صـفته، فأقروا جمیعاً بأن هذا الصفة فی محمد صلی الله علیه وآله وسلم، فقال: هذا أوان مبعثه، ومستقره أرض یثرب وموته بها.

4. ومن ذلک: أن أبرهـة بن یکسوم قاد الفیلـة إلی بیت الله الحرام لیهـدمه قبل مبعثه فقال عبـد المطلب: إن لهذا البیت رباً یمنعه، ثم جمع أهل مکة فدعا، وهذا بعدما أخبره سیف بن ذی یزن، فأرسل الله تبارک وتعالی علیهم طیراً أبابیل ودفعهم عن مکة وأهلها.

5. ومن ذلک: أن أبا جهل عمرو بن هشام المخزومی، أتاه وهو نائم خلف جدار، ومعه حجر یرید أن یرمیه به، فالتصق بکفه.

6. ومن ذلـک: ان أعرابیـاً بـاع ذوداً له من أبی جهـل فمطله بحقه، فـأتی قریشاً وقال: أعـدونی علی أبی الحکم فقـد لوی حقی، فأشاروا إلی محمد صـلی الله علیه وآله وسـلم وهو یصلی فی الکعبة فقالوا: إئت هذا الرجل فاستعده علیه، وهم یهزؤون بالأعرابی! فأتاه فقال له: یا عبد الله أعـدنی علی عمرو بن هشام فقـد منعنی حقی. قال: نعم، فانطلق معه فـدق علی أبی جهل بابه، فخرج إلیه متغیراً. فقال له: ما حاجتک؟ قال: أعط الأعرابی حقه. قال: نعم. وجاء الأعرابی إلی قریش فقال: جزاکم الله خیراً، انطلق معی الرجل الذی دللتمونی علیه، فأخذ حقی!

فجاء أبو جهل فقالوا: أعطيت الأعرابى حقه؟ قال: نعم. قالوا: إنما أردنا أن نغريک بمحمد ونهزأ بالأعرابى! قال: يا هؤلاء دق بابى فخرجت إليه فقال: أعط الأعرابى حقه، وفوقه مثل الفحل فاتحاً فاه كأنه يريدنى فقال: أعطه حقه، فلو قلت: لا، لابتلع رأسى، فأعطيته!

7. ومن ذلک: أن قريشاً أرسلت النضر بن الحارث وعلقمة بن أبى معيط بيثرب إلى اليهود وقالوا لهما: إذا قدمتما عليهم فسائلوهم عنه، وهما قد سألوهم عنه فقالوا: صفوا لنا صفته فوصفوه، وقالوا: من تبعه منكم؟ قالوا: سفلتنا، فصاح حبر منهم فقال: هذا النبى الذى نجد نعته فى التوراة، ونجد قومه أشد الناس عداوة له.

8. ومن ذلک: أن قريشاً أرسلت سراقة بن جعشم حتى خرج إلى المدينة فى طلبه فلحق به فقال صاحبه: هذا سراقة يا نبى الله، فقال: اللهم اكفنيه، فساخت قوائم ظهره! فناداه: يا محمد خل عنى بموثق أعطيكه أن لا أناصح غيرک، وكل من عاداک لا أصالح. فقال النبى عليه السلام: اللهم إن كان صادق المقال فأطلق فرسه، فانطلق فوفى، وما انثنى بعد ذلک.

9. ومن ذلک: أن عامر بن الطفيل وأربد بن قيس أتيا النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فقال عامر لأربد: إذا أتيناه فأنا أشاغله عنک فاعله بالسيف، فلما دخلا عليه قال عامر: يا محمد خالَّنى (أى أخلنى بک - الطبرى: 2/389) قال: لا، حتى تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله. وهو ينظر إلى أربد وأربد لا يحير شيئاً. فلما طال ذلک نهض وخرج وقال لأربد: ما كان أحد على وجه الأرض أخوف على نفسى فتكاً منک، ولعمرى لاـ أخافک بعد اليوم، فقال له أربد: لا تعجل فإنى ما هممت بما أمرتنى به إلا ودخلت الرجال بينى وبينک، حتى ما أبصر»!

10. ومن ذلک: أن أربد بن قيس والنضر بن الحارث اجتمعا على أن يسألاه

عن الغيوب فدخلا عليه، فأقبل النبى صلى الله عليه وآله وسلم على أربد فقال: يا أربد، أتذكر ما جئت له يوم كذا ومعک عامر بن الطفيل؟ فأخبره بما كان فيهما فقال أربد: والله ما حضرنى وعامراً أحد، وما أخبرک بهذا إلا ملک من السماء، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريک له وأنک رسول الله. (وأربد هذا أخ لبيد الشاعر).

11. ومن ذلک: أن نفراً من اليهود أتوه فقالوا لأبى الحسن جدى: إستأذن لنا على ابن عمک نسأله، فدخل على عليه السلام فأعلمه، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: وما يريدون منى؟ فإنى عبد من عبيد الله، لا أعلم إلا ما علمنى ربى، ثم قال: إئذن لهم، فدخلوا عليه فقال: أتسألونى عما جئتم له أم أنبئكم؟ قالوا: نبئنا، قال: جئتم تسألونى عن ذى القرنين، قالوا: نعم، قال: كان غلاماً من أهل الروم ثم ملک، وأتى مطلع الشمس ومغربها، ثم بنى السد فيها. قالوا: نشهد أن هذا كذا.

12. ومن ذلک: أن وابصة بن معبد الأسدى أتاه فقال: لا أدعُ من البر والإثم شيئاً إلا سألته عنه، فلما أتاه قال له بعض أصحابه: إليک يا وابصة عن رسول الله فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: أدنهْ يا وابصة، فدنوت. فقال: أتسأل عما جئت له أو أخبرک؟ قال: أخبرنى. قال: جئت تسأل عن البر والإثم. قال: نعم. فضرب بيده على صدره ثم قال: يا وابصة، البر ما أطمأن به الصدر، والإثم ما تردد فى الصدر وجال فى القلب، وإن أفتاک الناس وأفتوک.

13. ومن ذلک: أنه أتاه وفد عبد القيس فدخلوا عليه، فلما أدركوا حاجتهم عنده قال: إئتونى بتمر أهلكم مما معكم، فأتاه كل رجل منهم بنوع منه، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: هذا يسمى كذا، وهذا يسمى كذا، فقالوا: أنت أعلم بتمر أرضنا، فوصف لهم أرضهم فقالوا: أدخلتها؟ قال: لا، ولكن فسح لى فنظرت إليها! فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله، هذا خالى وبه خبل، فأخذ بردائه ثم قال: أخرج

عدو الله ثلاثاً ثم أرسله فبرأ. وأتوه بشاة هرمة، فأخذ أحد أذنيها بين أصابعه فصار ميسماً، ثم قال: خذوها فإن هذا السمة فی آذان ما تلد إلی يوم القيامة! فهی تتوالد وتلک فی آذانها معروفة غير مجهولة.

14. ومن ذلک: أنه کان فی سفر، فمر علی بعير قد أعيا، وقام منزلاً علی أصحابه فدعا بماء فتمضمض منه فی إناء وتوضأ وقال: إفتح فاه فصب فی فيه فمر ذلک الماء علی رأسه وحارکه، ثم قال: اللهم أحمل خلاداً وعامراً ورفيقيهما وهما صاحبا الجمل، فرکبوه وإنه ليهتز بهم أمام الخيل.

15. ومن ذلک: أن ناقة لبعض أصحابه ضلت فی سفر کانت فيه، فقال صاحبها: لو کان نبياً لعلم أمر الناقة، فبلغ ذلک النبی عليه السلام فقال: الغيب لا يعلمه إلا الله، إنطلق يا فلان فإن ناقتک بموضع کذا وکذا، قد تعلق زمامها بشجرة، فوجدها کما قال.

16. ومن ذلک: أنه مر علی بعير ساقط فتبصبص له، فقال: إنه ليشکو شر ولاية أهله له، يسأله أن يخرج عنهم، فسأل عن صاحبه فأتاه فقال: بعه وأخرجه عنک فأناخ البعير يرغو، ثم نهض وتبع النبی صلی الله عليه وآله وسلم فقال: يسألنی أن أتولی أمره! فباعه من علی عليه السلام ، فلم يزل عنده إلی أيام صفين.

17. ومن ذلک: أنه کان فی مسجده، إذ أقبل جمل نادٌّ، حتی وضع رأسه فی حجره ثم خرخر، فقال النبی صلی الله عليه وآله وسلم: يزعم هذا أن صاحبه يريد أن ينحره فی وليمة علی ابنه فجاء يستغيث! فقال رجل: يا رسول الله، هذا لفلان وقد أراد به ذلک. فأرسل إليه وسأله أن لا ينحره، ففعل.

18. ومن ذلک: أنه دعا علی مضر فقال: اللهم أشدد وطأتک علی مضر، واجعلها عليهم کسنين يوسف، فأصابهم سنون فأتاه رجل فقال: فوالله ما أتيتک حتی

لا يخطر لنا فحل ولا يتردد منا رائح. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم دعوتک فأجبتنى وسألتک فأعطيتنى، اللهم فاسقنا غيثاً مغيثـاً مريئـاً سـريعاً طبقاً سـجالاً، عاجلاً غير ذائب نافعاً غير ضار. فما قام متى ملأ كل شـىء ودام عليهم جمعـة، فأتوه فقالوا: يا رسول الله انقطعت سبلنا وأسواقنا، فقال النبى عليه السلام: اللهم حوالينا ولاعلينا،فانجابت السحابة عن المدينة وصار فيما حولها وأمطروا شهراً.

19. ومن ذلـک: أنه توجه إلى الشـام قبـل مبعثه مع نفر من قريش، فلما كان بحيال بحيراء الراهب نزلوا بفناء ديره، وكان عالماً بالكتب، وقد كـان قرأ فى التوراة مرور النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم به وعرف أوان ذلـک، فـأمر فـدعى إلى طعامه، فأقبل يطلب الصـفة فى القوم فلم يجدها فقال: هل بقى فى رحالكم أحد؟ فقالوا: غلام يتيم. فقام بحيراء الراهب فاطلع فإذا هو برسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم نائم وقد أظلته سـحابة فقال للقوم: أدعوا هـذا اليتيم ففعلوا وبحيراء مشـرف عليه وهو يسـير، والسـحابة قد أظلته، فأخبر القوم بشأنه وأنه سـيبعث فيهم رسولاً، ويكون من حاله وأمره، فكان القوم بعـد ذلک يهابونه ويجلونه، فلما قدموا أخبروا قريشاً بذلک، وكان عند خديجة بنت خويلد فرغبت فى تزويجه وهى سيدة نساء قريش وقد خطبها كل صنديد ورئيس قد أبتهم فزوجته نفسها للذى بلغها من خبر بحيراء.

20. ومن ذلک: أنه كان بمكة أيام أَلَّبَ عليه قومه وعشائره، فأمر علياً عليه السلام أن يأمر خديجة أن تتخذ له طعاماً ففعلت، ثم أمره أن يدعو له أقرباءه من بنى عبـد المطلب، فـدعا أربعين رجلاً، فقال: هات لهم طعاماً يا على، فأتاه بثريـدة وطعام يأكله الثلاثـة والأربعة فقدمه إليهم، وقال: كلوا وسـموا، فسمى ولم يسم القوم فأكلوا وصدروا شبعى. فقال أبو لهب: جاد ما سحركم محمد، يطعم من طعام ثلاث رجال أربعين رجلاً، هذا والله هو السحر الذى لا بعده! فقال على عليه السلام: ثم أمرنى بعد أيام فاتخذت له مثله ودعوتهم بأعيانهم، فطعموا وصدروا.

21. ومن ذلک: أن علی بن أبی طالب علیه السلام قال: دخلت السوق فابتعت لحماً بدرهم وذرة بدرهم، فأتیت به فاطمة علیها السلام حتی إذا فرغت من الخبز والطبخ قالت: لو دعوت أبی فأتیته وهو مضطجع وهو یقول: أعوذ بالله من الجوع ضجیعاً. فقلت له: یا رسول الله إن عندنا طعاماً، فقام واتکأ علی ومضینا نحو فاطمة علیها السلام ، فلما دخلنا قال: هلم طعامک یا فاطمة فقدمت إلیه البرمة والقرص، فغطی القرص وقال: اللهم بارک لنا فی طعامنا. ثم قال: أغرفی لعائشة فغرفت، ثم قال: أغرفی لأم سلمة فغرفت، فما زالت تغرف حتی وجهت إلی نسائه التسع قرصة قرصة ومرقاً.ثم قال: أغرفی لأبیک وبعلک، ثم قال: أغرفی وکلی واهدی لجاراتک، ففعلت، وبقی عندهم أیاماً یأکلون.

22. ومن ذلک: أن امرأة عبد الله بن مسلَّم أتته بشاة مسمومة، ومع النبی صلی الله علیه وآله وسلم بشر بن البراء بن عازب، فتناول النبی صلی الله علیه وآله وسلم الذراع وتناول بشر الکراع، فأما النبی فلاکها ولفظها وقال: إنها لتخبرنی أنها مسمومة. وأما بشر فلاک المضغة وابتلعها فمات، فأرسل إلیها فأقرت، وقال: ما حملک علی ما فعلت؟ قالت: قتلت زوجی وأشراف قومی، فقلت: إن کان ملکاً قتلته وإن کان نبیاً فسیطلعه الله تبارک وتعالی علی ذلک.

23. ومن ذلک: أن جابر بن عبد الله الأنصاری قال: رأیت الناس یوم الخندق یحفرون وهم خماص، ورأیت النبی علیه السلام یحفر وبطنه خمیص، فأتیت أهلی فأخبرتها فقالت: ما عندنا إلا هذه الشاة ومحرز من ذرة. قال: فاخبزی، وذبح الشاة وطبخوا شقها وشووا الباقی، حتی إذا أدرک أتی النبی صلی الله علیه وآله وسلم فقال: یا رسول الله اتخذت طعاماً فائتنی أنت ومن أحببت، فشبک أصابعه فی یده ثم نادی: ألا إن جابراً یدعوکم إلی طعامه. فأتی أهله مذعوراً خجلاً، فقال لها: هی الفضیحة قد حفل بهم أجمعین. فقالت: أنت دعوتهم أم هو؟ قال: هو. قالت: فهو أعلم بهم. فلما

رآنـا أمر بالأنطـاع فبُسـطت على الشوارع، وأمره أن يجمع التوارى يعنى قصاعـاً كـانت من خشب والجفان، ثم قال: ما عنـدكم من الطعام؟ فأعلمته فقال: غطوا السدانة والبرمة والتنور واغرفوا، وأخرجوا الخبز واللحم وغطوا! فما زالوا يغرفون وينقلون ولا يرونه ينقص شـيئاً حتى شبع القوم وهم ثلاثة آلاف! ثم أكل جابر وأهله وأهدوا وبقى عندهم أياماً.

24. ومن ذلـک: أن سـعد بن عبـادة الأنصـارى أتاه عشـية وهو صائم، فـدعاه إلى طعامه ودعا معه على بن أبى طالب، فلما أكلوا قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: نبى ووصى، يا سعد أكل طعامک الأبرار وأفطر عندک الصائمون وصلت عليكم الملائكةفحمله سعد على حمار قطوف وألقى عليه قطيفة، فرجع الحمار وإنه لهملاج ما يساير.

25. ومن ذلـک: أنه أقبـل من الحديبيـة وفى الطريق مـاء يخرج من وشل، بقـدر ما يروى الراكب والراكبين، فقال: من سـبقنا إلى الماء فلا يسـتقين منه. فلما انتهى إليه دعا بقدح فتمضـمض فيه ثم صبه فى الماء ففاض الماء، فشربوا وملؤوا أدواتهم ومياضيهم وتوضؤوا. فقال النبى صلى الله عليه وآله وسـلم: لئن بقيتم، أو بقى منكم، ليتسـعن بهذا الوادى بسـقى ما بين يديه من كثرة مائه، فوجدوا ذلک كما قال صلى الله عليه وآله وسلم.

26. ومن ذلک: إخباره عن الغيوب وما كان وما يكون، فوجد ذلک موافقاً لما يقول. ومن ذلک أنه أخبر صبيحة الليلة التى أسرى به بما رأى فى سـفره، فأنكر ذلک بعض وصـدقه بعض، فأخبرهم بما رأى من المارة والممتارة، وهيآتهم ومنازلهم وما معهم من الأمتعـة، وأنه رأى عيراً أمامها بعير أوْرَق، وأنه يطلع يوم كـذا من العقبـة مع طلوع الشـمس! فغـدوا يطلبون تكـذيبه للوقت الـذى وقته لهم، فلما كانوا هناک طلعت الشمس

فقال بعضهم: كذب الساحر، وأبصر آخرون بالعير قد أقبلت يقدمها الأورق، فقالوا: صدق، هذه نِعَمٌ قد أقبلت!

27. ومن ذلک: أنه أقبل من تبوک فجهـدوا عطشاً، وبادر الناس إليه يقولون: الماء الماء، يا رسول الله. فقال لأبی هريرة: هل معک من الماء شیء؟ قال: کقـدر قـدح فی میضاتی، قال: هلم میضاتک فصب ما فيه فی قدح ودعا وأوعاه، وقال: ناد: من أراد الماء! فأقبلوا يقولون: الماء يا رسول الله. فما زال يسـکب وأبو هريرة يسقی حتی روی القوم أجمعون، وملؤوا ما معهم، ثم قال لأبی هريرة: إشرب، فقال: بل آخرکم شرباً، فشرب رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم.

28. ومن ذلک: أن أخت عبـد الله بن رواحـة الأنصاری مرَّت به أيام حفرهم الخنـدق فقال لها: إلی أين تريـدين؟ قالت: إلی عبد الله بهذه التمرات، فقال: هاتيهن، فنثرت فی کفه، ثم دعا بالأنطاع وفرقها عليها وغطاها بالأزر، وقام وصلی، ففاض التمر علی الأنطاع ثم نادی: هلموا وکلوا. فأکلوا وشبعوا، وحملوا معهم، ودفع ما بقی إليها!

29. ومن ذلـک: أنه کـان فی سـفر فأجهـدوا جوعاً فقال: من کان معه زاد فليأتنا به. فأتاه نفر منهم بمقـدار صاع، فـدعا بالأزر والأنطاع، ثم صفف التمر عليها، ودعا ربه فأکثر الله ذلک التمر، حتی کان أزوادهم إلی المدينة!

30. ومن ذلک: أنه أقبل من بعض أسـفاره فأتاه قوم فقالوا: يا رسول الله، إن لنا بئراً إذا کان القيظ اجتمعنا عليها، وإذا کان الشـتاء تفرقنا علی مياه حولنا، وقد صار من حولنا عدواً لنا فادع الله فی بئرنا، فتفل صلی الله عليه وآله وسلم فی بئرهم ففاضت المياه المغيبة، فکانوا لا يقدرون أن ينظروا إلی قعرهـا بعـدُ من کثرة مائها! فبلغ ذلک مسـيلمة الکـذاب فحاول ذلک فی قليب قليل ماؤه، فتفل الأنکـد فی القليب، فغار ماؤه وصار کالجبوب!

31. ومن ذلک: أن سراقة بن جعشم حين وجهه قريش فی طلبه، ناوله نبلاً من كنانته وقال له: ستمر برعاتی فإذا وصلت إليهم فهذا علامتی، أطعم عندهم واشرب، فلما انتهی إليهم أتوه بعنز حائل، فمسح صلی الله عليه وآله وسلم ضرعها فصارت حاملاً ودرت حتی ملؤوا الإناء وارتووا ارتواءً!

32. ومن ذلک: أنه نزل بأم شريک فأتته بعكة فيها سمن يسير، فأكل هو وأصحابه ثم دعا لها بالبركة، فلم تزل العكة تصب سمناً أيام حياتها!

33. ومن ذلک: أن أم جميل امرأة أبی لهب أتته حين نزلت سورة: تبَّت، ومع النبی أبو بكر بن أبی قحافة فقال: يا رسول الله، هذه أم جميل مُحْفَظَة أی مُغضبة تريدک، ومعها حجر تريد أن ترميک به. فقال: إنها لا ترانی. فقالت لأبی بكر: أين صاحبک؟ قال: حيث شاء الله. قالت: لقد جئته ولو أراه لرميته فإنه هجانی، واللات والعزی إنی لشاعرة! فقال أبو بكر: يا رسول الله لم تَرَک؟ قال: لا، ضرب الله بينی وبينها حجاباً.

34. ومن ذلک: كتابه المهيمن الباهر لعقول الناظرين، مع ما أعطی من الخلال التی إن ذكرناها لطالت. فقالت اليهود: وكيف لنا أن نعلم أن هذا كما وصفت؟ فقال لهم موسی عليه السلام: وكيف لنا أن نعلم أن ما تذكرون من آيات موسی علی ماتصفون؟ قالوا: علمنا ذلک بنقل البررة الصادقين. قال لهم: فاعلموا صدق ما أنبأتكم به، بخبر طفل لقنه الله من غير تلقين، ولا معرفة عن الناقلين.قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنكم الأئمة القادة والحجج من عند الله علی خلقه. فوثب أبو عبد الله عليه السلام فقبل بين عينیَّ، ثم قال: أنت القائم من بعدی، فلهذا قالت الواقفة، إنه حی وإنه القائم. ثم كساهم أبو عبد الله عليه السلام ووهب لهم وانصرفوا مسلمين».

الفصل السابع عشر: أشعة من أحاديث الإمام الكاظم عليه السلام

اشارة

1- حديث الإمام عليه السلام فى مكانة العقل وأهمية التعقل

روى فى الكافى:1/13، حديث الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم، وهو رسالة فى أهمية العقل ودوره فى حياة الإنسان وتكامله، قال هشام رحمه الله: «قال لى أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: يا هشام إن الله تبارک وتعالى بشر أهل العقل والفهم فى كتابه فقال:

((فَبَشِّرْ عِبَادِ (17) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِکَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِکَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ)).

ياهشام، إن الله تبارک وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيين بالبيان، ودلهم على ربوبيته بالأدلة فقال:

((وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (163) إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْکِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)).

يا هشام، قد جعل الله ذلک دليلاً على معرفته بأن لهم مدبراً فقال:

((وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)).

وقال:

((هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)).

وقال:

((وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاء مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)).

وقال:

((يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)).

وقال:

((وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)).

وقال:

((وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاء فَيُحْيِي

بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِی ذَلِکَ لآیَاتٍ لِّقَوْمٍ یَعْقِلُونَ)).

وقال:

((قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّکُمْ عَلَیْکُمْ أَلاَّ تُشْرِکُواْ بِهِ شَیْئًا وَبِالْوَالِدَیْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَکُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُکُمْ وَإِیَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِکُمْ وَصَّاکُمْ بِهِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ)).

وقال:

((هَل لَّکُم مِّن مَّا مَلَکَتْ أَیْمَانُکُم مِّن شُرَکَاء فِی مَا رَزَقْنَاکُمْ فَأَنتُمْ فِیهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ کَخِیفَتِکُمْ أَنفُسَکُمْ کَذَلِکَ نُفَصِّلُ الآیَاتِ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ)).

یا هشام، ثم وعظ أهل العقل ورغبهم فی الآخرة فقال:

((وَمَا الْحَیَاةُ الدُّنْیَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَیْرٌ لِّلَّذِینَ یَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)).

یا هشام، ثم خوف الذین لا یعقلون عقابه فقال تعالی:

((ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِینَ (136) وَإِنَّکُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَیْهِم مُّصْبِحِینَ (137) وَبِاللَّیْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)).

وقال:

((إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (34) وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)).

يا هشام، ثم بيَّن إن العقل مع العلم فقال:

((وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)).

يا هشام ثم ذم الذين لا يعقلون فقال:

((وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ)).

وقال:

((وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ)).

وقال:

((وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ)).

وقال:

((أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا)).

وقال:

((لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ

بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِکَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ)).

وقال:

((أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)).

يا هشام ثم ذم الله الكثرة فقال:

((وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى الأَرْضِ يُضِلُّوکَ عَن سَبِيلِ اللّهِ)).

((وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)).

وقال:

((وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)).

يا هشام، ثم مدح القلة فقال:

((وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ الشَّكُورُ)).

وقال:

((وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ)).

وقال:

((وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ)).

وقال:

((وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ)).

وقال:

((وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)).

وقال:

((أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ)).

وقال:

((أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ)).

يا هشام، ثم ذكر أولى الألباب بأحسن الذكر وحلاهم بأحسن الحلية، فقال:

((يُؤتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ)).

وقال:

((وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ)).

وقال:

((إِنَّ فِی خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّیْلِ وَالنَّهَارِ لآیَاتٍ لِّأُوْلِی الأَلْبَابِ)).

وقال:

((أَفَمَن یَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَیْکَ مِن رَبِّکَ الْحَقُّ کَمَنْ هُوَ أَعْمَی إِنَّمَا یَتَذَکَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ)).

وقال:

((أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّیْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا یَحْذَرُ الآخِرَةَ وَیَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَالَّذِینَ لَا یَعْلَمُونَ إِنَّمَا یَتَذَکَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ)).

وقال:

((کِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَیْکَ مُبَارَکٌ لِّیَدَّبَّرُوا آیَاتِهِ وَلِیَتَذَکَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ)).

وقال:

((وَلَقَدْ آتَیْنَا مُوسَی الْهُدَی وَأَوْرَثْنَا بَنِی إِسْرَائِیلَ الْکِتَابَ (53) هُدًی وَذِکْرَی لِأُولِی الْأَلْبَابِ)).

وقال:

((وَذَکِّرْ فَإِنَّ الذِّکْرَی تَنفَعُ الْمُؤْمِنِینَ)).

یا هشام، إن الله تعالی یقول فی کتابه:

((إِنَّ فِی ذَلِکَ لَذِکْرَی لِمَن کَانَ لَهُ قَلْبٌ))، یعنی: عقل.

وقال:

((وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ))، قال: الفهم والعقل.

يـا هشـام إن لقمان قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقل الناس، فإن الكيِّس لـدى الحق أسـير، يا بنى إن الـدنيا بحر عميق، قـد غرق فيها عالم كثير، فلتكن سفينتک فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان وشراعها التوكل، وقيمها العقل ودليلها العلم، وسكانها الصبر.

يا هشام، إن لكل شـىء دليلاً ودليل العقل التفكر، ودليل التفكر الصـمت، ولكل شـىء مطيـة ومطيـة العقل التواضع، وكفى بک جهلاً أن تركب ما نهيت عنه.

يـا هشام، ما بعث الله أنبياءه ورسـله عليهم السـلام إلى عباده إلا ليعقلوا عن الله، فأحسـنهم اسـتجابة أحسـنهم معرفـة، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة فى الدنيا والآخرة.

يا هشام، إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول!

يا هشام، إن العاقل الذى لا يشغل الحلال شكره، ولا يغلب الحرام صبره.

يا هشام من سـلط ثلاثاً على ثلاث فكأنما أعان على هـدم عقله: من أظلم نور تفكره بطول أمله، ومحى طرائف حكمته بفضول كلامه، وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنما أعان هواه على هدم عقله! ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه.

يا هشام، كيف يزكو عند الله عملک، وأنت قد شغلت قلبک عن أمر ربک وأطعت هواک على غلبة عقلک!

يا هشام، الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله اعتزل أهل

الدنيا والراغبين فيها، ورغب فيما عند الله، وكان الله أنسه فى الوحشة، وصاحبه فى الوحدة، وغناه فى العيلة، ومعزةً من غير عشيرة.

يا هشام، نصب الحق لطاعـة الله، ولا نجاة إلا بالطاعـة، والطاعـة بالعلم والعلم بالتعلم، والتعلم بالعقل يعتقد، ولا علم إلا من عالم ربانى، ومعرفة العلم بالعقل.

يا هشام، قليل العمل من العالم مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود.

يا هشام، إن العاقل رضى بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا، فلذلک ربحت تجارتهم.

يا هشام، إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب، وترک الدنيا من الفضل، وترک الذنوب من الفرض.

يا هشام، إن العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها، فعلم أنها لا تنال إلا بالمشـقة ونظر إلى الآخرة فعلم أنها لا تنال إلا بالمشـقة، فطلب بالمشقة أبقاهما.

يا هشام، إن العقلاء زهـدوا فى الـدنيا ورغبوا فى الآخرة، لأنهم علموا أن الـدنيا طالبـة مطلوبـة، والآخرة طالبـة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفى منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة، فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته.

يا هشام، من أراد الغنى بلا مال، وراحة القلب من الحسد، والسـلامة فى الدين فليتضـرع إلى الله عز وجل فى مسألته بأن يكمل عقله، فمن عقل قنع بما يكفيه، ومن قنع بما يكفيه استغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرک الغنى أبداً.

يا هشام، إن الله حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا:

((رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنکَ رَحْمَةً إِنَّکَ أَنتَ الْوَهَّابُ)).

حين علموا أن القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها!

إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها فى قلبه، ولا يكون أحد كذلک إلا- من كان قوله لفعله مصدقاً، وسره لعلانيته موافقاً، لأن الله تبارک اسمه لم يدل على الباطن الخفى من العقل، إلا بظاهر منه وناطق عنه

يا هشام، كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما عبد الله بشىء أفضل من العقل، وما تم عقل امرئ حتى يكون فيه خصال شتى:

الكفر والشر منه مأمونان والرشد والخير منه مأمولان، وفضل ماله مبذول وفضل قوله مكفوف، ونصيبه من الدنيا القوت، لا يشبع من العلم دهره، الذل أحب إليه مع الله من العز مع غيره، والتواضع أحب إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه، ويرى الناس كلهم خيراً منه، وأنه شرهم فى نفسه، وهو تمام الأمر!

يا هشام، إن العاقل لا يكذب، وإن كان فيه هواه.

يا هشام، لا دين لمن لا مروءة له، ولا مروءة لمن لا عقل له، وإن أعظم الناس قدراً الذى لا يرى الدنيا لنفسه خطراً، أما إن أبدانكم ليس لها ثمنٌ إلاالجنة، فلا تبيعوها بغيرها.

يا هشام، إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: إن من علامة العاقل أن يكون فيه ثلاث خصال:يجيب إذا سئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأى الذى يكون فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه من هذه الخصال الثلاث شىء فهو أحمق. إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لا يجلس فى صدر المجلس إلا رجل فيه هذه الخصال الثلاث أو واحدة منهن، فمن لم يكن فيه شىء منهن فجلس فهو أحمق.

وقال الحسن بن على عليهما السلام : إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها. قيل يا ابن رسول الله ومن أهلها؟ قال: الذين قص الله فى كتابه وذكرهم فقال:

((إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ))، قال: هم أولو العقول.

وقال على بن الحسين عليهما السلام : مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح، وآداب العلماء زيادة فى العقل، وطاعة ولاة العدل تمام العز، واستثمار المال تمام المروة، وإرشاد المستشير قضاء لحق النعمة، وكف الأذى من كمال العقل، وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً.

يا هشام، إن العاقل لا يحدِّث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يَعِدُ ما لا يقدر عليه، ولا يرجو ما يُعَنِّف برجائه، ولا يقدم على ما يخاف فوته بالعجز عنه». انتهى.

2- من أحاديثه عليه السلام فى توحيد الله تعالى ومعرفته

فى التوحيد للصدوق قدس سره /69، عن الإمام الكاظم عن آبائه، عن الحسين بن على عليهم السلام قال: «خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فى مسجد الكوفة، فقال:

الحمد لله الذى لا من شىء كان، ولا من شىء كَوَّنَ ما قد كان، مُسْتَشْهِدٌ بحدوث الأشياء على أزليته، وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه. لم يخل منه مكان فيدرک بأينية، ولا له شبه مثال فيوصف بكيفية، ولم يغب عن علمه شىء فيعلم بحيثية، مبائن لجميع ما أحدث فى الصفات، وممتنع عن الإدراک بما ابتدع من تصريف الذوات، وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرف الحالات، محرم على بوارع ثاقبات الفطن تحديده، وعلى عوامق ناقبات الفكر تكييفه،

وعلى غوائص سابحات الفطر تصويره، لا تحويه الأماكن لعظمته، ولا تذرعه المقادير لجلاله، ولا تقطعه المقائيس لكبريائه، ممتنع عن الأوهام أن تكتنهه، وعن الأفهام أن تستغرقه، وعن الأذهان أن تمثله، قد يئست من استنباط الإحاطة به طوامح العقول، ونضبت عن الإشارة إليه بالإكتناه بحار العلوم، ورجعت بالصغر عن السمو إلى وصف قدرته لطائف الخصوم.

واحدٌ لا من عدد، ودائمٌ لا بأمد، وقائمٌ لا بعمد، ليس بجنسٍ فتعادله الأجناس، ولا بشبحٍ فتضارعه الأشباح، ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات!

قد ضلت العقول فى أمواج تيار إدراكه، وتحيرت الأوهام عن إحاطة ذكر أزليته، وحصرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته.. إلى أن قال عليه السلام:

وأشهد أن لا إله إلا الله إيماناً بربوبيته، وخلافاً على من أنكره، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،المقَر فى خير مستقر، المتناسخ من أكارم الأصلاب ومطهرات الأرحام، المخرج من أكرم المعادن محتداً، وأفضل المنابت منبتاً، من أمنع ذروةً، وأعز أرومةً، من الشجرة التى صاغ الله منها أنبياءه وانتجب منها أمناءه عليهم السلام ، الطيبة العود، المعتدلة العمود، الباسقة الفروع، الناضرة الغصون، اليانعة الثمار، الكريمة الحشا. فى كرم غرست، وفى حرم أنبتت، وفيه تشعبت وأثمرت، وعزت وامتنعت، فسمت به وشمخت، حتى أكرمه الله عز وجل بالروح الأمين، والنور المبين. والكتاب المستبين، وسخر له البراق وصافحته الملائكة، وأرعب به الأباليس، وهدم به الأصنام، والآلهة المعبودة دونه..».الخ.

«عن يعقوب بن جعفر قال: سمعت أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام وهو يكلم راهباً من النصارى، فقال له فى بعض ما ناظره: إن الله تبارک وتعالى أجل وأعظم من أن يحد بيد أو رجل، أو حركة أو سكون، أو يوصف بطول أو قصر أو

تبلغه الأوهام، أو تحيط به صفة العقول، أنزل مواعظه ووعده ووعيده، أمرٌ بلا شفة ولا لسان، ولكن كما شاء أن يقول له كن فكان، خبراً كما أراد فی اللوح». (التوحید/75).

«عن محمد بن أبی عمیر قال: دخلت علی سیدی موسی بن جعفر علیه السلام فقلت له: یا ابن رسول الله علمنی التوحید فقال: یا أبا أحمد لا تتجاوز فی التوحید ما ذکره الله تعالی ذکره فی کتابه فتهلک، واعلم أن الله تعالی واحد، أحد، صمد، لم یلد فیورث، ولم یولد فیشارک، ولم یتخذ صاحبة ولا ولداً ولا شریکاً، وأنه الحی الذی لا یموت، والقادر الذی لا یعجز، والقاهر الذی لا یغلب، والحلیم الذی لا یعجل، والدائم الذی لا یبید، والباقی الذی لا یفنی، والثابت الذی لا یزول، والغنی الذی لا یفتقر، والعزیز الذی لا یذل، والعالم الذی لا یجهل، والعدل الذی لا یجور، والجواد الذی لا یبخل، و إنه لا تقدره العقول، ولا تقع علیه الأوهام، ولا تحیط به الأقطار، ولا یحویه مکان، ولا تدرکه الأبصار وهو یدرک الأبصار وهو اللطیف الخبیر، ولیس کمثله شیء وهو السمیع البصیر

((مَا یَکُونُ مِن نَّجْوَی ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَی مِن ذَلِکَ وَلَا أَکْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَیْنَ مَا کَانُوا)).

وهو الأول الذی لا شیء قبله، والآخر الذی لا شیء بعده، وهو القدیم وما سواه مخلوق محدث، تعالی عن صفات المخلوقین علوا کبیراً». (التوحید/76).

«کتبت إلی أبی الحسن علیه السلام أسأله عن الجسم و الصورة، فکتب: سبحان من لیس کمثله شیء ولا- جسم ولا- صورة». (التوحید/102).

«کتبت إلی أبی الحسن علیه السلام فی دعاء: الحمد لله منتهی علمه، فکتب إلی: لا- تقولن منتهی علمه ولکن قل منتهی رضاه». (التوحید/134).

«عن عبد الأعلى، عن العبد الصالح موسى بن جعفر عليه السلام قال: إن الله لا إله إلا هو كان حياً بلا كيف ولا أين، ولا كان فى شىء، ولا كان على شىء، ولا ابتدع لمكانه مكاناً، ولا قوى بعد ما كوَّن الأشياء، ولا يشبهه شىء يكون، ولا كان خلواً من القدرة على الملک قبل إنشائه، ولا يكون خلواً من القدرة بعد ذهابه، كان عز وجل إلهاً حياً بلا حياة حادثة، ملكاً قبل أن ينشئ شيئاً ومالكاً بعد إنشائه، وليس لله حد، ولا يعرف بشىء يشبهه، ولا يهرم للبقاء، ولا يصعق لدعوة شىء، ولخوفه تصعق الأشياء كلها، وكان الله حياً بلا حياة حادثة، ولا كون موصوف، ولا- كيف محدود، ولا- أين موقوف، ولا- مكان ساكن، بل حى لنفسه، ومالک لم يزل له القدرة، أنشأ ما شاء حين شاء بمشيته و قدرته، كان أولاً بلا كيف، ويكون آخراً بلا أين وكل شىء هالک إلا وجهه، له الخلق والأمر تبارک رب العالمين».(التوحيد/141).

«عن يونس بن عبد الرحمن، قال: قلت لأبى الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: لأى علة عرج الله بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء، ومنها إلى سدرة المنتهى، ومنها إلى حجب النور، وخاطبه و ناجاه هناک والله لا يوصف بمكان؟ فقال عليه السلام: إن الله تبارک وتعالى لا يوصف بمكان، ولا يجرى عليه زمان، ولكنه عز وجل أراد أن يشرف به ملائكته وسكان سماواته، ويكرمهم بمشاهدته، ويريه من عجائب عظمته، ما يخبر به بعد هبوطه، وليس ذلک على ما يقول المشبهون، سبحان الله وتعالى عما يشركون».(التوحيد/175).

«عن محمد بن أبى عمير قال: رأى سفيان الثورى أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وهو غلامٌ يصلى والناس يمرون بين يديه، فقال له: إن الناس يمرون بک وهم فى الطواف، فقال عليه السلام: الذى أصلى له أقرب إلى من هؤلاء» (التوحيد/179)

«ذكر عنده قوم يزعمون أن الله تبارک و تعالی ينزل إلی السماء الدنيا فقال: إن الله تبارک وتعالی لا ينزل، ولا يحتاج إلی أن ينزل، إنما منظره فی القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج بل يحتاج إليه، وهو ذو الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم. أما قول الواصفين إنه تبارک وتعالی ينزل فإنما يقول ذلک من ينسبه إلی نقص أو زيادة، وكل متحرک محتاج إلی من يحركه أو يتحرک به، فظن بالله الظنون فهلک، فاحذروا فی صفاته من أن تقفوا له علی حد تحدوه بنقص أو زيادة أو تحرک أو زوال أو نهوض أو قعود، فإن الله جل عن صفة الواصفين ونعت الناعتين و توهم المتوهمين».(التوحيد/183).

«لا يكون شیء فی السماوات ولا فی الأرض إلا بسبع: بقضاء، وقدر، وإرادة ومشيئة، وكتاب، وأجل وإذن، فمن زعم غير هذا فقد كذب علی الله عز وجل..

لا يكون شیء إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضی، قلت:ما معنی شاء؟قال: ابتداء الفعل، قلت: ما معنی قدر؟ قال: تقدير الشیء من طوله وعرضه، قلت: ما معنی قضی؟ قال: إذا قضی أمضاه فذلک الذی لا مرد له.. إن لله إرادتين ومشيئتين: إرادة حتم وإرادة عزم، ينهی وهو يشاء ويأمر وهو لايشاء، أوَمَا رأيت أنه نهی آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلک، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالی، وأمر إبراهيم أن يذبح إسحاق ولم يشأ أن يذبحه، ولو شاء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله تعالی».(الكافی:1/150).

3- من أحاديثه عليه السلام فی النبوة

«عن أبی الحسن الأول عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداک أخبرنی عن النبی صلی الله عليه وآله وسلم ورث النبيين كلهم؟ قال: نعم، قلت: من لدن آدم حتی انتهی إلی نفسه؟ قال: ما بعث الله نبياً إلا ومحمد صلی الله عليه وآله وسلم أعلم

منه، قال قلت: إن عيسى بن مريم كان يحيى الموتى بإذن الله، قال: صدقت وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقدر على هذه المنازل.

قال فقال: إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشک فی أمره فقال مالی لا أری الهدهد أم کان من الغائبین، حین فقده فغضب علیه فقال: لأعذبنه عذاباً شدیداً أو لأذبحنه أو لیأتینی بسلطان مبین. وإنما غضب لأنه کان یدله علی الماء، فهذا وهو طائر قد أعطی ما لم یعط سلیمان وقد کانت الریح والنمل والإنس والجن والشیاطین والمردة له طائعین، ولم یکن یعرف الماء تحت الهواء، وکان الطیر یعرفه وإن الله یقول فی کتابه:

((وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى)).

وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذی فیه ما تسیر به الجبال وتقطع به البلدان، وتحیی به الموتی، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإن فی کتاب الله لآیات ما یراد بها أمر إلا أن یأذن الله به، مع ما قد یأذن الله مما کتبه الماضون، جعله الله لنا فی أم الکتاب إن الله یقول: وما من غائبة فی السماء والأرض إلا فی کتاب مبین، ثم قال: ثم أورثنا الکتاب الذین اصطفینا من عبادنا، فنحن الذین اصطفانا الله عز وجل وأورثنا هذا الذی فیه تبیان کل شیء».(الکافی:1/226).

«سألت أبا الحسن علیه السلام: أیما أفضل المقام بمکة أو بالمدینة؟ فقال: أی شیء تقول أنت؟ قال فقلت: وما قولی مع قولک؟ قال: إن قولک یردک إلی قولی، قال: فقلت له: أما أنا فأزعم أن المقام بالمدینة أفضل من المقام بمکة، قال فقال: أما لئن قلت ذلک لقد قال أبو عبد الله علیه السلام ذاک یوم فطر وجاء إلی رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم فسلم عليه فى المسجد ثم قال: قد فضلنا الناس اليوم بسلامنا على رسول الله» (الكافى:4 /557).

«لما قبض إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جرت فيه ثلاث سنن: أما واحدة فإنه لما مات انكسفت الشمس فقال الناس انكسفت الشمس لفقد ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تجريان بأمره مطيعان له لا تنكسفان لموت أحد ولالحياته، فإذا انكسفتا أو واحدة منهما فصلوا، ثم نزل فصلى بالناس صلاة الكسوف، فلما سلم قال: يا على قم فجهز ابنى، قال: فقام على بن أبى طالب عليه السلام فغسل إبراهيم وكفنه وحنطه ومضى، فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى انتهى به إلى قبره فقال الناس: إن رسول الله نسى أن يصلى على ابنه لما دخله من الجزع عليه، فانتصب قائماً ثم قال: إن جبرئيل عليه السلام أتانى فأخبرنى بما قلتم، زعمتم أنى نسيت أن أصلى على ابنى لما دخلنى من الجزع، ألا- وإنه ليس كما ظننتم، ولكن اللطيف الخبير فرض عليكم خمس صلوات، وجعل لموتاكم من كل صلاة تكبيرة، وأمرنى أن لا أصلى إلا على من صلى.

ثم قال: ياعلى إنزل والحد ابنى، فنزل على فألحد إبراهيم فى لحده فقال الناس إنه لاينبغى لأحد أن ينزل فى قبر ولده إذ لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بابنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أيها الناس إنه ليس عليكم بحرام أن تنزلوا فى قبور أولادكم، ولكن لست آمن إذا حل أحدكم الكفن عن ولده أن يلعب به الشيطان فيدخله عن ذلک من الجزع ما يحبط أجره ثم انصرف صلى الله عليه وآله وسلم».(الكافى:3/463، والمحاسن:2/313).

4- من أحاديثه عليه السلام فى الإمامة

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خلقت أنا وعلى من نور واحد». (الخصال/31).

قال أبو بصير: «دخلت عليه فقلت له:جعلت فداک بمَ يعرف الامام؟ فقال: بخصال، أما أولاهن فشىء تقدم من أبيه فيه وعرفه الناس ونصبه لهم علماً حتى يكون حجة عليهم، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصب علياً علماً وعرفه الناس وكذلک الأئمة يعرفونهم الناس وينصبونهم لهم حتى يعرفوه. ويسأل فيجيب ويسكت عنه فيبتدئ، ويخبر الناس بما فى غد، ويكلم الناس بكل لسان». (قرب الإسناد/339).

«قال عليه السلام: مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماض وغابر وحادث، فأما الماضى فمفسر، وأما الغابر فمزبور، وأما الحادث فقذفٌ فى القلوب ونقرٌ فى الأسماع وهو أفضل علمنا، ولا نبى بعد نبينا». (الكافى:1/264).

وفى الكافى:1/281: «حدثنى موسى بن جعفر عليه السلام قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: أليس كان أمير المؤمنين عليه السلام كاتب الوصية ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المملى عليه وجبرئيل والملائكة المقربون عليهم السلام شهود؟ قال: فأطرق طويلاً، ثم قال: يا أبا الحسن قد كان ما قلت، ولكن حين نزل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمر، نزلت الوصية من عند الله كتاباً مسجلاً، نزل به جبرئيل مع أمناء الله تبارک وتعالى من الملائكة فقال جبرئيل: يا محمد مُرْ بإخراج من عندک إلاوصيک ليقبضها منا وتشهدنا بدفعک إياها إليه ضامناً لها، يعنى علياً فأمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بإخراج من كان فى البيت ما خلا علياً عليه السلام وفاطمة عليها السلام فيما بين الستر والباب، فقال جبرئيل: يا محمد

ربک یقرؤک السلام ویقول: هذا کتاب ما کنت عهدت إلیک وشرطت علیک وشهدت به علیک، وأشهدت به علیک ملائکتی، وکفی بی یا محمد شهیداً. قال: فارتعدت مفاصل النبی صلی الله علیه وآله وسلم فقال: یا جبرئیل ربی هو السلام ومنه السلام وإلیه یعود السلام، صدق عز وجل وبرَّ، هات الکتاب، فدفعه إلیه وأمره بدفعه إلی أمیر المؤمنین علیه السلام فقال له: إقرأه فقرأه حرفاً حرفاً، فقال صلی الله علیه وآله وسلم: یا علی، هذا عهد ربی تبارک وتعالی إلی شرطه علی وأمانته وقد بلغت ونصحت وأدیت! فقال علی علیه السلام وأنا أشهد لک بأبی وأمی أنت، بالبلاغ والنصیحة والتصدیق علی ما قلت، ویشهد لک به سمعی وبصری ولحمی ودمی!

فقال جبرئیل علیه السلام: وأنا لکما علی ذلک من الشاهدین، فقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: یا علی أخذت وصیتی وعرفتها وضمنت لله ولی الوفاء بما فیها، فقال علی علیه السلام: نعم بأبی أنت وأمی علیَّ ضمانها وعلی الله عونی وتوفیقی علی أدائها!

فقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: یا علی إنی أرید أن أشهد علیک بموافاتی بها یوم القیامة فقال علی: نعم أشهد، فقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: إن جبرئیل ومیکائیل فیما بینی وبینک الآن وهما حاضران معهما الملائکة المقربون لأشهدهم علیک!

فقال: نعم لیشهدوا وأنا بأبی أنت وأمی أشهدهم، فأشهدهم رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم!

وکان فیما اشترط علیه النبی بأمر جبرئیل علیه السلام فیما أمر الله عز وجل أن قال له: یا علی تفی بما فیها من موالاة من والی الله ورسوله والبراءة والعداوة لمن

عـادی الله ورسوله صـلی الله علیه وآله وسـلم، والبراءة منهم علی الصبر منـک وعلی کظم الغیـظ وعلی ذهـاب حقک وغصب خمسـک وانتهاک حرمتک؟

فقال: نعم یا رسول الله فقال أمیر المؤمنین علیه السلام: والذی فلق الحبة وبرأ النسمة لقد سمعت جبرئیل علیه السلام یقول للنبی: یا محمد عرفه أنه تنتهک الحرمة وهی حرمة الله وحرمة رسول الله، وعلی أن تخضب لحیته من رأسه بدم عبیط!

قال أمیر المؤمنین علیه السـلام: فصـعقت حین فهمت الکلمة من الأمین جبرئیل حتی سقطت علی وجهی وقلت: نعم قبلت ورضیت وإن انتهکت الحرمـة، وعطلت السـنن، ومزق الکتاب، وهـدمت الکعبـة، وخضـبت لحیتی من رأسـی بدم عبیط، صابراً محتسـباً أبداً حتی أقدم علیک! ثم دعا رسول الله صـلی الله علیه وآله وسلم فاطمة والحسن والحسین وأعلمهم مثل ما أعلم أمیر المؤمنین، فقالوا مثل قوله! فختمت الوصیة بخواتیم من ذهب لم تمسه النار ودفعت إلی أمیر المؤمنین علیه السلام.

فقلت لأبی الحسن علیه السـلام: بأبی أنت وأمی ألا تذکر ما کان فی الوصیة؟ فقال: سنن الله وسنن رسوله صلی الله علیه وآله وسلم.فقلت: أکان فی الوصـیة توثبهم وخلافهم علی أمیر المؤمنین علیه السلام؟فقال: نعم والله شیئاً شیئاً، وحرفاً حرفاً، أما سمعت قول الله عز وجل: إنا نحن نحیی الموتی ونکتب ما قدموا وآثارهم وکل شـیء أحصـیناه فی إمام مبین؟ والله لقد قال رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم لأمیر المؤمنین وفاطمة علیهما السلام : ألیس قد فهمتما ما تقدمت به إلیکما وقبلتماه؟ فقالا: بلی وصبرنا علی ما ساءنا وغاظنا».

«عن الجعفری قال سمعت أبا الحسن الرضا علیه السلام یقول: الأئمة خلفاء الله عز وجل فی أرضه», (الکافی:1/193).

«علی بن جعفر قال سمعت أبا الحسن علیه السلام یقول: لما رأی رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم تيماً وعدياً وبنى أمية يركبون منبره أفظعه!فأنزل الله تبارک وتعالى قرآناً يتأسى به: وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ثم أوحى إليه يا محمد إنى أمرت فلم اطع فلا تجزع أنت إذا أمرت فلم تطع فى وصيک».(الكافى:1/426).

«إن فاطمة عليها السلام صديقة شهيدة وإن بنات الأنبياء لا يطمثن». (الكافى:1/458).

«ما من ملک يهبطه الله فى أمر ما يهبطه إلا بدأ بالامام، فعرض ذلک عليه، وإن مختلف الملائكة من عند الله تبارک وتعالى إلى صاحب هذا الأمر».(الكافى:1/394).

«أدنى ما يثاب به زائر أبى عبد الله عليه السلام بشط الفرات إذا عرف حقه وحرمته وولايته، أن يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».(الكافى:4/582).

«قال أبو الحسن عليه السلام: أتدرى لم سميت الطائف؟ قلت: لا، قال: إن إبراهيم عليه السلام لما دعا ربه أن يرزق أهله من الثمرات قطع لهم قطعة من الأردن، فأقبلت حتى طافت بالبيت سبعاً، ثم أقرها الله فى موضعها، وإنما سميت الطائف للطواف بالبيت». (الكافى:4/428).

«عن محمد بن أبى عميرقال: سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول: لا يخلد الله فى النار إلا أهل الكفر والجحود وأهل الضلال والشرک، ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر، قال الله تبارک و تعالى:

((إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا)).

قال فقلت له: يا ابن رسول الله فالشفاعة لمن تجب من المذنبين؟ قال: حدثنى أبى

عن آبائه عن على عليهم السلام قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنما شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى فأما المحسنون منهم فما عليهم من سبيل. قال ابن أبى عمير فقلت له: يا ابن رسول الله فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى ذكره يقول:

((وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ)).

ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى! فقال عليه السلام: يا أبا أحمد ما من مؤمن يرتك ذنباً إلا ساءه ذلک وندم عليه، وقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم:كفى بالندم توبة، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من سرته حسنته وساءته سيئة فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة، وكان ظالماً والله تعالى ذكره يقول:

((مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ)).

فقلت له: يا ابن رسول الله وكيف لا يكون مؤمناً من لم يندم على ذنب يرتكبه؟ فقال: يا أبا أحمد ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصى و هو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكب ومتى ندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة، ومتى لم يندم عليها كان مصراً، والمصر لايغفر له لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب، ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم، وقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: لا كبيرة مع الإستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار». (التوحيد/407).

«يا سماعة إلينا إياب هذا الخلق وعلينا حسابهم، فما كان لهم من ذنب بينهم وبين الله عز وجل حتمنا على الله فى تركه لنا فأجابنا إلى ذلک، وما كان بينه وبين الناس استوهبناه منهم وأجابوا إلى ذلک وعوضهم الله عز وجل». (الكافى:8 /162).

5- من أحاديثه عليه السلام الفقهية

«قال أبو الحسن عليه السلام: من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة الأرض وملائكة السماء». (المحاسن:1/205).

«عن محمد بن الفضيل قال: قال أبو الحسن موسى عليه السلام لأبى يوسف القاضى: إن الله تبارک و تعالى أمر فى كتابه بالطلاق وأكد فيه بشاهدين ولم يرض بهما إلا عدلين وأمر فى كتابه بالتزويج فأهمله بلا شهود فأثبتم شاهدين فيما أهمل وأبطلتم الشاهدين فيما أكد». (الكافى:5 /387).

«سألت أبا الحسن يعنى موسى عليه السلام عن رجل استودع رجلاً مالاً له قيمة والرجل الذى عليه المال رجل من العرب يقدر على أن لا يعطيه شيئاً ولا يقدر له على شىء، والرجل الذى استودعه خبيث خارجى فلم أدع شيئاً؟ فقال لى: قل له رده عليه فإنه ائتمنه عليه بأمانة الله عز وجل». (الكافى:5/133)

«عن أبى الحسن موسى عليه السلام فى رجلين يتسابان قال: البادى منهما أظلم، ووزره ووزر صاحبه عليه، ما لم يعتذر إلى المظلوم». (الكافى:2/360).

«عن أبى الحسن عليه السلام فى رجل دخل على دار آخر للتلصص أو الفجور فقتله صاحب الدار، أيقتل به أم لا؟ فقال: إعلم أن من دخل دار غيره فقد أهدر دمه. ولا يجب عليه شىء».(الكافى:7 /294).

«عن عثمان بن عيسى قال: سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن القياس فقال: مالكم والقياس إن الله لا يسأل كيف أحل وكيف حرم». (الكافى:1 /57).

«عن محمد بن الفضيل قال: كنا فى دهليز يحيى بن خالد بمكة وكان هناک أبو الحسن موسى عليه السلام وأبو يوسف، فقام إليه أبو يوسف وتربع بين يديه فقال: يا أبا الحسن جعلت فداک المحرم يظلل؟قال: لا، قال: فيستظل بالجدار والمحمل

ویدخل البیت والخباء؟ قال: نعم قال: فضحک أبو یوسف شبه المستهزئ فقال له أبو الحسن علیه السلام: یا أبا یوسف إن الدین لیس بالقیاس کقیاسک وقیاس أصحابک! إن الله عز وجل أمر فی کتابه بالطلاق وأکد فیه بشاهدین ولم یرض بهما إلا عدلین، وأمر فی کتابه بالتزویج وأهمله بلا شهود. فأتیتم بشاهدین فیما أبطل الله وأبطلتم شاهدین فیما أکد الله عز وجل! وأجزتم طلاق المجنون والسکران! وحج رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فأحرم ولم یظلل ودخل البیت والخباء واستظل بالمحمل والجدار، فعلنا کما فعل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم!فسکت». (الکافی:4/352).

«لا یحل أکل الجری ولا السلحفاة ولا السرطان، قال: وسألته عن اللحم الذی یکون فی أصداف البحر والفرات أیؤکل؟ فقال: ذاک لحم الضفادع لا یحل أکله (الکافی:6/221).

«سألته عن الغراب الأبقع والأسود أیحل أکلهما؟ فقال: لا یحل أکل شیء من الغربان، زاغ ولا غیره» (الکافی:6/245).

«أکل الطین حرام مثل المیتة والدم ولحم الخنزیر إلا طین قبر الحسین علیه السلام فإن فیه شفاء من کل داء وأمناً من کل خوف».(الکافی:6/266)

«سألت أبا الحسن علیه السلام عن أدنی ما یکون من الحیض فقال:ثلاثة وأکثره عشرة». (الکافی:3/75).

«إذا وقع الختان علی الختان فقد وجب الغسل البکر وغیر البکر». (الکافی:3/46)

«عن الفتح بن یزید قال: سألت أبا الحسن علیه السلام عن المتعة فقال: هی حلال مباح مطلق لمن لم یغنه الله بالتزویج فلیستعفف بالمتعة، فإن استغنی عنها بالتزویج

فهی مباح له إذا غاب عنها...کتب أبو الحسن علیه السلام إلی بعض مواليه: لا تلحوا علی المتعة، إنما علیکم إقامة السنة، فلا تشتغلوا بها عن فرشکم وحرائرکم فیکفرن ویتبرین ویدعین علی الآمر بذلک ویلعنونا». (الکافی:5 /452).

«عن سماعة قال: سألت أبا الحسن علیه السلام عن الخمس فقال: فی کل ما أفاد الناس من قلیل أو کثیر».(الکافی:1 /545).

«المصعوق والغریق، قال: ینتظر به ثلاثة أیام إلا أن یتغیر قبل ذلک..کنا بمکة سنة من السنین فأصاب الناس تلک السنة صاعقة کبیرة حتی مات من ذلک خلق کثیر، فدخلت علی أبی الحسن علیه السلام فقال مبتدئاً من غیر أن أسأله: یاعلی ینبغی للغریق والمصعوق أن یتربص به ثلاثاً إلا أن یجئ منه ریح یدل علی موته، قلت له: جعلت فداک کأنک تخبرنی أنه دفن ناس کثیر أحیاء؟ قال: نعم یا علی قد دفن ناس کثیر أحیاء، ما ماتوا إلا فی قبورهم»! (الکافی:3/209).

6- من أحادیثه علیه السلام فی الأدعیة والأذکار

«علیکم بالدعاء فإن الدعاء لله والطلب إلی الله یرد البلاء وقد قُدر وقُضی ولم یبق إلا إمضاؤه، فإذا دعیَ الله عز وجل وسُئل صُرف البلاء صرفةً». (الکافی:23/470).

«ما من بلاء ینزل علی عبد مؤمن فیلهمه الله عز و جل الدعاء، إلا کان کشف ذلک البلاء وشیکاً. وما من بلاء ینزل علی عبد مؤمن فیمسک عن الدعاء إلا کان ذلک البلاء طویلاً! فإذا نزل البلاء فعلیکم بالدعاء والتضرع إلی الله عز وجل». (الکافی:2/471).

عن زیاد القندی قال: «کتبت إلی أبی الحسن الأول علیه السلام: علمنی دعاء فإنی قد بلیت بشیء وکان قد حبس ببغداد حیث اتهم بأموالهم فکتب إلیه: إذا صلیت

فأطل السجود ثم قل: يا أحد من لا أحد له حتى تنقطع النفس ثم قل: يامن لا يزيده كثرة الدعاء إلا جودا وكرماً حتى تنقطع نفسک، ثم قل: يـا رب الأربـاب أنت أنت الـذى انقطـع الرجـاء إلاـ منـک، يـا على يـا عظيم. قـال زيـاد: فـدعوت به ففرج الله عنى وخلى سـبيلى». (الكافى:3/328).

«كتبت إلى أبى الحسن عليه السـلام: إن رأيت يا سيدى أن تعلمنى دعاء أدعو به فى دبر صلواتى يجمع الله لى به خير الدنيا والآخرة. فكتب عليه السـلام تقول: أعوذ بوجهک الكريم وعزتک التى لا ترام وقـدرتک التى لا يمتنع منها شـىء من شـر الـدنيا والآخرة ومن شـر الأوجاع كلها».(الكافى:3/346).

«قال لى أبو الحسن عليه السـلام: إذا كان لک يا سـماعة إلى الله عز وجل حاجـة فقل: اللهم إنى أسألک بحق محمد وعلى فإن لهما عندک شأنا من الشأن وقـدراً من القدر فبحق ذلک الشأن وبحق ذلک القدر أن تصـلى على محمد وآل محمد، وأن تفعل بى كذا وكذا. فإنه إذا كان يوم القيامة لم يبق ملک مقرب ولا نبى مرسل ولا مؤمن ممتحن، إلا وهو يحتاج إليهما فى ذلک اليوم».(الكافى:2 /562).

«من قـال: بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ثلاث مرات حين يصـبح وثلاث مرات حين يمسـى، لم يخف شيطاناً ولا سلطاناً ولا جذاماً ولا برصاً.قال أبو الحسن عليه السلام: وأنا أقولها مائة مرة». (المحاسن:1/41).

«إذا مرض أحدكم فليأذن للناس يدخلون عليه فإنه ليس من أحد إلا وله دعوة مستجابة» (الكافى:3/117).

«ما من مؤمن يؤدى فريضة من فرائض الله إلا كان له عند أداءها دعوة مستجابة».(المحاسن:1/50)

7- من أحاديثه عليه السلام فی الآداب والتربية

«سأل رجل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ما حق الوالد علی ولده؟ قال: لا یسمیه باسمه، ولا یمشی بین یدیه، ولا یجلس قبله ولا یستسب له». (الکافی:2/159).

«من قصد إلیه رجل من إخوانه مستجیراً به فی بعض أحواله فلم یجره بعد أن یقدر علیه فقد قطع ولایة الله عز وجل». (الکافی:2/366).

«سمعت أبا الحسن علیه السلام یقول: إذا کان الجور أغلب من الحق، لم یحلّ لأحد أن یظن بأحد خیراً، حتی یعرف ذلک منه». (الکافی:5/298).

«سمعته یقول: إن الله عز وجل یبغض القیل والقال، وإضاعة المال، وکثرة السؤال». (الکافی:5/301).

«عن أبی الحسن علیه السلام قال: التودد إلی الناس نصف العقل» (الکافی:2/643).

«إذا کان ثلاثة فی بیت فلا یتناجی اثنان دون صاحبهما، فإن ذلک مما یغمه». (الکافی:2/880).

«لاتذهب الحشمة بینک وبین أخیک، أبق منها فإن ذهابها ذهاب الحیاء». (الکافی:2/672).

«إن الله عز وجل یبغض العبد النوام الفارغ.. إیاک والکسل والضجر، فإنک إن کسلت لم تعمل، وإن ضجرت لم تعط الحق.. إیاک والکسل والضجر، فإنهما یمنعانک من حظک من الدنیا والآخرة». (الکافی:5/84 و85).

«کان یحیی بن زکریا علیهما السلام یبکی ولایضحک، وکان عیسی بن مریم علیهما السلام یضحک ویبکی وکان الذی یصنع عیسی أفضل من الذی یصنع یحیی» (الکافی:2/665).

«عن محمد بن الفضیل، عن أبی الحسن الأول علیه السلام قال: قلت له: جعلت فداک الرجل من إخوانی یبلغنی عنه الشیء الذی أکرهه، فأساله عن ذلک فینکر ذلک وقد أخبرنی عنه قوم ثقات! فقال لی: یا محمد کذِّب سمعک وبصرک عن أخیک فإن شهد عندک خمسون قسامة، وقال لک قولاً فصدقة وکذبهم، لا تذیعن علیه شیئاً تشینه به وتهدم به مروءته، فتکون من الذین قال الله فی کتابه: إن الذین یحبون أن تشیع الفاحشة فی الذین آمنوا لهم عذاب ألیم». (الکافی:8/147).

وقال علیه السلام: «أخذ أبی علیه السلام بیدی ثم قال: یا بنی إن أبی محمد بن علی علیه السلام أخذ بیدی کما أخذت بیدک قال: إن أبی علی بن الحسین علیه السلام أخذ بیدی وقال: یا بنی إفعل الخیر إلی کل من طلبه منک، فإن کان من أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم یکن من أهله کنت أنت من أهله، وإن شتمک رجل عن یمینک، ثم تحول إلی یسارک فاعتذر إلیک، فاقبل عذره». (الکافی:8/152).

«عن أبی الحسن الأول علیه السلام قال: ینبغی لمن عقل عن الله أن لا یستبطئه فی رزقه ولا یتهمه فی قضائه». (الکافی:2 /61).

«عن علی بن سوید، عن أبی الحسن الأول علیه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ومن یتوکل علی الله فهو حسبه؟ فقال: التوکل علی الله درجات، منها أن تتوکل علی الله فی أمورک کلها، فما فعل بک کنت عنه راضیاً، تعلم أنه لا یألوک خیراً وفضلاً، وتعلم أن الحکم فی ذلک له، فتوکل علی الله بتفویض ذلک إلیه وثق به فیها وفی غیرها». (الکافی:2 /62).

«سألته عن الملکین هل یعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن یفعله أو الحسنة؟ فقال علیه السلام: ریح الکنیف وریح الطیب سواء؟ قلت: لا قال: إن العبد إذا هم بالحسنة خرج نفسه طیب الریح فقال: صاحب الیمین لصاحب الشمال: قم فإنه قد هم بالحسنة فإذا فعلها کان لسانه قلمه وریقه مداده فأثبتها له وإذا هم بالسیئة خرج

نفسه منتن الريح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف فإنه قد هم بالسيئة فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده وأثبتها عليه». (الكافى:2 /429).

«سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة و بقاع الأرض التى كان يعبد الله عليها، وأبواب السماء التى كان يصعد فيها بأعماله، وثلم فى الإسلام ثلمة لا يسدها شىء، لأن المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها» (الكافى:1 /38، و:3/254).

«محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابى». (الكافى:1 /39).

«من نزه نفسه عن الغناء فإن فى الجنة شجرة يأمر الله عز وجل الرياح أن تحركها فيسمع لها صوتاً لم يسمع بمثله، ومن لم يتنزه عنه لم يسمعه» (الكافى:6/434)

«قال له: جعلت فداک إنى أقعد مع قوم يلعبون بالشطرنج ولست ألعب بها ولكن أنظر فقال: مالک ولمجلس لا ـ ينظر الله إلى أهله». (الكافى:6/437).

«سألته عن الميت يزور أهله؟ قال: نعم فقلت: فى كم يزور؟ قال: فى الجمعة وفى الشهر وفى السنة على قدر منزلته. فقلت: فى أى صورة يأتيهم؟ قال: فى صورة طائر لطيف يسقط على جدرهم ويشرف عليهم، فإن رآهم بخير فرح، وإن رآهم بشر وحاجة حزن واغتم». (الكافى:3/230).

وفى الكافى:3/231: «منهم من يزور كل يوم.. قلت: فى أى ساعة؟ قال عند زوال الشمس ومثل ذلک قال قلت: فى أى صورة؟ قال: فى صورة العصفور أو أصغر من ذلک فيبعث الله تعالى معه ملكاً فيريه ما يسره ويستر عنه ما يكره فيرى ما يسره ويرجع إلى قرة عين».

«إن الله خلق قلوب المؤمنين مطوية مبهمة على الإيمان، فإذا أراد استنارة ما فيها نضحها بالحكمة وزرعها بالعلم، وزارعها والقيم عليها رب العالمين».(الكافى:2/421).

8- من أحاديث الإمام الكاظم عليه السلام الطبية

«ليس من دواء إلا وهو يهيج داءا وليس شـيء فى البدن أنفع من إمساك اليد إلا عما يحتاج إليه».(الكافى:8 /273). «ليس الحمية أن تدع الشيء أصلاً لا تأكله، ولكن الحمية أن تأكل من الشيء وتخفف». (الكافى:8 /291).

«لو أن الناس قصدوا فى الطعام لاستقامت أبدانهم».(المحاسن:2/439).

«لا يخصب خوان لا ملح عليها وأصح للبدن أن يبدأ به فى أول الطعام». (الكافى:6/326).

«قـال رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم: رحم الله المتخللين. قيل: يا رسول الله وما المتخللون؟ قال: يتخللون من الطعام، فإنه إذا بقى فى الفم تغير فآذى الملک ريحه».(المحاسن:2/559).

«كان فيما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام أن قال: يا على، كُلِ العدس فإنه مباركٌ مقدس، وهو يُرقق القلب، ويكثر الدمعة، وإنه بارک عليه سبعون نبياً».(المحاسن:2/504).

«أطعموا المحموم لحم القباج فإنه يقوى الساقين ويطرد الحمى طرداً». (الكافى:6/312).

«قال لى أبو الحسن يعنى الأول عليه السـلام: مالى أراک مصـفراً؟ فقلت له: وعک أصابنى، فقال لى: كل اللحم فأكلته، ثم رآنى بعد جمعة وأنـا على حالى مصـفراً فقال لى: ألم آمرک بأكل اللحم؟ قلت: ما أكلت غيره منـذ أمرتنى، فقال: وكيف تأكله؟ قلت: طبيخاً. فقال: لا، كله كباباً، فأكلته ثم أرسل إلىَّ فدعانى بعد جمعة وإذا الدم قد عاد فى وجهى فقال لى: الآن نعم». (الكافى:6/319).

«السمک الطرى يذيب الجسد...يذيب شحم العين». (الكافى:6/323).

«قال شكوت إلى أبى الحسن عليه السلام قلة الولد فقال لى: إستغفر الله وكل البيض بالبصل».(الكافى:6/324).

«كان فيما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام أنه قال له: يا على عليک بالدباء فكله فإنه يزيد فى الدماغ والعقل»(الكافى:6/371).

«ما من أحد إلا وبه عرق من الجذام فأذيبوه بأكل السلجم».(الكافى:6/372).

«كان دواء أمير المؤمنين عليه السلام السعتر وكان يقول: إنه يصير للمعدة خملاً كخمل القطيفة... شكا إليه رطوبة فأمره أن يستف السعتر على الريق». (الكافى:6/375).

«تمشطوا بالعاج فإن العاج يذهب بالوباء».(الكافى:6/489).

«كنت عند أبى الحسن الأول عليه السلام فرآنى أتأوه فقال: مالک؟ قلت: ضرسى، فقال: لو احتجمت، فاحتجمت فسكن فأعلمته، فقال لى: ما تداوى الناس بشىء خير من مصة دم أو مزعة عسل، قال قلت: جعلت فداک ما المزعة عسل؟ قال: لعقة عسل».(الكافى:8 /194، و:6/332)

«شكا رجل إلى أبى الحسن عليه السلام البهق فأمره أن يطبخ الماش ويتحساه ويجعله فى طعامه».(الكافى:6/344).

«يرعف رعافاً شديداً فدخلت على أبى الحسن عليه السلام قال: يا زياد أطعم سيفاً التفاح فأطعمته إياه فبرئ».(الكافى:6/356).

«الإجاص الطرى يطفى الحرارة ويسكن الصفراء، وإن اليابس منه يسكن الدم ويسل الداء الدوى».(الكافى:6/359).

«رأيت أبا الحسن يقطع الكراث بأصوله فيغسله بالماء ويأكله».(الكافى:6/365).

«عن أبى الحسن موسى عليه السلام قال: ثلاثة يتخوف منها الجنون: التغوط

بين القبور، والمشى فى خف واحد، والرجل ينام وحده». (الكافى:6/534).

«عن أبى الحسن موسى عليه السلام قال: عليكم بالرمان، فإنه ليس من حبة تقع فى المعدة إلا أنارت وأطفأت شيطان الوسوسة». (المحاسن:2/545).

«الكاظم عليه السلام قال: من فرج عن أخيه المسلم كربة، فرج الله بها عنه كربة يوم القيامة». (كتاب المؤمن/50).

9- من أحاديثه فى البشارة بالإمام المهدى عليه السلام

«قال عليه السلام: إذا فقد الخامس من ولد السابع، فالله الله فى أديانكم لا يزيلنكم أحد عنها. يا بنى إنه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هى محنة من الله عز وجل امتحن بها خلقه، ولو علم آباؤكم وأجدادكم ديناً أصح من هذا لاتبعوه. فقلت: يا سيدى وما الخامس من ولد السابع؟ فقال: يا بنى عقولكم تضعف عن ذلك، وأحلامكم تضيق عن حمله، ولكن إن تعيشوا فسوف تدركونه».(الإمامة والتبصرة/113).

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين.

المحتويات

المقدمة

الفصل الأول

عراقة الشيعة فى بغداد

1- مسجد براثا قبل بغداد بأكثر من قرن!

2- مقبرة براثا

3- كان سكان الكرخ شيعة قبل تأسيس بغداد

4- معروف الكرخى ليس من كرخ بغداد

5- من تاريخ مظالم الشيعة فى بغداد

6- من العوائل الشيعية فى بغداد

آل يقطين

آل نوبخت

آل فرات

7- المراسم الدينية عند الشيعة فى بغداد

8- منعت السلطة زيارة مشهد الكاظمين والحسين عليهم السلام

9- أئمة أهل البيت عليهم السلام فى بغداد

10- الإمام الجواد فى بغداد عليه السلام

11- رسالة الإمام الهادى عليه السلام إلى شيعته فى بغداد

12- السفراء الأربعة البغداديون

السفير الأول: عثمان بن سعيد العَمْرى قدس سره

السفير الثانى: محمد بن عثمان بن سعيد العَمْرى قدس سره

السفير الثالث: أبو القاسم الحسين بن روح النوبختى قدس سره

السفير الرابع: أبو الحسن على بن محمد السمرى قدس سره

13- قبور السفراء الأربعة والمؤلفات فيهم

14- مذاهب الغلو التى كانت فى بغداد

الفصل الثانى

بحث الروايات التى وردت عن بغداد

1- تسمية بغداد بالزوراء

2- رد روايات خسف بغداد وخرابها

3- أحاديث جيش السفيانى فى بغداد

4- صحة الأحاديث التى تذم الجبابرة فى بغداد

الفصل الثالث

المنصور العباسى مؤسس بغداد

1- شخصية المنصور وأسرته

2- نَقْلَ المنصور العاصمة حتى استقر فى بغداد

3- ظلم بنى العباس أشهر من كفر إبليس!

4- الثروة التى ورَّثها المنصور لابنه

5- كان المنصور شيعياً قبل ثورة الحسنيين!

6- المنصور مهندس الخلافة ومهندس المذاهب!

الأول: تأسيس مذاهب مقابل مرجعية الإمام الصادق عليه السلام

الثانى: إبادة العلويين حتى أطفالهم!

الثالث: أحيا المنصور حملة الأمويين ضد على عليه السلام!

الرابع: أمر بتعظيم أبى بكر وعمر لأنهما خصوم على عليه السلام

الخامس: تعظيم جده العباس وحصر الخلافة بأولاده

7- المنصور يحاول قتل الإمام الكاظم عليه السلام

الفصل الرابع

الإمام الكاظم عليه السلام قديس بغداد

1- شريط سيرة الإمام الكاظم عليه السلام

2- اعتقاد أئمة المذاهب بالإمام الكاظم عليه السلام

3- مقتطف من تراجم أئمة علماء السنة للإمام الكاظم عليه السلام

4- الإمام الكاظم عليه السلام حامى بغداد

5- زيارة قبر الإمام الكاظم عليه السلام دواء مجرب

الفصل الخامس

الإمام الكاظم عليه السلام والمهدى العباسى

1- أخبر الإمام عليه السلام عن قرب موت المنصور

2- فروقات شخصية المهدى عن أبيه المنصور

أولاً

ثانياً

ثالثاً

رابعاً

خامساً

سادساً

3- رووا هم أن المهدى العباسى ليس بمهدى!

4- كان المهدى يخاف من زوجته الخيزران!

5- لم تكن الخيزران ناصبية كزوجها وولديها!

6- كتب الإمام الكاظم عليه السلام رسالة إلى الخيزان

7- كانت علاقة الإمام الكاظم عليه السلام حسنة مع المهدى

8- وكان المهدى يحترم مقام الإمام الكاظم عليه السلام

9- ومع ذلک أراد المهدى العباسى قتل الإمام عليه السلام!

10- وأخبر عليه السلام بأن المهدى لايقتله ولا الذى بعده!

11- قال الإمام عليه السلام للخليفة: ما بال مظلمتنا لاترد؟!

12- المهدى العباسى يختبر علم الإمام الكاظم عليه السلام

13- الإمام عليه السلام يأمر تلاميذه بإيقاف المناظرة فى زمن المهدى

14- قرر المهدى أن يقتل الإمام عليه السلام فرأى مناماً مرعباً!

الفصل السادس

الإمام الكاظم عليه السلام وموسى الهادى العباسى

1- الخليفة موسى الهادى قصير العمر كثير الشر

2- كان موسى الهادى مشهوراً بالفسق!

3- ثورة الحسين بن على صاحب فخ على موسى الهادى

4- موسى الهادى يقرر قتل الإمام الكاظم عليه السلام

الفصل السابع

خلافة هارون قاتل الإمام الكاظم عليه السلام

1- عزله أخوه فقتلته أمه ونصبت هارونا خليفة

2- الفردية المُفْرِطة عند هارون!

3- خليفة يتفنن فى تقصيب المسلمين حتى آخر ساعة!

4- أولاده يتجسسون عليه ويستعجلون موته!

5- خليفة المسلمين يغنى ويرقص ويشرب ويسكر!

الفصل الثامن

وزراء هارون فيهم أبرار!

1- البرامكة زنادقة ونواصب!

2- عداوة البرامكة للإمام الكاظم عليه السلام

3- نكبة البرامكة فى أوج مجدهم!

4- على بن يقطين رحمه الله رئيس وزراء هارون

5- من أخبار على بن يقطين مع الإمام الكاظم عليه السلام

6- جعفر بن محمد بن الأشعث رئيس وزراء هارون

الفصل التاسع

هارون يعرف أن الكاظم عليه السلام إمام من الله تعالى

1- يعرف أنه إمام ربانى ويعاديه!

2- حبس هارون للإمام الكاظم عليه السلام - المرة الأولى

3- خلط الرواة بين أخبار حبسه عليه السلام فى المرة الأولى والثانية

4- الإمام الكاظم عليه السلام يصارح هارون!

5- الإمام الكاظم عليه السلام ينسف أساس نظام العباسيين!

6- حبس هارون للإمام الكاظم عليه السلام - المرة الثانية

7- فرض عليه هارون الإقامة الجبرية فى بغداد

8- سكن الإمام عليه السلام فى بغداد فى بيت متواضع

9- محاولات هارون الإستخفاف بالإمام عليه السلام وإهانته

الفصل العاشر

تصورات هارون لخطر الإمام الكاظم عليه السلام

1- الخطر الأكبر برأى هارون على ملكه!

2- هارون يعتقد أن التعايش مع الإمام عليه السلام غير ممكن!

3- هارون يحضر مناظرات تلميذ الإمام الكاظم عليه السلام!

4- محاولات هارون قتل الإمام الكاظم عليه السلام

الفصل الحادى عشر

إصرار هارون على قتل الإمام الكاظم عليه السلام

1- حبسه فى البصرة سنة ثم نقله إلى بغداد

2- لماذا لم يعاقب هارون عيسى بن جعفر والفضل بن الربيع؟

3- لماذا غضب هارون على وزيره الفضل بن يحيى؟

4- العباس بن محمد الذى وكله هارون بجلد وزيره الفضل

5- السندى بن شاهک رئيس شرطة هارون

6- السندية بنت شاهک خير من أخيها!

7- سجن السندى أشد سجون الإمام الكاظم عليه السلام

الفصل الثانى عشر

شهادة الإمام الكاظم عليه السلام ومراسم تشييعه

1- أخبر الإمام عليه السلام بشهادته وأوصى بتجهيزه

2- المكان الذى استشهد فيه الإمام عليه السلام

3- إهانة هارون لجنازة الإمام عليه السلام وتكريم عمه لها

4- سليمان بن أبى جعفر عم هارون

5- صار قبر الإمام عليه السلام مزاراً ومشهداً من أول يوم

الفصل الثالث عشر

هارون يقتل الإمام عليه السلام وينكر قتله!

1- لما رأى هارون معجزات الإمام عليه السلام قرر قتله!

2- هارون يحاول إثبات براءته من دم الإمام عليه السلام

الفصل الرابع عشر

بعض أخبار الإمام الكاظم عليه السلام فى السجن

1- كان عليه السلام يشكر الله لأنه فرغه لعبادته!

2- رسالة الإمام عليه السلام إلى هارون الرشيد

3- رسالة الإمام عليه السلام إلى يحيى بن خالد البرمكى

4- عاهرة الرشيد صارت عابدة!

5- فقهاء السلطة يزورون الإمام عليه السلام فى السجن

6- كان عليه السلام يجيب من السجن على بعض الرسائل

7- غلام السندى بن شاهک يتشيع!

8- كان الإمام عليه السلام يخرج من السجن بنحو الإعجاز

الفصل الخامس عشر

الإمام الكاظم عليه السلام وعلماء النصارى

1- إسلام الراهب بُرَيْهَة على يده عليه السلام

2- إسلام راهب آخر قصد الإمام عليه السلام من الشام

الفصل السادس عشر

آيات الإمام الكاظم عليه السلام من طفولته

1- كان أبوه الإمام الصادق عليه السلام يحدثه وهو فى المهد!

2- كان عليه السلام صبياً وأفحم أبا حنيفة!

3- حديث الإمام الكاظم عليه السلام فى معجزات النبى صلى الله عليه وآله وسلم

الفصل السابع عشر

أشعة من أحاديث الإمام الكاظم عليه السلام

1- حديث الإمام عليه السلام فى مكانة العقل وأهمية التعقل

2- من أحاديثه عليه السلام فى توحيد الله تعالى ومعرفته

3- من أحاديثه عليه السلام فى النبوة

4- من أحاديثه عليه السلام فى الإمامة

5- من أحاديثه عليه السلام الفقهية

6- من أحاديثه عليه السلام فى الأدعية والأذكار

7- من أحاديثه عليه السلام فى الآداب والتربية

8- من أحاديث الإمام الكاظم عليه السلام الطبية

9- من أحاديثه فى البشارة بالإمام المهدى عليه السلام

سلسلة إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة

تأليف

اسم الكتاب

ت

السيد محمد مهدى الخرسان

السجود على التربة الحسينية

1

زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية

2

زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو

3

الشيخ على الفتلاوى

النوران ـــــ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـــ الطبعة الأولى

4

الشيخ على الفتلاوى

هذه عقيدتى ـــ الطبعة الأولى

5

الشيخ على الفتلاوى

الإمام الحسين عليه السلام فى وجدان الفرد العراقى

6

الشيخ وسام البلداوى

منقذ الإخوان من فتن وأخطار أخر الزمان

7

السيد نبيل الحسنى

الجمال فى عاشوراء

8

الشيخ وسام البلداوى

إبكِ فإنك على حق

9

الشيخ وسام البلداوى

المجاب بردّ السلام

10

السيد نبيل الحسنى

ثقافة العيدية

11

السيد عبدالله شبر

الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزئين

12

الشيخ جميل الربيعى

الزيارة تعهد والتزام ودعاء فى مشاهد المطهرين

13

لبيب السعدى

من هو؟

14

السيد نبيل الحسنى

اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل

15

الشيخ على الفتلاوى

المرأة فى حياة الإمام الحسين عليه السلام

16

ص: 362

السيد نبيل الحسنى

أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم

17

السيد محمدحسين الطباطبائى

حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)

18

السيد ياسين الموسوى

الحيرة فى عصر الغيبة الصغرى

19

السيد ياسين الموسوى

الحيرة فى عصر الغيبة الكبرى

20

الشيخ باقر شريف القرشى

حياة الإمام الحسين بن على (عليهما السلام) ___ ج1

21

الشيخ باقر شريف القرشى

حياة الإمام الحسين بن على (عليهما السلام) ___ ج2

22

الشيخ باقر شريف القرشى

حياة الإمام الحسين بن على (عليهما السلام) ___ ج3

23

الشيخ وسام البلداوى

القول الحسن فى عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام

24

السيد محمد على الحلو

الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة

25

الشيخ حسن الشمرى

قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام

26

السيد نبيل الحسنى

حقيقة الأثر الغيبى فى التربة الحسينية

27

السيد نبيل الحسنى

موجز علم السيرة النبوية

28

الشيخ على الفتلاوى

رسالة فى فن الإلقاء والحوار والمناظرة

29

علاء محمدجواد الأعسم

التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمى (LC)

30

السيد نبيل الحسنى

الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام

31

السيد نبيل الحسنى

الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)

32

الدكتور عبدالكاظم الياسرى

الخطاب الحسينى فى معركة الطف ـــــ دراسة لغوية وتحليل

33

الشيخ وسام البلداوى

رسالتان فى الإمام المهدى

34

الشيخ وسام البلداوى

السفارة فى الغيبة الكبرى

35

السيد نبيل الحسنى

حركة التاريخ وسننه عند على وفاطمة عليهما السلام (دراسة)

36

السيد نبيل الحسنى

دعاء الإمام الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء ـــ بين النظرية العلمية والأثر الغيبى (دراسة) من جزئين

37

الشيخ على الفتلاوى

النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـــــ الطبعة الثانية

38

شعبة التحقيق

زهير بن القين

39

السيد محمد على الحلو

تفسير الإمام الحسين عليه السلام

40

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹